المرأة البحر

و

الرجل المحيط

عبد الله بن محمد الداوود

الإهداء ،،،

إلى أبي
إلى الرجل المحيط
إلى من انتزع اللقمة من فمه، ليؤثرني بأكلها
إلى أمي
إلى المرأة البحر
إلى من اعتصرت رحيقها؛ لتطعمني حياة من حياتها
لهما مني الدعاء بالرحمة كما ربياني صغيراً
وإلى آل بيتي جميعاً
راجياً أن أكون لهم رجلاً محيطاً
وأدعو أن يكونوا لي قرة عين
إلى رجال ونساء هذه الأمة
وأدعو أن أكون لهم ناصحاً أميناً

أهدي هذا الكتاب

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

كلمتا (المحيط والبحر) مألوفة المبنى، معروفة المعنى، وقد استعرتهما عنواناً لكتابي الذي بين يديك أيها القارئ ، وذلك لما وجدته فيهما من المعاني المعبرة عن موضوع هذا الكتاب الذي يتناول العلاقة بين الزوج والزوجة .... الرجل المحيط والمرأة البحر ......

(المحيط والبحر) كلاهما مخلوقٌ عابدٌ لله تعالى

و (الرجل المحيط والمرأة البحر) عابدان لله تعالى، ليس بأداء الفرائض فقط؛ بل في جميع مناحي الحياة، وارتباطهما بعقد الزواج، هو عبادة لله تعالى.

(المحيط والبحر) متشابهان، فكلاهما مياهٌ، وكلاهما مالح الطعم وكلاهما يشابه السماء في صفائها وزرقتها، وكذلك (الرجل المحيط والمرأة البحر) يتشابهان، غير أن التشابه لا يعني التطابق.

فالمحيط أصلٌ، والبحر فرعٌ عنه، فهو أكبر، وأعمق، وأوسع أفقاً ومدىً، و(المحيط) يحيط بالبحر ويحتويه، حيث هو أوسع مدى من البحر، لأنه يحتوي أكثر من بحر واحد ، ويملك المهارة في تطويقها جميعاً بشواطئه، ويمنحها الاستقرار، وهدوء البال في حماه، وتحت سلطانه.

(المحيط والبحر) مدٌّ وجزرٌ

وهي حال الأزواج في هذه الدنيا منذ الأزل ، و(الرجل المحيط والمرأة البحر) يمدان يد الخير، ويجزران يد الشر، يمدان حتى لا جفاء، ويجزران حتى يحلو الوصال.

(المحيط والبحر) كلاهما غامضٌ وكتومٌ.

ونجاح (الرجل المحيط والمرأة البحر) مرهون بحفظ أسرارهما داخل جدران بيتهما.

(المحيط والبحر) شاطئهما أمان الخائفين.

و(الرجل المحيط والمرأة البحر) كلاهما ملاذٌ للآخر يمنحه الإيواء، ويحميه، ويرعاه .

(المحيط والبحر) يحملان المراكب المرتمية في مائهما، لتصل إلى مرادها.

و(الرجل المحيط والمرأة البحر) كلاهما يرعيان بعضهما وأبناءهما رعاية تجعلهم من الفائزين في الدنيا والآخرة.

(المحيط والبحر) يتبخران، ليغدو ماؤهما سحاباً

وكذا حال (الرجل المحيط والمرأة البحر) فإن اشتدت حرارة أزماتهما فإنها تتحول برداً وسلاماً على حياتهما الأسرية.

(المحيط والبحر) مثالٌ للتجدِّد، فهما في النهار مختلفان عنهما في الليل، وفي الصيف غيرهما في الشتاء، والأمواج هادئةٌ أو هادرةٌ، وحالاتهما متجددةٌ مثل تجدد أمواجهما التي لا تتكرر.

و(الرجل المحيط والمرأة البحر) متجددان دوماً؛ فلا يشعران أنَّ الأمس والغد توأمان، بل الاستنساخ للأيام لديهما حرامٌ، فهما عدوٌّ للروتين اليومي.

(المحيط والبحر) كنوزهما ممنوحةٌ لكل من قصدهما طالباً عطاياهما، فقلما يرجع مركب صيدٍ دون أن يكرماه من هباتهما، ناهيك عما يجودان به من الجواهر باهظة الثمن، التي لا تتطلب سوى أن يمد الغواص يده لالتقاطها، وسيخجل (البحر والمحيط) أن يطالباه بالثمن، ومنذ فجر البشرية القديم والناس منهما يأخذون، وما بقي في أعماقهما أضعاف ما سلبه الناس.

و(الرجل المحيط والمرأة البحر) كريمان في العطاء والبذل دون حدود لبعضهما، ولأبنائهما، ولا ينتظران جزاء ولا شكورا لذلك العطاء.

وبعد أيها (الرجل المحيط والمرأة البحر) يسعدني أن أقدم لكما مجموعة من الأفكار والرؤى حول علاقتكما المباركة، وارتباطكما بالميثاق الغليظ، وستجدان هذا الكتاب مقسماً إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول يتوجه إلى المرأة البحر، ويخاطب فيها دينها، وعاطفتها، وأنوثتها.

الجزء الثاني: يتوجه إلى الرجل المحيط، ويخاطب فيه دينه، وعقله، ومروءته.

الجزء الثالث: خطابٌ عامٌ يتوجه لهما معاً، ولأهلهما، وللمجتمع الذي يعيشان فيه.

ختاماً أنقل القارئ الكريم من عموم الفكرة إلى خصوصية كاتبها؛ حيث لم أكن يوماً رجلاً محيطاً، و(ربما لا أكون)، وإنما كنت بهذا الكتاب أرسم طموحات، حققت بعضاً منها زمناً، وأخفقت في بعض، ثم عدت مرةً أخرى لأستبدل (بالإخفاق تحقيقاً)، وفوجئت أيضاً أني أستبدل (بالتحقيق إخفاقاً)، فشعرت بأن ما كتبته يمكن تحقيقه في أي وقت، ولكن (قد) يصعب تحقيق كله في كلِّ وقتٍ.

كتب من جحر الضب

إن كان الحق تعالى شهد بأن الكفار: يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون، فإنها شهادة حقٍّ وصدقٍ بأنهم: (يعلمون ظاهراً...)، ولن نبخسهم حقاً شهد الله لهم به، ولكننا نفخر بالآية نفسها، حيث إن فيها شهادةً لنا أيضاً، فالمتفكر في الآية يجدها شهدت لهم بعلم شيءٍ، ولكنها أثبتت جهلهم بثلاثة أشياء:

١- ﴿... يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ...﴾، وليس (كل) ظاهر الحياة الدنيا؛ بل (من) ومن للتبعيض، وبقي للمسلم الجزء الآخر من ظاهر الحياة الدنيا؛ ليفهم من علومها الظاهرة ما لم يظهر لهم، وهم لم يفهموا هذا (البعض)؛ لأنهم لا يمتلكون أدوات الفهم، التي منحنا الله تعالى إياها؛ وأهمها فهمنا للدار الآخرة التي غفلوا هم عنه، وبالتالي غفلوا عن علم بعضها الآخر..

٢-﴿... يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا...﴾ بينما حقيقة الحياة الدنيا، هم جاهلون بها، فهم عالمون (بظاهرها) فقط، ومما يؤكد ذلك أن الحياة الدنيا هي كل شيءٍ عندهم، وهذا من الجهل بحقيقتها.

٣-﴿... وهم عن الآخرة هم غافلون﴾، فالآخرة نحن أهلها، ولابدَّ أن نكرم أنفسنا بمخالفتهم في غفلتهم عنها، وبهذا اختصنا الله تعالى، بهذا نفخر ونباهي، ولا ينقضي العجب من ذكر الضمير (هم) قبل الآخرة وبعدها، لملازمتهم وتميزهم بتلك الغفلة، وتخويفنا من مشابهتم في ذلك.

إنَّ أمور الصناعة والآلات، وفنون الإدارة، وعلوم الطبِّ، وما

شابهها، أمورٌ دنيويةٌ من نتاج بشريٍّ لا يتأخر المسلم عن أخذها، ولا يتعالى عن الاستفادة منها، مهما كان مصدرها، فالحكمة ضالةٌ تهفو للمؤمن دون غيره، فهو أولى بها، وأما ما يأتينا من الغرب، وهو متصلٌ بشرائع الإسلام وعباداته، فلا مجال للتوقف عنده، وتأمله، ومحاولة الاستفادة منه، ومن فعل ذلك، فقد اتهم الإسلام بالنقص والقصور، وللأسف فهذا حال بعض المسلمين الذين افتتنوا بالغرب فما كان منهم، راحوا يسلمون به، ويدافعون عنه، ويستحلونه، ويستملحونه، وربما جادل بعضهم مدافعاً عن علم من العلوم المستقاة عنهم، بصورةٍ لا نرى لها مثيلاً في موقفه لو سمع كذباً على نبي الهدى ﷺ، بل قد يدافع بعضهم عن أمورٍ جاءت من الغرب، وهي تعارض شرع الرب تعالى، وما جاء دفاعهم إلاَّ من شدة التقديس المستقر في نفوسهم، وربما استماتوا في الجمع بين ما هو غربي، وبين ديننا الإسلامي بطريقة ساذجة؛ لأنَّهم من شدة التقديس لما يأتي من الغرب؛ يرون أن الخلل لا بدّ أن يكون في فهمهم لتلك العلوم، وليس من تلك العلوم، وأنَّ أنفسهم أنقص وأقلُّ من أن ترتقي لمستوى انتقاد الغرب الذي ابتكر تلك العلوم، فتراهم يحاولون الجمع بين الإسلام وبين علوم الغرب، وهم في حالة الحيرة التي تسطو عليهم بين التمسك بدينهم، وبين السحر الغربيّ الفتان الذي خالف صريح الدين.

مطبقين ما كشفه الوحي قبل أربعة عشر قرناً: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل اليهود والنصارى؟، قال: فمن) متفق عليه، فلو دخل الغرب اليهودي والنصراني جحر ضبٍ، لتسابق إلى دخوله بعض

المسلمين مستمتعين بسعته، مندهشين من حكمة الضبِّ، وإبداعه في الحفر، فما نراه الآن من الانبهار بكلِّ غربيٍّ؛ هو تماماً ما حذَّرنا منه النبي ﷺ، وهو تماماً معنى التغريب الذي يتلخص في الإعجاب بالغرب؛ حيث يكون الإنتاج الغربي هو الأصل الحاكم في حياتنا، فينطلق بعضنا عميًا وبكمًا وصمًّا مقلدين لكلِّ ما يأتي منهم، والأدهى مصيبةً من ذلك؛ أن يختلط بتقليدهم شعورٌ بخجلٍ مما لدينا من الدين، أو استحياءٍ مما عليه القرون المفضلة، ثم في النهاية يقع بعضنا في محبتهم، تحت أيِّ مبررٍ كان، كما في مجال الرياضة مثلاً بعذر أن الرياضة لا علاقة لها بالدين، أو الإعجاب بالفنانين الغربيين بعذر تقدير الفنِّ والإبداع، أو المصممين، أو الفلاسفة، أو غيرهم.

وقس على ذلك عالم الكتب، فلا يقارن إعجاب بعض المسلمين بكتاب غربيّ في العلاقات الزوجية مع مكانة كتابٍ إسلاميٍّ (كتحفة العروس) للاستانبولي مثلاً، أو كتاب (آداب الزفاف)؛ وما ذلك إلاّ بسبب ما وقر في أفئدة أولئك النفر من تعظيم شأن الغرب وإنتاجهم، وقد نصحني وأذهلني أحد المربين الصالحين الحافظين للقرآن الكريم، وأنا في وقت تأليف هذا الكتاب، قائلاً لي: (حاول الاطلاع على كتاب (يعني كتاباً من تأليف كاتبٍ غربيٍّ) قبل إصدار كتابك، فأنا لم أفهم المرأة إلا بعد قراءته، فهو مهمٌّ لك حتى يعدل لك بعض القناعات)، فأشكره على نصيحته غير الموفقة، وأشفق عليه من نظرته الجديدة الغربية، التي لم يجد خيراً منها في القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ، ليفهم المرأة فهماً صحيحاً.

وأنا على يقينٍ لا شك فيه، أن ذلك المؤلف الغربي، لو دخل في

الإسلام، وحسن إسلامه، وأدرك معانيه، لقام هو بنفسه ونسف الكثير من قناعاته في الحياة الزوجية، والتي كتبها وأودعها في كتابه الذي صار (الأكثر مبيعاً)؛ لأنَّه سيرى بنور الله تعالى، وليس بظلمات الغرب.

ومن لم يصل إلى استيعاب ما أرمي إليه، فليجرِ اختباراً يسيراً على قلبه، وعلى مدى مطابقة هذه الفكرة عليه، حتى يستشعر عمق الهوة التي أحذر من الوقوع فيها، فلو حضرنا دورةً تدريبيةً يلقيها باحثٌ (غربيٌّ) متخصصٌ في مجال الأسرة وقضاياها، نال شهادةً من كبرى الجامعات الغربية، ثم حضرنا بعد ذلك دورةً أخرى يلقيها مسلمٌ، يقوم بطرح الآيات والأحاديث المتعلقة بالزواج والأسرة، سنجد أننا نعلي من شأن الأول الكافر دون الثاني المسلم، وهذا من تأثير التغريب في نفوسنا.

إن الاهتمام بمثل تلك الكتب التي يزخر بها **(جحر الضب)** يزيد من اللوثة التغريبية التي تسمم بها العالم الإسلامي منذ مائتي عام، مما جعلنا نرى في أنفسنا اختلافاً كثيراً، فتقليدهم في الأمورً الدنيوية لم يكن للاستفادة فقط؛ بل تسرب الإعجاب لحالهم، وصار بعضنا يستحلي كلَّ ما هو غربيّ، فقلدوهم مبهورين بأشكالهم، ثم قليلاً قليلاً قلدوهم في طبائعهم، ثم أخيراً أصبح من بيننا من قلدهم في معتقداتهم.

وبعد التأمل والتفكير ومراجعة بعض تلك الكتب الغربية المترجمة للغة العربية تبين لي قصورها الشديد في تقديم تصوّرٍ كاملٍ وشاملٍ للحياة الزوجية، وذلك لمجموعة من الأمور منها:

١- نقصٍ التصور الصحيح لطبيعة الرجل والمرأة، وقصور نظرة

الغرب وتصوراته، بخلاف تمام نظرة الإسلام المتكاملة الموجودة لدينا؛ حيث أبان ديننا طبيعتهما، ولا مجال للمقارنة بين التصور الشرعي والتصور الغربي، وأصحاب الأقلام الغربية الذين كتبوا آراءهم في مجال الأسرة، خضعوا من حيث لا يشعرون لسطوة مجتمعاتهم التي ضربت فيها العلمانية أكثر من قرنين، وتربوا هم وآباؤهم تحت يديها، واستنشقوا مفاهيمها مع الهواء، وهذا ما يجعل كتاباتهم متلوثةً بها، وبعيدة حتى عن تعاليم أديانهم السماوية المحرفة.

٢- بحوث الغرب واستقصاؤهم أسيرةٌ للنظرة الدنيوية فقط، وحبيسةٌ عن الارتباط (بالآخرة)، وإنما مقياس (الدنيا) هو مبلغهم من العلم، وأمر الزواج ليس من أمور الدنيا؛ بل هو عبادة من العبادات، فكيف سيحدثنا عن (النجاح الأسري) غربيٌّ لا يفقه شأن الآخرة؟!، ثم إنّ في جعل الزواج مرتبطاً بالدنيا فقط مخالفةٌ لديننا؛ حيث إنَّ العلاقة الزوجية ليست دنيويةً وحسب؛ بل هي ممتدةٌ إلى ما بعد الموت؛ حيث تعود اللقيا في جنات المأوى زوجاً وزوجةً كما كانا في الدنيا.

٣- لا يدخل في حسابات المؤلفين الغربيين (قضية الاحتساب)، فاحتساب الأجر هو الجانب التعبدي في الزواج، وخسارة ذلك الربح العظيم؛ هي من قواصم الظهر التي يجنيها المعجبون بالكتب المترجمة؛ حيث تتلاشى المعايير الإسلامية، وتظهر الشعارات المقتفية لآثار الكفار في ربط العلاقة الزوجية بشعاراتٍ براقةٍ مثل (النجاح الأسري)، (الأسرة المثالية)، (فهم النفسيات)، وهي قيمٌ لا تعني إلاَّ سراباً بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، حتى إنَّك لتسأل الزوج المعبأ بتلك المفاهيم: لماذا

صنعت ذلك كله، وأجهدت حالك؟، فيرد عليك قائلاً: من أجل النجاح الأسري، فتسأله: وما النجاح الأسري، فيقول: أي أنجح مع أسرتي، وفي علاقتي مع زوجتي، ونعيش حياة هادئة وسعيدة.

فتحتار أمام أجوبته، ولا أدري لعمر الله ما هذه القيمة الجوفاء، التي هي أشبه بالليف الجاف، وما أُراها جاءت لهذا الزوج من قناعةٍ، أو ديانةٍ سويةٍ، كلا إنما هي إنتاجٌ غربيٌّ، يحاكي واقع الغربيين الذين يفتقدون الراحة في حياتهم، وحتى في زواجهم، فصاروا يلهثون خلف هدوئهم وراحتهم، وأما نحن فصار فينا ﴿... سماعون لهم ...﴾، فترى الزوج من هؤلاء المتأثرين بالكتب الغربية ينفق على زوجته الأموال، ويجلب لها الهدايا، ويجهد نفسه في جلب الغالي والنفيس لها من أجل النجاح الأسري فقط، وأما ديننا فيقول: اعملوا من أجل الجنة والخلاص من النيران، وشتان شتان، فأين الله تعالى؟، ولماذا خسرنا التعبد بالنفقة على أسرنا وزوجاتنا، ولماذا خسرنا التعبد بوضع اللقمة في فم زوجاتنا، وفارقٌ بين من تسأله عن سبب خدمته لأهله، فيقول لك: لأنني زوجٌ ناجحٌ، أو لأن الدراسات الحديثة والدورات النفسية تنصح بمثل هذه الأمور، وأحب أن أكون زوجاً مثالياً، وبين من يقول لك: أنا أخدم أهلي لأنَّ سيدي ونبيي ﷺ كان في مهنة أهله، وأنا أتعبد الله تعالى بما أصنعه لهم؟!.

٤- الحق أن الحكمة ضالة المؤمن، ولكنها في أمور الدنيا وحسب، أما أمور الدين، فمن كماله أن أغنانا الله سبحانه به عن الحاجة إلى غيره ، والزواج من الدين، وأكررها خشية أن يسبق الفهم إلى خلاف ما أريد.

٥- الاختلاف الثقافي والحضاري بيننا وبينهم، فنحن شرق وهم غرب، وجميع الأمم تباهي بتراثها، وتربي أجيالها على التميز، وعدم الذوبان في حضارة أخرى، فما بالنا نحن أصحاب الثقافة الإسلامية والحضارة الإنسانية الرائدة؟!، ألسنا جديرين بمراعاة هذا الاختلاف والحفاظ على هويتنا الثقافية والحضارية؟!، ولا أقول كما قال الهالك طه حسين: (كلُّ شرٍّ إنما جاءنا من الشرق)، ولكن أقول: (ما غرَّنا برينا إلاَّ الغرب).

٦- أمرٌ أخيرٌ جعلته في ختام هذه الفقرة لأهميته القصوى؛ وهو جهل الغرب بأثر الشياطين في الحياة الزوجية، ومعرفتنا اليقينية بأثرهم الخطير، فالشياطين هم العنصر الثالث بين الزوجين، العنصر الساعي لإفساد الحياة الزوجية، وهو ما تفتقده حتى بعض الكتب الإسلامية للأسف التي تحدثت في شأن الأسرة والزواج، فأغفلت شيئاً لم يغفله الشرع، وإني على يقين بأنَّ (أغلب) المشكلات الأسرية، و(أكثر) حوادث الطلاق، سببها الرئيس هو الشيطان وأعوانه، وليس حكمي ظناً؛ بل يقين مستندٌ إلى نصوص الدين، ومع ذلك نجد العلاجات المطروحة لهذا الوباء، تتعامل مع الزوجين على أنهما آلات حديدية، وقد شكت إحدى الزوجات من مشاكل كبرى لأسرتها وزوجها، فقال لها المدرب في الدورة التدريبية: (جربي أن تضعي وردةً على سرير زوجك قبل أن ينام)!، ونسي المدرب حاجة الأسرة إلى قراءة الورد النبوي الذي يحمي المنزل من الشياطين، وليس جلب الورود والرياحين، والفرق بين (الوِرد) و (الوَرد) كسرةٌ تحت الواو تكسر عنق الشياطين.

لقد كشف الإسلام المخفي من عالم الشياطين، وبين الهدف الأكبر للشيطان؛ أنَّه يسعى هو وأتباعه إلى طلاق الزوجين، ناهيك عن أنَّه يئس أن يعبد في جزيرة العرب، فانقلب بعد خسارته الهائلة في حرمانه من أن يُعبد، انقلب بكلِّ ما يستطيع للتحريش بينهم، وينال الزوجين نصيبٌ عظيمٌ من التحريش، وأخبرنا الإسلام أن الشيطان يشاركك في الدخول لمنزلك، وفي أكلك وشربك، وحتى لحظة الجماع يأتيك الوحي؛ ليرشدك إلى سؤال الله تعالى أن يجنبك الشيطان، ويجنبه ما رزقك، وأخبرنا القرآن الكريم أنَّ الشيطان يشاركنا في الأموال والأولاد، وأنَّه يملأ وجنوده دورات المياه، وبيوت الخلاء، فيستبيحون رؤية المحارم، وربما تلبسوا بأحد الزوجين، فأعطانا الإسلام الوقاية الربانية لحمايتنا منهم بالاستعاذة من الخبث والخبائث، وهم ذكور الشياطين وإناثهم، ناهيك عن أنَّ السحر عملٌ من أعمال الشياطين بأصنافه الكثيرة، وألوانه المتعددة، يختصرها القرآن الكريم في أشدها عنفاً وشراسة على الناس في: ﴿... فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ...﴾، فأين هذا العالم الغيبي من الكتب المترجمة؟!، وأين أثر هذه المعركة الشيطانية الشرسة من صفحات الزواج، ودورات المدربين المتأثرين بالغرب وعلومه؟!.

ومن أراد أن يتأكد خطر الشيطان وأثره على الزوجين بالذات، فليتذكر إخراج آدم وزوجه من الجنة على يد الشيطان، ومن يتهمني بالمبالغة فليتذكر أنَّ الله تعالى يحذرنا بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ...﴾الأعراف ٢٧، ثم

ليتذكر أنَّ الشيطان استطاع أن ينسي نبياً من الأنبياء ذكر ربه، فلبث في السجن بضع سنين: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ...﴾ يوسف ٤٢؛ بل جميع الأنبياء والرسل ينالهم من الشيطان نصيبٌ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الحج ٥٢، وأيوب عليه السلام يعلنها صريحةً لنا أنَّ الشيطان آذاه بالنصب والعذاب: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ص ٤١، فهل الشيطان انبرى للأنبياء والرسل، وتركنا نحن العبيد المقصرون في زمنٍ من آخر الأزمان؟!، إن غفلتنا عن هذا الأمر هو من الجهل الذي نسج خيوطه الشيطان، وفيه دليلٌ على نجاح الشيطان على إخفاء عداوته مع الناس، فجعلهم لا يستشعرون بأنَّ الشيطان عدوٌّ، فكيف يتخذونه عدواً؟!، والله تعالى جعل التنبيه لنا قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر ٦، نعوذ بالله من الشيطان.

وبعد أيها القارئ الكريم إنَّ سعة الإسلام تبعدنا عن ضيق الدنيا التي عبر عنها رسولنا ﷺ بجحر الضب، فلندع العناوين البراقة للكتب الجوفاء، فليس كل ما يلمع ذهباً، وقد اجتهدت فأخرجت هذا الكتاب الذي بين أيديكم راجياً أن يكون نافعاً، ولن أطلب أن يكون بديلاً للكتب الغربية المترجمة؛ بل إنني أعتبر ما ناديت به هو الخير؛ لأنه هو الأصل، وأما غيره من الكتب المترجمة فهو البديل الأدنى.

وفي نهاية حديثي عن الكتب المترجمة (كتب جحر الضب)، أشير إلى أنني لست معيباً أو منتقداً حين أهاجمها وأفضح زيفها؛ لا لأني أريد التسويق لكتابي هذا فقط، بل لأني أحاول أن أبين الهدى من الضلال. وإن كان في ذلك تسويقاً لكتابي فما الذي يمنع ؟!، فأنا أسوق للخير، وأسأل الله العون، والتوفيق والسداد.

عبد الله بن محمد الداوود
الرياض صفر ١٤٢٩ هـ
جوال: ٥٢٠٠٩٥٢٢ ٥ ٩٦٦+
تلفاكس: ٤٢٢٢٩٩٨ ١ ٩٦٦+
ص.ب ٣٤٨٤٨ الرياض ١١٤٧٨
البريد الإلكتروني mot3h@hotmail.com

المرأة البحر

نماذج

حين يكون زوجك فرعون

عروس فوق الأربعين

ناقصة عقل ودين (أم سليم) رضي الله عنها

من أنتِ؟!

يقول سقراط: (اعرف نفسكَ)، (والمرأة البحر) تبحث عن (شخصيتها) بداخلها؛ لتعرف من هي؟!؛ لتعرف جبلتها وطبعها، ثم تنطلق من هذه المعرفة؛ لتطور فيها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً؛ فهي تجرب الشخصيَّة الجادَّة (ذات الطابع الرسمي)؛ الرزينة الهادئة المتئدة ذات الفخامة في كلامها ونظراتها، وردودها الموفقة، لا تهزُّها التوافه، تزيد من هيبتها أمام من حولها، ويشعر زوجها بأنَّه يزيد في عين نفسه بامتلاكه لها، فربما تجد نفسها أفلحت في هذا الميدان.

أو تجرب الشخصيَّة المتحدثة بلطف، وتفكُّه، ورشاقة روح، تجبر البسمة أن تمطَّ شفتيك؛ بل ربما استطاعت أن تهيِّجك علىً بواكير الضحك، أو تلقيك على قفاك من القهقهة، لا يملُّها زوجها، و من يعيشون معها، فهي مفوَّهةٌ فارسةٌ في هذا الميدان.

أو تجرب تلك الشخصية التي تتقن إثارة فضول الآخرين، وتستدرجهم لينطلقوا في الحديث عن أنفسهم، وببساطتها التي تغري الأسرار بالتكشف والظهور عن رضى منهم، وطيب نفس.

أو ربما تكون تلك الإنسانة التي لا يبدو عليها أيُّ تميُّزٍ عندما تراها لأول وهلة، ولكنها مع العشرة تكبر وتعظم وينمو قدرها، من أجل أنها عظيمةً في روحها (تغفر وتتسامح وتنسى الإساءة، وتعفو عن الظلم، وتقابل السيئة بالحسنة، وحظوظ نفسها مفقودةٌ، فمن طبعها العطاء بلا ثمنٍ)، كلُّ ذلك من صفاتها غير أنَّ ظاهرها لا يوحي بالعظمة، لكن روحها توحي بأنها من عظيمات النساء.

أو لعلها تجد في داخلها تلك المرأة المغرمة بالروابط الاجتماعيَّة، وبناء الجسور من المودّة والروح الأسرية، فتربط زوجها بأقاربه وأقاربها، وتشعشع على الجميع روح الوصال، والقيام بالحقوق والمبادرات النبيلة، فيشعر الجميع من حولها بقربها من حياتهم، وأنَّها أحد أفراد الأسرة.

أو ربما هي أنموذج الثقافة، والاطلاع المتنوع، فهي سلة فواكه من العلوم واللطائف؛ تثري جو الأسرة، وتقطف لزوجها أحلى ما يختبئ في عقلها، فالحديث معها كالإسفنجة المتشبعة بالماء، أو .. أو وأمثلة لا حصر لها.

والأهمُّ من ذلك كلِّه بعد أن تتعرفي على شخصيتكِ، حاولي تعزيز الصفات التي تستهوي زوجكِ، فإن كان يحبُّ الثقافة فاملئي أذنيه علماً، وإن كان يحب المديح فاملئي جيوبه مديحاً، وإن كان يحبُّ الجسد فارقصي له، وتمايلي.

❖❖❖❖

البحر والحب

لو ظلَّ زوجٌ عاشقٌ يردد كلمة (أحبك) لزوجته المعشوقة طوال النهار، وبقايا الليل، فلن تكون حياتهما سعيدةً مثاليةً.

ولو صرخ الرضيع جوعاً، فراحت الأمُّ تقدِّم له رضعةً من (محبة)، أو طبقاً من (عواطف)، فلن يكافئها إلاَّ بالصراخ؛ لأنَّ الطفل الصغير بفطرته يفقه معنى الحب؛ أنَّه بذلٌ وإطعامٌ، وليس مجرد غزلٍ وكلام.

تخلق بعض الزَّوجات مشكلةً في مملكتها، وتشعل حريقاً في بيتها، ويكبر (مشروع الاستياء) في عقلها؛ حتى تتوهم أنَّها في

جحيم لا يطاق: وما ذلك إلا لأنَّ زوجها لا يقول لها: (أحبك)، توجهتْ إحداهنّ صوب الهاتف، واتصلت بصديقتها الراشدة الحكيمة، فجرى حوارٌ نافعٌ، لأن رفيقتها (امرأةٌ بحرٌ)، فأقتطع ما يهمُّ منه:

هي: أعاني من زوجي معاناةً أرهقتني، وأفسدت عيشتي.

المرأة البحر: سبحان الله، أعرف أنَّ زوجك رجلٌ شهمٌ، فما الذي جعله يتغيِّر؟.

هي: زوجي كما هو، لم يتغيَّر منذ سنين، ولكنَّ المشكلة التي لا تعرفينها؛ هي أنَّه لا يشبعني عاطفياً.

المرأة البحر: يشبعكِ عاطفيًّا، ماذا تقصدين؟

هي: أنتِ أنثى، وتفهمين ما أقصد؟.

المرأة البحر: والله لم أفهم، ورغم أنِّي درست كلية اللغة العربية أربع سنوات، إلاَّ أني لم أفهم مقصدك!.

هي: أقصد إنَّ زوجي رجلٌ جافٌّ، لا يشعرني بأنوثتي، ولا يدفئ كياني، ولا يملأ فراغي العاطفي، ولا .....

المرأة البحر: ولا، ولا ، ولا ، ولا، والله يا عزيزتي لم أفهم هذه الولولة التي تولولين بها.

هي: لا تسخري أرجوكِ، أنا أشكو من آلامي ومعاناتي، وأنت تهزئين!.

المرأة البحر: إذن احترمي عقلي، ولا تتحدثي بضبابيَّة.

هي: وهل هنالك أكثر وضوحاً من كلامي؟!.

المرأة البحر: بكلِّ بساطة، تحدثي كأنك ترغبين في إقناع القاضي بجريمة زوجك، فماذا ستقولين؟.

هي: بعد لحظات من الصمت، قالت:

قل لي ولو كذباً كلاماً ناعماً قد كاد يقتلني بك التمثالُ

المرأة البحر: ولعلمك، فإنَّ آخر القصيدة يقول:

فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً فالصمت في حرم الجمال جمالُ

كلماتنا في الحبِّ تقتل حبنا إن الحروف تموت حين تُقالُ

إنَّ أمرك عجبٌ، في البداية تتألمين من المعاناة المرهقة، وتصفين عيشك بالتعيس، ثم تختصرين ذلك في بيتٍ من الغزل، فكلامك في البداية غير مقبول، واستدلالك أيضاً غير مقبول.

هي: بماذا تريدين أن أقابل أسلوبك المحرج، يا عزيزتي؟! الأنثى تحتاج للكلام الناعم، ولديها عبارات الغزل أمرٌ ضروريٌّ لها.

المرأة البحر: حسناً، هل تريدين أن تقولي: إنَّ زوجك لا يحبُّك؟.

هي: زوجي لا يقولها.

المرأة البحر: كأنك تتهربين من الجواب، فأنا لا أسألك عن القول؛ بل أسألك عن الحب.

هي: قد يحبني، وربما لا يحبني.

المرأة البحر: أعوذ بالله من كفران العشير.

هي: اهدئي يا صديقتي، نحن نتحاور، لا تتضايقي .... أرجوكِ.

المرأة البحر: عفواً.. نحن لا نتحاور؛ بل أنا أستمع، وأنتِ تتوحين بالشكوى.

هي: ولنفترض أن كلامك صحيحٌ، ما المانع أن أستفيد؟!.

المرأة البحر: أنتِ غير محتاجة إلى فائدة، إنما تحتاجين إلى من

يوقظك من همزات الشياطين.

هي: بدأت أشكُّ أنَّك تتحاملين عليَّ.

المرأة البحر: حسناً، سأقوم بتذكيرك جرعةً جرعةً.

ألم أزرك قبل أيام، وأسألك عن الورود التي في بيتك، فقلت: زوجي (دوماً) يحضرُ لي الورود؟!.

ألم تقولي: إنَّ زوجي ليس من طبعه التأخر عن المجيء للمنزل؟!.

ألم أفتقدك في الإجازة الماضية، وكنتِ تقولين: إنَّ زوجي يستحيل أن يسافر مع أصحابه قبل أن يعطينا حقنا من الإجازة؟!.

ألم تخبريني كثيراً أنَّه قام بإكرام أهلك، والإحسان إليهم؟!.

ألم تخبريني ... عفواً، لقد تذكرت؛ بل قلتِ لي: إنَّه كتب على إحدى الهدايا التي جلبها من سفره، كلاماً غرامياً كأنه قصيدة عاشق.

هي: أظنُّ أنَّ كلامه، لم يكن صادراً من قلبه؛ بل ربما وجد الهدية معلبةً جاهزةً.

المرأة البحر: بالجحود تزول النعم، ومعظم الزوجات يتمنين حياة كحياتك، وزوجاً كزوجك، يحافظ على بريقه بعد مرور (١٥) سنةً، وما انزلقت بعض النساء في (عالم الخطيئة) إلاَّ بسبب تضخيم كلمة (حبيبتي، عمري، قلبي، حياتي، و...)، فراحت تبحث عن الغرام في الحرام؛ بسبب أمر هامشيٍّ.

هي: لكنَّ هؤلاء المسكينات؛ جريمتهنَّ سببها أزواجهنَّ.

المرأة البحر: مسكينات!، أشمُّ من دفاعك عنهن رخاوةً في العفاف، وكأنك تطمعين في أن يحصلن الحبَّ بأيِّ وسيلة كانت.

هي: عجبي!، لماذا تقذفين بالتهمة على الزوجات، ولا تقذفين أيَّ نقص على الأزواج؟!، أم إنَّ كلَّ زوجةٍ تطالب بالعبارات الغراميَّة، تكون راغبة في الحرام؟!.

المرأة البحر: أولاً؛ الحب يتكون من شيئين: (عبارات + سلوك)، والسلوك هو الأهم، بينما العبارات أقلُّ أهميةً بكثيرٍ، وزوجك أعطاك من الحب السلوك، وأنقصك من العبارات، وهذا نقصٌ بلا شكٍ، ولكنه أعطى الجزء الأهم، والأكبر في الحب، وهذا أمرٌ يجب أن لا تتجاهليه.

ثانياً: بالطبع، ليست كلُّ زوجة تطالب بكلمات الحب ترغب في الحرام .. كلا، ولكنَّ الأكيد أنَّ الزوجة التي تخلق المشاكل في بيتها، وتشعر بأنَّ حياتها جحيمٌ لا يطاق، وتثرثر بالتشكي من زوجها في المجالس، أو في أشرطة القنوات الفضائية، أو بالاتصال على المشايخ، أو غيرها أنَّها زوجةٌ تافهةٌ.

ثالثاً: بعض الزوجات انغمست في الرذيلة؛ فنالت من الرذيلة الألم والحسرة، ولأجل أن تتخلص من العذاب النفسي، راحت تتلمَّس لنزوتها العذر، فأعطاها شيطانها مبرر (نقصان الغزل)، من الزوج.

فتبالغ في وصف حرمانها، لتكسب تأييداً من الناس، فيكون في تعاطفهم معها مخدِّر لتخفيف الألم الروحي، وهذا نوع من الحيل النفسية؛ وجواز سفر لاقتحام حدود الفاحشة.

ومن النساء من تنتقد زوجها انتقاداً خشناً حادَّاً؛ ليس لأنَّها مستاءةٌ منه..كلا؛ بل لأنَّها تمهد للخطيئة، وتعشق الحياة في (الأجواء الحمراء)، والسهرات الماجنة بكأسٍ من الخمر، وضحكةٍ (بأنفاس

المجون)، وترغب أن يشرب من أنوثتها أكثر من رجلٍ، ولكن بقاء زوجها في المنزل يعيق تلك (المتعة الغادرة)، فتبدأ برشق زوجها بقوارع لسانها، وتتهمه بأنَّه (بيتوتي)؛ أي دائم المكوث في البيت، فلا يترك لها فرصة الخلو بالمنزل، بينما هي تعلم أنَّها تخفي في نفسها (رغبة خبيثة) تهدف إلى إبعاد زوجها الذي يشكل عائقاً بينها وبين جهنَّم.

هي: الحمد لله، فأنا لا أفكر إلاَّ في زوجي وحسب، وأرغب في أن تكون حياتي مثاليةً.

المرأة البحر: لو تخاطبنا بلغة الأرقام، كم نسبة النجاح التي تعطينها لحياتك العائلية؟.

هي: ٨٥٪.

المرأة البحر: أي بتقدير جيد جداً.

هي: أو أقل، من الممكن ٧٥٪.

المرأة البحر: عالٍ، لازال التقدير كما هو (جيد جداً).

هي: لكن، لا أحد يلومني إن طلبت الكمال.

المرأة البحر: هذا صحيح، لا أحد يلومك في طلب الكمال؛ إنَّما عليك اللوم الشديد؛ إذا كنتِ تشعرين بالتعاسة، والحسرة، والمعاناة، والقهر، و..

هي: لحظة، لحظة، ما كلُّ هذا؟!.

المرأة البحر: هذا هو وصفك لحياتك قبل قليل، ارجعي لما وصفتِ به حياتك، في أسطر الحوار السابق.

هي: حقيقةً، أمنحك وسام (الدفاع عن الرجل).

المرأة البحر: ليس دفاعاً عن الرجل، ولكن أخاف إن ساعدتكِ في شكواكِ من زوجك، أن أدخل تحت وعيد النبي ﷺ لكل من خبَّب امرأةً

على زوجها، والأطفال هم الفرسان في عالم الأحاسيس الصادقة، والعواطف الطاهرة، ولو أجرينا مقارنةً بين حب الأطفال وحب العشاق؛ لاتضح لك الفرق.

هي: في تاريخ آبائنا وأجدادنا، كانت روابط الزوجين أمتن، وعراها أوثق، وكانت ناجحةً بدرجةٍ تخطت المعوقات والصعوبات، وكانت حوادث الطلاق أقل، ومفردات العشاق لم تكن واردةً عندهم؛ بل -كما ذكرتِ- كانت الأفعال؛ هي المقياس.

المرأة البحر: هل أفهم من كلامك الاستسلام؟.

هي: بالطبع ..لا، حاولي أن تفهمي أنَّه اقتناعٌ.

المرأة البحر: إذن دعيني أرسخ اقتناعك بقصة رجلٍ شكا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنَّه يرغب في تطليق زوجته؛ لأنَّه لا يحبها، فقال له عمر رضي الله عنه: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿... وجعل بينكم مودةً ورحمةً...﴾الروم٢١، فقد انتهت المودَّة، وبقيت الرحمة.

فقد تخلو الحياة الزوجية تماماً من (عبارات الهيام)، ومن الحب أصلاً، فالحب ليس هو الدعامة الرئيسة الوحيدة في الزواج؛ بل الدعامة الرئيسة هي الإعفاف والذرية، وبدون الحبّ لن يكون مصير الزواج الفشل، ولا الحكم بالطلاق.

هي: لقد اتصلت بك وأنا مستاءة من زوجي، والآن أرغب في أمرٍ آخر.

المرأة البحر: ما رغبتك؟.

هي: أن تستفيد النساء من هذا الحوار، فقد اتضحت لي أمورٌ واضحةٌ، كنت في غفلةٍ عنها.

المرأة البحر: ستجدين هذا الحوار بالتأكيد في كتاب (المرأة البحر والرجل المحيط).

❖❖❖❖

دينها

دين (المرأة البحر) أساس حياتها الأسرية، وهو السبب وراء حسن أخلاقها مع زوجها، وهو الدافع لعفافها عن غير زوجها، وهو القناعة لتمسكها بحجابها، وسائر أمورها، فنتيجة تدينها هو كمالها، وثقة زوجها بها.

فركوعها وسجودها ليسا كتمارين الصباح، كلا ..؛ بل عبادةٌ تمنحها زيادة إيمانٍ، وصلاحاً لقلبها، واحتساباً في تعاملها مع زوجها، وتربيتها لأولادها، فبعض الزوجات تطيع زوجها اعتياداً وإلفاً، وبعضهنَّ تطيعه عشقاً وغراماً، وبعضهنَّ تطيعه خوفاً من بطشه، وبعضهنَّ تطيعه من أجل مصلحة تتقاضاها على قاعدة: (هذه بتلك، وإن زدتنا زدناك)، وبعضهنَّ تطيعه عوزاً واحتياجاً، ولكن (المرأة البحر) تطيع زوجها؛ لأنَّ الله تعالى أمرها بطاعته، ووعدها بالجنة على تلك الطاعة، فهي تتعبد الله تعالى بقولها: (أبشر، سمعاً وطاعةً، طلباتك أوامر)، وتتعبد الله تعالى بشكره على نعمة الزوج، وتتعبد الله تعالى باحتمال الأذى منه، ولا تقوم بتلك العبادات من أجل أن تنال مكافأة من البشر.

إنَّ الفهم الخاطئ للتدين، داءٌ قديمٌ في عقول الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله إن فلانةً تصلي الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة، قال: (لا خير فيها هي في النار)، وقيل له: إن فلانةً تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان،

وتتصدق بالأثوار (وهي القطع الكبيرة من الأقط وهو اللبن الجامد المستحجر) وليس لها شيء غيره، ولا تؤذي جيرانها، قال: (هي في الجنة) صححه الألباني في الترغيب والترهيب ٢٥٦٠.

فهذه المرأة تفهم الدين فهماً خاطئاً، حيث تقصره على الصلاة والصيام، فصارت في النار، وهنا إشارة لفهم خاطئٍ عن التمسك بالدين؛ حيث تختصره بعض الزوجات في حشمة اللباس، وسماع المحاضرات، وحضور الجماعات في رمضان، وصيام النوافل، وتقطيع الليل بالتهجد وحسب، ثم يكون مصيرها إلى النار؛ لكثرة إيذائها لجارتها، فكيف إذا كانت تؤذي زوجها؟!.

وليس في الكلام السابق إنقاصٌ لقدر الصلاة، والقيام، والصدقة؛ بل فيه تعظيم لأمر الأخلاق، وحسن المعاملة.

فحينما يهجر الزوج زوجته عقاباً، ما الذي يمنعها من مقارفة الخنا، ضاربةً به، وبهجره عرض الجدار، ما الذي يمنعها إلاَّ الدين؟!.

وما الذي يمنحها دفء الاحتساب، والصبر على أذى زوجٍ بلغ شره الآفاق إلاَّ الدين؟!.

وما الذي يجبرها على البقاء تحت قسوة الفقر، ونقص المال إلاَّ رجاء النعيم المقيم في الآخرة؟!.

وما الذي يجعلها تحفظ زوجها في عرضه حال غيابه إلاَّ خوفها من إله حاضرٍ يعلم السر وأخفى تعالى ؟!.

وما الذي يمنعها أن تطلق لسانها في اغتياب زوجها حال غضبها، والشكوى منه، وإفشاء أسراره وشؤونه بين النساء، إلاَّ خوفها من غضب الجبار المنتقم تعالى ؟!.

وما الذي يمنعها أن تترك زوجها ينام غاضباً، وتستدبره غير مبالية إلاَّ شفقتها من غضب الله تعالى، ولعن الملائكة، وخصومة الحور العين؟!.

وما الذي يجعلها تضحي بالمال والوظيفة التي تجبرها على الاختلاط بالرجال إلاّ الدين؟!.

وهل (المرأة البحر) إلاَّ امرأة (ذات دينٍ)، جاءتنا الوصاية بأن نظفر بها؟!؟.

❖❖❖❖

يا ابنة العم

كوني واثقةً

مهما كان ظنك، أو يقينك؛ أنَّ عيوبكِ كثيرة، فيجب أن تظهري أمام الآخرين بمقدار عالٍ من ثقتكِ بنفسكِ.

(المرأة البحر) تشعرك بالثقة في جميع جوانب شخصيتها؛ في كلامها واثقةٌ، وفي مشيتها واثقةٌ، وفي معاملتها مع الناس واثقةٌ، ومن ثقتها أن تبين للرجل أنها فخورةٌ به، وتستمد ثقتها من كونها زوجةً له، وانطوائها تحت جناحه، ومن مظاهر ثقتها بنفسها:

أ-أن لا تجري لاهثةً خلف الموضات، وآخر التقليعات وصرخات الأزياء، ولا تسرف في إهدار الأوقات أمام المرآة، من أجل تصفيف شعرها، أو صبغ وجهها بألوان الزينة، بل هي معتدلةٌ في تقسيم وقتها، ومعتدلةٌ في تجميل جسدها، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين.

ب-ومن ثقتها بنفسها أن ترى قيمتها وشخصيتها في ١-تدينها، ٢-عقلها وعفافها، ٣-تعاملها وأخلاقها.

ج-ومن ثقتها بنفسها أن تتقبل النقد برحابة وانشراح، وأن '
تفقد توازنها حين يواجهها أحدٌ بالنقد، فهي على ثقةٍ أنَّه ليس ك
انتقادٍ له وجاهةٌ وقيمةٌ.

د-ومـن ثقتها بنفسها أن تكون متحدثةً بارعةً، وصاحب
موضوعاتٍ نافعة هادفة.

هـ -ومن ثقتها بنفسها ثقتها بتربيتها، فلا تتغير طباعها حسب
أماكن وجودها؛ بل هي راسخة الجذور، فلا تكون مهرجةً م
المهرجات، ونمامة مع النمامات، وخيالية مع الخياليات، وثرثار
مع الثرثارات، بل شخصيتها راسخة مهما تغير المجتمع.

و-ومن ثقتها بنفسها ثقتها بعفافها حتى لو عاشت في مجتم
يستهين بالعفة، ويبارك العهر والانحلال، فثقتها دوماً تأسر
الزوج، وتجعلها السند المتين الذي يركن إليه، عندما يشعر بتعب
الحياة.

كوني مثقفة

(المرأة البحر) تتحلى بميزاتٍ حسنةٍ كالقراءة، والاطلاع، وتنميا
المدارك، فهي لا تُثقف نفسها لمجادلة الرجل، أو للتميز داخل
المجتمع؛ بل تثقف نفسها حتى تحافظ على دينها من البدع، أو
الفتاوى المغلوطة، وعلى كيانها من الجهل، وحتى تتمكن من عبور
(مستنقع الحياة العكر) بأقلِّ قدرٍ ممكنٍ من الخسائر؛ ولا تعيش
كالخرساء الصمَّاء في عالمٍ واسعٍ مليء بالمتغيرات والأحداث
وليس بالضرورة أن تكون الزوجة (دائرة معارف) متنقلة، ولكن
(يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق)، فالزوج ليس في حاجةٍ إلى
زوجةٍ مثقفةٍ، تزعج عقله بأطروحاتها الفكرية والعلمية، لتتحداه

في نقاشهما، أو لتثبت له أنَّ رأيه غير موفق؛ بل (المرأة البحر) تسخر علمها وثقافتها؛ لتقف مع زوجها، لا لتقف ضده، وترفع معنوياته، لا لترفع نفسها عليه، وتقدِّر جهوده؛ حتى وإن كانت جهوداً متواضعةً، فضلاً عن أن تكون معقولةً أو عظيمةً.

كثيراً ما نرى نساءً في حالة ذهولٍ وانبهارٍ أمام أيِّ ندوةٍ، أو برنامجٍ علميٍّ، أو تاريخيٍّ، وغابت صورةُ الزوجة الناقدة، والمصححة، والخبيرة الواثقة من نفسها على أساسٍ علميٍ، فالعلم يجعل الزوجة أعلى مرتبةً، ويمنحها تهذيباً أكثر، ويصقل نعومتها، ويزيد جودة تعاملها، وحينها ينظر إليها الجميع بتقديرٍ وإجلالٍ، وإن جرى بين الزوجين أحاديث جادّة أو مازحة، ظهر أثر علمها في حديثها لزوجها، لأنَّها ليست (امرأةً نمطيةً)، والعلم يرفع بيتاً لا عماد لهُ.

من المناسب للزوجات أن يطالعن سيرة الشخصيات النسائية المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مثل: النساء الكاملات؛ مريم، خديجة، آسية، فاطمة، عليهن رضوان الله، وابنتا الرجل الصالح الذي زوج إحداهما لموسى عليه السلام، وأم موسى، وبلقيس مع سليمان، وصحابيات مثل: أم سليم وأنس، خولة بنت ثعلبة، وهند بنت عتبة رضي الله عنهنَّ، وكذلك الشخصيات الكافرة، مثل: امرأة نوح، وامرأة لوط، أو امرأة العزيز، وأم جميل زوجة أبي لهب.

(المرأة البحر) لا تزيد ثقافتها وعلمها (بطريقةٍ عشوائيةٍ)، وليست مغرمة بالثقافة العالية وحسب؛ بل تبحث عن العلم؛ لتنتفع به في حياتها، وآخرتها، ومن ذلك اطلاعها على كتب التربية ، من

أجل تربية أولادها تربيةً سليمةً سويةً خاليةً من الأمراض والعقد النفسية، ولتتعامل مع أولادها في كلِّ مرحلةٍ من مراحل أعمارهم بما يناسب تلك المرحلة على بصيرةٍ، فتكون رابحةً لزوجها وأولادها، وهذا هو المكسب الحقيقي في الحياة، وبعد الممات.

كوني غافلة

(المرأة البحر) شاردة الذهن عن الفواحش، بعيدةٌ عن الفسوق، والخديعة، كما يمتدح الله تعالى صنفاً من النساء بقوله: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات...) النور ٢٣، فإن سمعت أحاديث الناس لم يتبادر إلى ذهنها غير الطهارة، ولا يستبق إلى نباهتها غير تفسير الأمور بسلامة الصدر؛ وخصوصاً في نظرتها لزوجها، فلا تظنُّ فيه إلاَّ خيراً وصلاحاً:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من توهم

ومن المذمة ما تتمادح به بعض النساء من معرفتهنَّ بخوافي الأمور المتعلقة بالزنا، والأخدان، والعلاقات، واكتشاف الفواحش، والقدرة على قراءة الأحداث قراءةً لما وراء النصّ، جاهلاتٍ أو متجاهلاتٍ أن النجاة في الغفلة، وليس في التنبيش والتذاكي، فالواحدة من هؤلاء النساء، ليست من (الغافلات)؛ بل من الواعيات المفسرات لكلام الناس، وحياتهم، بمكرٍ وقراءةٍ جنسيةٍ، على القدر العالي من الوعي المذموم، والتعالم في فنون الخطيئة.

كوني شجاعة

من صفات (المرأة البحر) الشجاعة، فهي شجاعةٌ في كلِّ المكارم، شجاعةٌ في قول الحق، وإنكار المنكر، شجاعةٌ في مواجهة

اللحظات المخيفة، شجاعةٌ حين التصرف، والقيام بالمسؤولية في الظروف الحرجة، فمواقف الحياة ليست ناعمة الملامح دائماً، والمصائب تجري في شرايينها:

طبعت على كدرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدارِ

إن الزوجة الجبانة هي سبب وجود الجبناء في الحياة، ولو قمنا بالتنقيب في أعماق الطفولة، لوجدنا أنَّ الشجاعة والجبن ليسا من الوراثة في شيءٍ، وإنما هي التربية وحسب، وما صنع البطولات، أو قتلها إلا الأمهات، فإذا حصل حادث ما، أو أصيب الولد بجرح، فنزل منه الدم، استشعرت (المرأة البحر) أن المطلوب ليس حل المشكلة فقط، وإنما تستشعر أن أبناءها ينظرون إليها، ويقتبسون من شخصيتها، فلا تفزع لرؤية الجرح؛ بل تتمالك نفسها ولو ظاهرياً، وتتعامل بشجاعة وثقة، فما صرخ الأطفال لمشاهدة الجروح أو الدم، إلاَّ لأنهم رأوا أمهاتهم، أو من رباهم يصرخ، ويخاف، ويفزع، ويصيح، فوقع الولد فريسةً لتربيةٍ صامتةٍ، رضع فيها الخوف من صباه، وقس على ذلك تلك الأسلحة الإرهابية التي تستعملها الأم الجاهلة في تربية ولدها، فتخيفه من الصرصار، والحرامي، والذئب، والموت، فالأم هنا تقتل كائناً معنوياً بداخل طباع الولد، وهو الشجاعة.

وكما تتلذذ الأم بأن تنسب أحسن طباع أولادها لتربيتها، وتستمتع بمديح من حولها لتربية أولادها، وتنسب النجاح لنفسها، كما يقال في المثل: (من القواعد المقررة أن عظماء الرجال، يرثون عناصر عظمتهم من أمهاتهم)، فيجب عليها أن تتحمل نسبة فشلهم إلى تربيتها، وتقصيرها، وإهمالها، فليس من العقل أن تقول:

امتدحوني إن نجح أولادي، واحذروا من انتقادي إذا فشلوا؛ لأن هذا كلام من لا عقل له.

(المرأة البحر) أشبه بشمعةٍ تضيء في كهفٍ، ووردةٍ تعطر الدنيا، وإن لم تظفر بأنفٍ، يقول ابن الجوزي رحمه الله: (وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلاَّ بإذنه ، وتقدم حقه على حق نفسها وحقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه بقبيح إن كان فيه)، وهذا مما يغيب في زماننا للأسف لازدحام الحديث حول حقوق المرأة مما جعل النساء يحتقرن ويجحدن حقوق الزوج، ويتعاظمن حقوقهن، وقد أسهم في ذلك للأسف بعض الفضلاء بحسن نيّة دون أن يدركوا عواقب فتاواهم، وتأليفهم، وأقوالهم، ونصائحهم التي استغلَّها دعاة التغريب؛ فما شدَّة الضوضاء المنادية باستعلائهن على أزواجهنَّ، ومساواتهن بالرجال إلاَّ (إفسادا) مبطناً بلباقةٍ وكياسةٍ تطغى بزركشتها على العيون، مع أنَّ النبي ﷺ قال ما هو أعظمُ من المملوك: (لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) رواه الترمذي و أحمد . وصححه الألباني / صحيح الجامع ٥٢٩٤، فأين التعظيم المطلوب من بعض نساء عصرنا؟ وأين توقير أوامر الرسول ﷺ فإذا كان صيام رمضان للمرأة المسلمة عبادةً يجب القيام بها، بالرغم من شدَّة الحرِّ، وألم الجوع، وجفاف الظمأ؛ ولا مجال للاعتراض، فإنَّ الاحتساب في تلك العبادة مثل الاحتساب في طاعة الزوج، ومراعاة قلبه، حتى ولو كان فيه من الصبر والتحمل مثل حرِّ الصيف، أو ألم الجوع، أو لهيب الظمأ.

كوني خفيفة

تحمل (المرأة البحر) في جعبتها خفة الدم، والمقالب، والشقاوة، والتصابي، ووردة حمراء، وعصفور التغزل زقزقَ، مدركةً أنَّ خفَّة الظلِّ منحةٌ ربانيَّةٌ كجمال القسمات، وموهبةٌ تستحقُّ الاجتهاد لتعلُّمها، والمرأة التي تخطئ الطرافة والاستظراف تمنح من حولها مجاجةً تهيِّج الغثيان، وتقرأ ذلك الغثيان في ملامح المحيطين بها، ولأجل هذا تدرك (المرأة البحر) أهميَّة الاستلطاف وملاحة الظلِّ، ولكن متى كانت غير واثقةٍ منها، فهي تتراجع عنها؛ لتتعلمها بهدوءٍ حتى تصل إلى حدِّ الإتقان.

فخورة به

نعم يكفي أنَّه منحك الاحتضان، والرعاية، والأبناء في الدنيا، وأنه بوابتك في الآخرة إلى الجنان، أو إلى النيران.

تحدثي أمامه، وأمام الناس؛ بأنَّك فخورة به، وأظهري مميزاته، حتى لو كانت واحدةً؛ وهي أنَّه احتواكِ.

احرصي على تنمية علاقة الأبناء بوالدهم عن طريق:

١ - استخدام الكلمات والتعبيرات التي تربى فيهم الاعتزاز والحب له، وتشعره بذلك مثل تقبيل يديه عند قدومه، وعند ذهابهم للنوم، وتنمية الكلمات المحترمة مثل؛ (حضرتك، يا والدي الحبيب)، وغيرهما.

٢ - ممارسة بعض الألعاب مع زوجك وأولادك، واللهو سويًا يضفي جوًا من الألفة والمتعة المتبادلة.

٣ - الخروج من الغرفة لفترةٍ وجيزةٍ، وترك الطفل مع الأب وحدهما، يشعر الأب بالثقة في قدرته على تحمل مسؤولية تربية

أولاده، (أكثري من ذكر المواقف أو الأشياء الجميلة عن الأولاد، وما فعلوه، وما قالوه و...).

إنَّ من المؤسف أن يكون الزوج وجيهاً في الناس، يجد التقدير والاحترام حيثما حلَّ وارتحل، وتقف له الناس في المجالس، وتتناقل الأفواه جميل سجاياه، ولا يجد الانتقاص في حياته إلاَّ من زوجته وفي بيته فقط.

ومثله الرجل العظيم الذي يلقى التحقير من زوجته وحسب، ومثله العالم الذي يجد المهانة من زوجته، ومن الصعوبة على نفس الكريم أن لا يجد من يتهمه بالبخل إلاَّ زوجته، والفكاهة أن يقال للزوج الجميل: ما أقبحك.

كوني خاضعة

نهى القرآن الكريم المرأة عن الخضوع بالقول للرجل الأجنبي؛ لأنَّ الترقق والخضوع يغوي بها، ويزيد الطموح في محاولة الوصول إليها، ويتعب نفوس الكثير من الرجال بالانجذاب، والتطلع لمحاسنها؛ حتى ولو كانت لا تقصد ذلك كما يقول بشار بن برد:

أُنسٌ غَرائِرُ ما هَمَمنَ بِريبَةٍ كَظِباءِ مَكَّةَ صَيدُهُنَّ حَرامُ

وحيث إنَّ الرجل يتطلع لهذا (المغناطيس الأنثوي)، فإنَّ (المرأة البحر) تمنح زوجها ما تتطلع له نفوس الرجال من الكلمة الحانية الرقيقة، وتدرك أنَّ تأنثها ورقتها تجذبه، وأنَّ العنف بخلاف ذلك، فالقسوة منها تشتت الحنان، والشهوة، والانجذاب، ونقصان انجذاب الرجل للجنس، واللحظات الحميميَّة دليلٌ على نقصان العواطف، حتى يصل إلى انعدام الجنس الذي يدلُّ على الرفض التام.

تخطئ بعض الزوجات عندما تتصور أنَّ مجرد التعامل الحسن، والتصرفات اللطيفة منها كافيةٌ في جذب زوجها لها، وهذه من المفاهيم التي تحتاج إلى تصحيح، حيث تركز النهي في الآية على التحذير من (الخضوع بالقول)؛ لشدة تأثيره على الرجال، وهذا دليل على أهميته؛ فالزوجة مطالبةٌ بتوفير الناعم من القول، والدافئ من العبارات، والميوعة في التدلل، والتغنج في الحديث، والتأنق في الكلمة، ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن...﴾ الإسراء ٥٣.

وقد تتغنج الزوجة على زوجها، وتتدلل بأنوثتها، فيفهم الزوج غير ما ترمي إليه الزوجة، فيفسر الزوج تصرفها بأنه (تمنُّعٌ قبيحٌ)، وغرورٌ وتكبر عليه، فتتولد مشكلةٌ غير واضحة المعالم، وربما كبرت المشكلة، لأن الزوجة تكره أن يجحد زوجها فضلها، وهو يرى أنَّه لم يصنع شيئاً سيئاً حتى تتعالى عليه، وما ذلك إلا لضعف التواصل، وسوء التفسير المتعانق مع سوء التعبير.

كوني مستسلمة

ولا يفوتني في هذا الموضع أن أذكر بما دعت إليه الكاتبة الأمريكية لورا دويل في كتابها (المرأة المستسلمة) من تحريض الزوجات إلى العودة لغسيل أقدام الرجال، والسهر على راحتهم، وعمل كل شيء لجعلهم كائنات لطيفةً؛ بحجة أنَّ الرجل حين يكون لطيفاً، فإنَّه أكثر حناناً بمشاعره من المرأة. واعتبرت أن المرأة المستسلمة ليست بالمرأة المقهورة، فلا قهر بعد استسلام؛ بل هو حبٌ وتفانٍ ورغبةٌ في إسعاد الزوج بالكلام الناعم.

وأن الزوجة المستسلمة لا تتأفف ولا تتبرم ولا تعلو بصوتها على

زوجها، والزوجة المستسلمة في المفهوم الأمريكي الجديد هي التي لا تحاسب زوجها عند الرجوع متأخراً، وهي التي لا تسأله كم صرف؟، وكم ادخر؟، وعلى من صرف؟، ولماذا أسرف في الصرف؟.
وعندما تتكلم مع زوجها عليها أن تقول: (أشعر وأحس)، و(عندي كلام)، بدلا من (أعتقد أو في الواقع)، فتلك البدايات ليست ألفاظًا بل ألغاما تتفجر عند بدء النقاش.
ووضعت لورا دويل سياسةً جديدةً لإرساء السلام في بيوت الأزواج المتحابين مفادها:

١-إعلان الاعتذار الفوري عن أي خطأ صغيرٍ، تكدرت معه، أو بعده صفحة وجه الزوج، أو مشاعره.

٢-ترك الموقف وإعلان الرغبة في الانسحاب من المكان ومغادرة البيت أو الغرفة.

٣- تجنب التصعيد المتبادل.

٤-أن تركز المرأة على بناء اهتماماتٍ موازية وبديلة من التركيز على الرجل، وجعله محور حياتها، الأمر الذي يخنق الرجل، ويجعله يفكر في الفرار.

كوني أنثى

الرجولة المكتملة تفتقر للأنوثة الحقيقية، والرجل السويّ يعيش الشتات في حياته حتى يجد المرأة الأنثى؛ التي تمتلئ بالأنوثة روحاً ومعنى، (فالمرأة البحر) تلخص الأنوثة في أمورٍ:

١-الاستقرار في المنزل، وملازمة البيت، وعدمُ الخروج إلاَّ لحاجةٍ، وهذه الصفة يمتدح بها الله تعالىالنساء بقوله: (وقرن في بيوتكن...)، (واذكرن ما يتلى في بيوتكن...) الأحزاب ٣٣-٣٤، (لا

تخرجوهن من بيوتهن...) الطلاق ١، فنسب البيت إلى الزوجة، وهي غير مالكة له في الحقيقة، ولكن نسبة البيت لها جاء في القرآن الكريم لكثرة لزومها له، وبقائها فيه، وأم موسى عليها السلام، تؤيد ذلك المعنى؛ بأن تصارع اللهفة على ولدها، وتتمالك نفسها، وتبقى في بيتها، وترسل ابنتها الصغيرة لتتبع أثر ولدها، الذي ألقته في اليم: (وقالت لأخته قصيه، فبصرت به عن جنبٍ وهم لا يشعرون) القصص ١١، ويؤيد ذلك أيضاً امتداح الله تعالى للحور العين؛ بأنهنّ حورٌ مقصوراتٌ في الخيام، فهي خصلة من خصال (حوريات الجنة)، بالرغم من خلو الجنة من الفتنة، وخلوها من نظرات الذين في قلوبهم مرضٌ، فكيف لا تحرص عليها (حوريات الدنيا)، وهنَّ في دار البلاء، وعصر المجون والانفتاح المذموم؟!.

٢-خفض الصوت، والخضوع بالقول للزوج، والسكون والهدوء، ورفع الصوت، والعنف، والضجيج مظهر من مظاهر الاسترجال.

٣-التعامل مع الأشياء من حولها برقةٍ، ونعومةٍ، وترك الخشونة في الحركات، والألبسة، والمشاجرة في كل أمرٍ.

٤- قصر النفس في الجدال مع الناس عموماً، ومع زوجها خصوصاً، ويقينها أنَّ للأسرة (ولي أمر)، ولو أرادت الحوار مع زوجها، فلابد أن تكون هينةً، لينةً، خافضةً لعيونها، رقيقةً في عباراتها، لا أن ترد كلامه، وتتعمد مخالفته، و(المرأة البحر) تفرق بين (نقاش المنازعة) للزوج وبين (نقاش الإيضاح والاستيضاح) في قضية حيادية، من حقها تناولها ومناقشتها، ورغم هذا وذاك، فإنَّ الأنوثة الحقَّة الكاملة، لا تطيل الجدال، وتزيد في النقاش.

٥- الاهتمام بأناقة الروح وتجمُّلها، فالأناقة الخارجية تكفي

باعتدالٍ، ولكن ما فائدة العطور، والمكياج، والملابس إذا لم يكن تحت الثّياب أنوثة؟!.

٦- الحياء ومن ذلك نعومة النظر وانكساره، فالعين الجريئة تكون في جفن رجلٍ، إلاَّ أن تخلع حواء أنوثتها وتشابهه، وقد جاءنا في وصف سيد المرسلين ﷺ (أنّه كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها) متفق عليه، فالتأنث بضاعتهن وكنزهن.

❖❖❖❖

اعملي دوما

تطهري

(للمرأة البحر) طموحٌ للكمال، كمالٌ في قلبها، وروحها بالدين، وكمالٌ في مظهرها بالاحتشام والعفاف، وكمالٌ في أخلاقها بالحياء والعطاء والبعد عن الإيذاء:

(المرأة البحر) قلبها طاهرٌ خالٍ من الحقد، والحسد، والبغض، والانتقام، و(الغيرة البغيضة)، والكِبر.

جمال الوجه مع قبح النفوسِ كقنديلٍ على قبرِ مجوسي

(المرأة البحر) ذات مقاييس (عالية الجودة) في النظافة والتطهر، ويأتي في مقدمة اهتمامها:

أولاً: الاستحمام ونظافة جسدها نظافةً دائمةً، واستعدادٌ يصل إلى حد التطبع، ثم الطبع، فتكون في كلِّ أحوالها زهرة تفوح بالعبير، وكما قالت الأعرابية لابنتها: (... واعلمي أن أطيب الطيب الماء...).

ثانياً: (المرأة البحر) مهتمَّة لنبات الشعر، ومعاهدته بالإزالة، فتزيل الشعر غير المرغوب فيه، مع احتسابها للأجر في تطبيق

هذه السنة، حتى يكون هذا الجسد فواحاً بالرائحة الزكية المنعشة من جبينها إلى ليونة قدميها؛ خصوصاً المصافط والمطاوي، (فالمرأة البحر) واثقة بأنَّها تعطّر أنف زوجها بنظافة جسدها كله؛ ما خفي منه، وما ظهر، فقربها منه؛ إمتاعٌ لقلبه وأنفه بكل عبيرٍ طيبٍ ومفرحٍ، فالاستحمام ضروريٌّ يومياً قبل توجهها للنوم في الشتاء، وأكثر من مرّة في الصيف.

حقاً إنَّ الحالة المادية تتفاوت بين العائلات، فلا يتساوى الناس في امتلاك العطور، والمجملات، ولكن الجميع متساوون في امتلاك المياه، وتوفرها في البيوت؛ حيث تحصل بها النظافة، فالماء أسُّ الطهارة، وأساس النظافة.

ثالثاً: فرشاة الأسنان أرخص من قلم الروج؛ حيث يكون الفم نظيفاً زكي الرائحة، وبأسنان بيضاء؛ يبعثان على الراحة والطمأنينة، ويغريان بالتأمل والشمِّ.

رابعاً: نظافة بيتها: ليس لنظافة البيت علاقةٌ بجودة الأثاث، أو جماله، فلا تتصور المرأة أن بيتها لن يكون نظيفاً إلاَّ مع أثاث جميلٍ، فقد يكون بيتك كوخاً نظيفاً، ليس فيه إلاَّ حصيرةٌ، ولكنَّه أجملُ من قصرٍ تنبعث منه رائحة العفن، وتنتشر في زواياه ذرات الغبار، لكلِّ شيءٍ عنوانٌ، ونظافة البيت هو عنوان (المرأة البحر)، فبقايا الأكل بين خبايا الفرش، أو خيوطٌ ملتصقةٌ ومتشابكةٌ بشدةٍ بالموكيت، وجريدةٌ ملقاةٌ من عدَّة أيام أو أو أو؛ يدل على أن البيتَ ليس (للمرأة البحر)، فهي تنبه جميعَ الزوجات إلى أن يكون البيت على استعدادٍ دائم لأيِّ ضيفٍ، ولأيِّ ظرفٍ، وفي أيِّ وقتٍ، وتبقى الأهميَّة الكبرى لنظافة غرفة النوم، وحمام الزوج.

خامساً: نظافة الأولاد، وقصة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وتغسيلها للحسن رضي الله عنهما قبل تقديمه للنبي ﷺ خير شاهدٍ.

رتِّبي

الأناقة (الجسدية) مع الأناقة في اللباس، أمران غير قابلين للانشطار، (فالمرأة البحر) تدخل السرور على زوجها إذا نظر إليها، بجودة صحتها، وتناسب أعضائها، ولباسها الذي تجمله ويجملها، فرشاقتها تقوم بإكمال ما تبقى من اللوحة الجماليَّة، فلا تبدو للناظرات بملبسٍ أنيق، ثم نرى جسمها داخل ملابسها غير أنيق، فتحلُّ البركة في أطرافها، وتتمدد في كل اتجاهٍ حتى تبكي الشحوم على (أطلال الرشاقة).

(وما صفا صوت العود إلاَّ لخلوِّ جوفه)

كوني كالمزمار الذي يخرج صوتاً لذيذاً لأنَّ جوفك خالٍ من الدسم.

تظل بعض الزوجات سنواتٍ متضجرة من وزنها، وضخامة جسمها، ولكنَّها تبقى خاملةً بدون حراكٍ، بقيت مع التشكي والتذمُّر، ولم تقدِّم مبادرةً، ولم تغيِّر شيئاً، واكتفت بهاجس الرعب، وبالصراخ الدفين من داخلها، يقول: يا فلانة: يكفي.. فقد بدأت الحرب بينك وبين ملابس العام الماضي.. وأحذيتك صارت ترفع شعارات معارضة مكتوبٌ عليها (كفاية) (كفاية)، وسريرك يصرخ من شدة الاختناق: الوضع سيءٌ، ولكن تبقى الإرادة الحازمة مفقودة، والانتصار من نصيب الأكل.

تزداد أوزان بعض الزوجات مع زيادة العمر، و(عذرهن الباهت):

أنّ المرأة لا بدَّ لها بعد الحمل والولادة أن يزيد وزنها، وحينما يفكر الزوج بالتعدد، تتضايق كمداً، وتخنقهنَّ العبرات، وتزيد من البلاء بأن تشتكي للناس، وليتها رفعت يدها عن صحن الطعام، وزادت فترات الجوع، ورحمت نفسها، وملابسها، ورحمت زوجها من أطنان الشحوم؛ ونهضت عن الافتراس، وتوقفت عن الشره الزائد، وعلمت أنَّ الإكثار من أكل اللحوم، قتل الأسود في فلواتها، فكيف لا يقتل الزوجة في بيتها؟!.

ثم مارست التمارين الرياضية، لتكون حالها أفضل وأحسن من ناحية الصحة والابتعاد عن (الأمراض)، ومن الناحية الاجتماعية بأن تبتعد عن (الضرَّات)، تقول إحدى الزوجات البدينات: (كنَّا نقوم بالتحليل من أجل الحمل، فصرنا نقوم بالتحليل من أجل السكر والضغط).

العافية والجمال في سماع نداء الرشاقة، وممارسة الرياضة باستمرار، وترك التحجج بعدم وجود المكان، فإنَّ لعبة الحبل، وتمارين شدِّ البطن لن تأخذ من وقتها الكثير، ولا تحتاج لمكانٍ مخصص، وترك التحجج بعدم وجود الوقت، فخبراء الرياضة يؤكدون أنَّ عشر دقائق يومياً من الرياضة بانتظام تحقِّق المطلوب، وهي أولى وأهمُّ من إهدار ساعةٍ وأكثر في التجميل.

إن طول الأعمار بعد القضاء والقدر يتضح في من قلَّ شحمه، ولحمه، وخفَّ وزنه، أما أهل السمن والبدانة، فإنَّ ثقل أوزانهم يفتت عظامهم مع مرور الزمن، ويطحن غضاريفهم، وإنَّ الإنسان البدين الذي يكون وزنها ٩٠ كيلاً، أشبه بإنسانٍ يزن ٥٠ كيلاً، يحمل على رأسه إنساناً بوزن ٤٠ كيلاً طوال عمره، فهل تظنون

أن يعيش مثل هذا الإنسان طويلاً؟!.

(المرأة البحر) زوجةٌ أنيقةٌ، لا تسعى لأن يتحدث المجتمع عن تعدُّد فساتينها في السهرات، فعقلها أكبر من أن تهتمَّ بالقشور تاركةً الذات والجوهر؛ بل تتأنق لزوجها كلَّ ليلة كأنها في ليلة الزفاف، وتستعد لمجيئه كما كانت تستعد أيام الخطبة، وأول أيام الزواج، ولا تحتاج الأناقة المنزلية كبير جهدٍ.

أناقة البيت وترتيبه، كتسريحة شعرها، وترتيب كلامها وحديثها، فالأثاث المتناسق يغري باحترام صاحبة الدار، وكلُّ غرف البيت تستحق نصيباً من الاهتمام، إلاَّ أنَّ أهمَّ غرفتين في الدار:

١- غرفة النوم وجلوس الزوج، فغرفة نومه، أو نومها، أو نومهما مرتبةٌ ومعطرةٌ، فبعض الرجال لا يرغبون في المنام في غرفة واحدة مع زوجاتهم، كما يقول ابن الجوزي رحمه الله: (فالاطلاع على بعض العيوب يقدح في المحبة، فينبغي لهما جميعاً الحذر من ذلك، ولهذا ترى الأكابر ينامون منفردين لعلمهم أنَّ النوم يتجدد فيه مالا يصلح)، وإن كان الأصوب، والأهنأ، والأكمل هو فعل المصطفى ﷺ؛ حيث كان ينام مع كلِّ زوجة من زوجاته في غرفةٍ واحدة.

٢- غرفة استقبال الضيوف، يجب أن تكون مستعدَّةً كلَّ لحظةٍ؛ لاستقبال الضيوف.

٣- دورات المياه، وعماد نظافتها؛ هو الماء، فإنَّ الأمر لا يُكلِّف إلاَّ الرشّ، والفرك.

استقبلي وودعي

(المرأة البحر) تعتني (بفنِّ الاستقبال الأنثوي)، لأولى لحظات دخول الزوج، فتعطي (الانطباع المبدئي)؛ المفعم بابتسامة

الترحيب، وابتهاج الكريم حين يسامر الضيف المحبوب، وهل هنالك ضيفٌ في الحياة يستحق كرم الضيافة أكثر من زوجها؟!.

فمن مسؤولية (المرأة البحر) أن تكون خليلةً متفانيةً، يكتمل بابتسامتها جمال البيت المرتب الذي يجعل من بيتها (مملكتها)، دنيا حالمة لزوج يتعطش لأنوثةٍ تحتويه، ودوحةٍ يتفيأ ظلالها، ثم تختم استقبالها بترتيب نفسيتها، فلا تستقبل زوجها بناءً على ما يوحي بها تجاعيد وجهه حين دخوله، أو تتعامل بسطحيةٍ مع تقطيبات جبينه؛ بل هي تؤمن بأنَّه هرب من لهيب الحياة إلى راحة البال، وهدوء الخاطر، فربما غابت عن وجهه علامات البشر والابتسامة.

ولا أفسد جمال الأسطر الماضية بذكر الزوجة التي تلهو في شؤون البيت حال قدوم الزوج، بينما يباشر الأولاد استقبال أبيهم، أو تواصل الزوجة محادثتها على الهاتف حين مجيئه، أو تجلس مشدوهةً أمام شاشة التلفاز، أو تنهمك بين أسطر المجلة، فتكون آخر الآتين للسلام عليه، أو ربما تناهت في سوء الأدب، فبقيت تنتظر الزوج حتى يأتي للسلام عليها، ومن تجرؤ علي ذلك، فلا تستكثر منها؛ أن تتركه يذهب إلى عمله، وهي تغطُّ في نوم عميقٍ.

لا بأس من العتاب

العتاب يحتاج إلى نوع من المهارة، فهو أداةٌ حادّةٌ، ينبغي أن نتعامل معها بحذرٍ، فهو لذيذٌ أحياناً، ويقرِّب القلوب، ويصفّي

النفوس النبيلة، ويخرج نفائس الوجدان إذا كان من يستخدمه غوَّاصٌ ماهرٌ، وهكذا يكون عتاب (المرأة البحر)، فهي غواصةٌ ماهرةٌ، لأنها امرأةٌ بحرٌ، وهي أدرى بالغوص فيه، فبعتابها تذكي (جذوة الحب)، ولا تطفئه بتصيُّد الأخطاء والهفوات، ولا تتحرَّى الزلل، ولا تبالغ في وصف العيوب وآثارها، ولا تقتنص أخطاء زوجها العفوية، اصطياد (المتلهِّف للخطيئة)؛ بل روحها على قدرٍ ضخم من النضج، وبطبيعة الحال، فإنَّ الزوج يقدّر الزوجة التي تتجاوز، وتغفر، وتسامح، وتبرر لزوجها تقصيره، وتكون كاتمة لسره وحاله، فلو رأت تجاوزاً من الرجل، فإنَّ حكمتها ترشدها أن تتسامح، ولا تتسرع، ولا ضير في أن تتجاهل زلاّته، وأن تلقي بنفسها بين (أحضان الصمت)، وتتحلى بالكتمان حتى ولو تكرر الخطأ، فإذا بلغت الروح الحلقوم، ووصلت السكين العظم أذنت لنفسها بالعتاب، وحينها يكون حديث (المرأة البحر) حديث الزوجة الودود للزوج المحبوب، وليس تقريع السيد لخادمه، أو تأنيب الوالد الغليظ للولد الفاشل، وتضع (المرأة البحر) بعض المهارات العتابية المقترحة:

١- أن يكون العتاب مغلفاً بتساؤلٍ يفهمه اللبيب دون إساءة لرجولته.

٢- أو كلاماً غامضاً يجعل الرجل الغبي يدع أيَّ شيءٍ في يديه، ويلتفت صوبها ببراءة، وهو يستفهم ويطلب الاستيضاح، وهنا عليها أن تعاتب عتاباً قصيراً جاداً.

٣- الابتعاد عن انتقاد الشخصية، بل انتقاد السلوك الخاطئ فقط، فمن الحكمة الابتعاد عن هذه الألفاظ التي تنتقد شخصية

الزوج مثل: (أنت لا تحترمني، أنت مذنب، أنت أناني، أنت جاف، أنت زوج خال من الذوق، عديم الضمير، أنت ما فيك رحمة، أنت دائم التأخير ولا تقوم بإحضار الطلبات في وقتها)، وأن تستبدل بها هذه العبارات على سبيل المثال:

- جرحتني بعد كلمتك الفلانية.
- لا زال أملي فيك أكبر مما تتصور.
- خيرها في غيرها حبيبي.
- هل يُعقل أن يصدر منك هذا؟!، أجزم أنه لا يُعقل.
- أنت في عيني أكبر من هذا بكثير.
- البارحة لم تفارق خيالي .... كنت أستغرب تصرفك الفلاني.
- لا بأس .... لعل المستقبل يكون معك أفضل.
- أرجو أن لا يكون إهمالك لي بسبب تقصيري في حقك.
- أنا متيقنةٌ أن هذا ليس من طبعك ..... ولكن لكل جواد كبوة.

٤- (المرأة البحر) تتذكر أن الكلمة الطيبة صدقةٌ، فتسعى في الوصول إلى مرادها بكلمةٍ طيبةٍ، لتجمع خيري الدنيا والآخرة.

بعض الزوجات تطمح في محبة زوجها لها، في الوقت الذي تتلهف لزلته وخطئه في ابتهاج، وتعاتبه عتاباً غليظاً على كلِّ هفوةٍ وعثرةٍ، ثم تقوم بالحديث عنه، والتشهير به في منزل أهلها، أو بين أهله، أو عند صديقاتها، وتجعل من لحمه في غيبته وجبةً شهية للتناول، ناسيةً أنَّ الفرح بهفوات الناس مصيبةٌ في صميم شخصية البشر، ولا تتسع كرامة الزوج، ولا تتسامح مع زوجةٍ تتصيد أخطاءه.

٥- الإسراف في العتاب ينفر الزوج من بيته، ويختصر مدة مكوثه فيه، فالعتاب معناه أنَّك شخصيةٌ سيئةٌ في نظري وهذا معنى لا تطيقه النفوس، وأغرب العتاب (أن تعاتب المرأة زوجها: لماذا لا يحبها؟!).

٦- أقبح منه أن تعاتبه على ذلك علانيةٍ أمام أولادها، أو أمام الآخرين.

كيف لإنسانٍ يطمح أن يحبه الآخرون في حين أنَّه يعاتبهم؟!، أو بمعنى أدقّ؛ يسيء إليهم بالعتاب، فمن أراد أن يحبه الناس عليه أن يبتعد عن أذيتهم، وأن يصبر على أذاهم (لأنَّ كثرة العتاب إيذاءٌ، ومثار استياء).

وكما أنَّه لا يحقُّ للإنسان أن يعاتب رفيقه قائلاً: (لماذا لا تحبني؟!)؛ لأن الاستنكار هنا يقع عليه هو، وليس على صاحبه الذي لم يحبه، فالحب لا ينشأ إلاَّ بعد صنع أسبابه، لأنه ليس من الصلاحيات التي نحصل عليها بالوراثة؛ بل المطلوب أن أجدك تتخلق بأخلاقٍ حسنةٍ حتى أحبك، وليس المطلوب بأنَّ تحاسبني، وتطالبني بمحبتك، فالزوجة الحكيمة تجعل زوجها يحبها، لا أن تأمره، وتطلب منه أن يحبها، فالمحبة لا تُطلب؛ بل تُكسب، و(المرأة البحر) تعلم أن الحب معنى جميلٌ، يضيع بهاؤه، يخبو جماله عندما نطالب به، يقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
فإني رأيت الحبَّ في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

وفي العتاب أمرٌ مهمٌ، وهو:

٧- حاولي الثناء على الزوج أثناء العتاب، فيكون الترتيب بهذه

الصورة: (الثناء أولاً ثم العتاب ثانياً)؛ فتقول (المرأة البحر): أنت زوجٌ طيبٌ، وشخصيةٌ يحسدني عليك النساء، لكن فيك شيءٌ ينقص طيبتك).

٨- ينتج من كثرة العتاب، وتذكير الزوج مراتٍ ومراتٍ، ومحاولة استثارته، وتحميله جميع ما يحصل من أخطاءٍ، والإكثار من المطالبات، أن تتحول نفسية الزوج إلى (التراجع، والتحفظ، والجموح)، وكما أن الحب يعمي عن المساوئ، فإن البغض يعمي عن المحاسن، وحين يتعالى منسوبه، ينتج عنه آثارٌ، لعل من أبرزها (صمت الزوج)، و(صومه عن الكلام)، مردداً عند دخوله لمنزله: (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) مريم (١٠) فتتضايق الزوجة، وتبدأ استنطاقه بكثرة الأسئلة، متقمصةً شخصية (السيدة سؤال)، فتزيده تنفيراً وابتعاداً فوق الابتعاد والنفور القديم، فيستثقلها زوجها في البيت، ويستثقل حديثها في المشاوير القصيرة، ويستثقل صحبتها في السفر وفي الحضر، فلم تعد هي الزوجة، الصديقة، الصاحبة، المحبوبة.

٩- ومن نجاح المعاتبة أن تخلط الزوجة العتاب بالكوميديا، فتزيل توتر الموقف المشحون بخفة ظلها، وتمحو وجه الكآبة الناتجة عن الخطأ بظرفها، وتعليقاتها الفكاهية التي تملؤها بتدليل زوجها.

جازيه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ بابنة له، فقال: يا رسول الله، هذه ابنتي قد أبت أن تتزوج، فقال لها النبي ﷺ: (أطيعي أباك، فقالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرني؛ ما حق الزوج على زوجته، فقال النبي ﷺ: (حق

الزوج على زوجته، أن لو كانت به قرحةٌ فلحستها، أو انتثر منخراه صديداً أو دماً، ثم ابتلعته، ما أدَّت حقه) حديثٌ حسنٌ، وقد جوَّد إسناده المنذري في الترغيب، وصححه الألباني / صحيح الجامع ٣١٤٨

وقال ﷺ لعمة حصين بن محصن: (انظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك) وفي رواية أخرى فسألها: (أذات زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه (أي لا أقصر في خدمته وطاعته) إلا ما عجزت عنه فقال لها: انظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك) قال الحاكم: صحيح، وأقرّه الذهبي، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب صححه الألباني / صحيح الجامع ٧٧٢٥، وجاء في مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشرٍ، ولو يصلح لبشر أن يسجد لبشر؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه) صححه الألباني - صحيح الجامع ٧٧٢٥

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (ما ينبغي لأحدٍ أن يسجد لأحد، ولو كان أحدٌ ينبغي أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأةَ أن تسجد لزوجها، لِما عظَّم الله عليها حقه) حديث صحيح أخرجه الترمذي، وابن حبان في صحيحه، حسنه الألباني في الإرواء ٧ / ٥٤.

فإن كانت عظمة السجود في الإسلام بالمكانة التي لا تكون إلاَّ لله تعالى، ومن بذلها لغيره، فهو خالدٌ مخلدٌ في النار، ومع ذلك لو أباحها الرسول ﷺ لما كان ذلك الاستثناء إلاَّ للزوج حين تسجد له زوجته، فإنَّ في هذا دلالة جليَّة على أن أوجب الحقوق على المرأة بعد حق الله تعالى هو حق الزوج؛ حيث لم ينل الوالدان مثل هذا

الفضل والمكانة، وهما اللذان قرن الله تعالى حقهما بحقه؟!.

وهل جعل الله تعالى هذا الحق العظيم مطلوباً للأسياد على الجواري والإماء والعبيد؟!، أم أنَّ حق الزوج على زوجته أعظم وأكبر من ذلك؟!.

اخلفيه

يقول محمد بن عثيمين رحمه الله: (كذلك المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، يجب عليها أن تنصح في البيت، في الطبخ، في القهوة، في الشاي، في الفرش، لا تطبخ أكثر من اللازم، ولا تجهز الشاي أكثر مما يحتاج إليه، يجب عليها أن تكون امرأةً مقتصدةً؛ فإن الاقتصاد نصف المعيشة، غير مفرطة فيما ينبغي.

مسئولة أيضاً عن أولادها في إصلاحهم، وإصلاح أحوالهم وشؤونهم، كإلباسهم الثياب، وخلع الثياب غير النظيفة، وتغيير فراشهم الذي ينامون عليه، وتغطيتهم في الشتاء وهكذا، مسئولة عن كل هذا، مسئولة عن الطبخ، وإحسانه، ونضجه، وهكذا مسئولة عن كل ما في البيت). http://www.ibnothaimeen.com

أسعديه

جميع الأزواج يتشابهون في مطالبهم، وطموحاتهم في (المرأة البحر)، وهي خير من يفقه ذلك، وهي تقدم للزوجات ما يريدونه منهنَّ:

أولاً: إعطاء الرجل حقَّه كاملاً من القوامة، ومنحه الطواعية التامة، وترك مخالفته قدر الإمكان، سواءً في الآراء، أو في

الحوارات، أو في الأفعال، و(المرأة البحر) تفقه أنَّ الرجال يكرهون المنازعة في القيادة، وقد همست تلك الأعرابية القديمة لابنتها بوصايا ليلة الزفاف من أبرزها تلك الومضة الخطيرة للمرأة في تعاملها مع زوجها، فقالت لها: (... كوني له أمةً يكن لك عبداً، وكوني له أرضاً يكن لك سماء...)، فعندما ترغب الزوجة أن يكون زوجها سماء يظللها من لهيب الحياة، فعليها أن تكون أرضاً تتحمل ثقله دون تذمرٍ وضجرٍ، وعندما ترغب أن يوفِّر لها الغيث الكريم، والعطاء الغامر؛ فعليها أن تكون تحته أرضاً تشكر العطاء بالخير والزهور، وإن كانت الأرض تحمل ثقل الزوج، فإنَّ الزوج يرقُّ ويذوب وينثني متأثراً بخضوعها له، ووداعتها عنده، وفي المثل: (الزوجة الذكيَّة هي التي تستعبد الرجل بخضوعها له)، و(المرأة البحر) تحمل كل معاني الأرض، لتنال كلَّ عطايا وهبات السماء، ويبقى (كمال المرأة) مرتبطاً بتواضعها وخضوعها لزوجها، فكلما زادت خضوعاً، ازدادت كمالاً، وكلما ازدادت تمرداً وعصياناً، زادت بُعداً عن الكمال، وأكمل مثالٍ تتجلى فيه صورة الخضوع، هو خضوع النساء الكاملات عبر التاريخ البشري، فإن رغبت أن يكون لها زوجها عطاء؛ فعليها أن تكون له احتواء، أليس اسمها (حواء)، فأين الاحتواء؟!.

ثانياً: (المرأة البحر) أنثى حتى آخر قطرة، فالأنوثة معنى لا يتضح إلا بالتقرب، والتحبب، والدلال، والتدليل، والخدمة، والتواضع، وبهذا تتكامل الأنوثة في المرأة، تكاملاً تأسر به الرجل، فهم يظمئون للأنوثة والنعومة المكمِّلة لرجولتهم، فإن كان جمال المرأة في ملابسها، وشعرها، ووجهها مؤثراً في الزوج لا محالة،

فإنَّ (جمال الحياء) و (بهاء العفة) أشدُّ تأثيراً في الرجل، وتخطئ بعض النساء عندما تحيى وكأنها (أنثى بمشاعر رجلٍ)، تمتلك جرأة الرجال (المذمومة في حقها)، و(المناسبة لطبيعة الرجال)، فكما أنَّ الرجل يكون معيباً إذا تأنث، فإنها تعاب إن استرجلت، وهذا ما يغيب عن كثيرٍ من نساء عصرنا، مع الأسف الشديد.

ثالثاً: يحب الزوج من زوجته أن تحفظه في نفسها، وماله، فلا تسمح لضعاف النفوس بالتطلُّع إليها، وتحافظ على غيرته عليها كما تحافظ على ماله من أن يبور ويتلف.

رابعاً: الرجال يحبُّون المرأة اللعوب، كما في وصية النبي ﷺ لجابر بن عبدالله رضي الله عنه حينما تزوج ثيباً: (هلاَّ بكراً تلاعبها وتلاعبك) متفق عليه.

بعض الزوجات تقع فريسةً لبعض التصورات الخاطئة؛ التي توهمها بأنَّها تفشل إذا رفعت قدر زوجها، وخضعت له، وتتوهم أنَّ الرضوخ، والتودُّد، والليونة في الكلام من المهانة، والذلة، وانعدام الشخصية، وأنَّ المعاندة والمشاكسة هي التي تضمن حقوقها، وترفع من مكانتها، علماً بأن أعظم وأفضل مفتاح للتعامل مع الرجل هو الليونة وليس العنف فالعنف والخشونة سلاحه الذي يتعامل معه في تجاويف يومه باستمرار.

خامساً: يحبُّون أن تمدحهم نساؤهم، وتسكرهم نشوة الألفاظ الرنَّانة، وينتشون بعبارات التزلف، فالرجال يستطيبون إظهار ضعفهم، وبقايا طفولتهم لامرأةٍ تعرف كيف تشبع غرورهم، وتشعر الواحد منهم بأنَّه أفضل وأكمل رجلٍ في البشر، بهذا الأسلوب الذكي تستطيع أن تكسب زوجها، وتزيد من محبته

لها، وأن تحصل على ما تريد؛ ابتداءً من عقله وقلبه، وانتهاء بأصغر طلب تتمناه، فإحدى أدوات النجاح بيد (المرأة البحر) هي اعتبار الزوج كالولد، ومع ذلك فربما يشعر بعضهم أنَّ في المديح استدراجاً وابتزازاً، ويعتبره لغواً تضحك به المرأة منه، وهذا هو الصنف الأقل، ولله في خلقه شؤون.

سادساً: يحبون أن ينالوا الإكرام في بيوتهم بمالهم، وإكرام ضيفهم، فالزوجة التي لا ترحب بزوجها إذا أقبل، ولا تفرح بضيفه، ولا تهتم بإكرامه، تحقق الخسران بكفاءة عالية.

سابعاً: يحبون كاتمة الأسرار، فلا حديث عنه عند أهلها إلا بالخير، ولا مفاخرة به عند صديقاتها طلباً للمكايدة والمغايظة، فتخبرهم عن كلِّ حركاته وسكناته، فالمرء في بيته يختلف في طباعه عن خارجه، وهذا الاختلاف من الخصوصيات التي تبقى دفينة الكتمان؛ ويحرم إذا وصلت السفالة منتهاها، فحدثت الزوجة بما يدور بينهما في فراش الزوجية، إن (المرأة البحر) حافظة لأجمل صورة اجتماعية لزوجها، (فالصالحات قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله ...) النساء ٣٤.

فلا يجوز للمرأة أن تفشي ما استتر، إلاَّ إذا كان أمام القاضي، أو أمام شخصٍ يرفع المظلمة، ومن الخديعة المختبئة؛ أن تشتكي المرأة من زوجها شكوىً حقيقية في مكانٍ صحيح، ولكنَّها تُقحم أموراً سريةً، لا صلة لها بموضوع الشكوى، ولا يناسب ذكرها في ذلك الموضع، وليس لها تأثيرٌ في حلِّ تلك المشكلة بالذات، ولكنها تنتقم بطريقةٍ ملتويةٍ مملوءةٍ بالإيحاء، من أجل أن تقوي حجتها،

وتنطلي خدعتها على من أمامها، وهدفها يعلمه من يعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى.

املكيه

(المرأة البحر) قادرةٌ على فهم (ردود الأفعال) الصادرة من زوجها أولاً، وفي تعاملها مع الناس ثانياً، حتى تستطيع إسعاد قلبه، والتعامل معه بشفافيَّةٍ ونعومة، فتقيس كلِّ تصرف تقوم بصنعه بميزان دقيقٍ حساسٍ، وتخطئُ الزوجة خطأً فادحاً عندما تجمع جمال القشرةِ، مع سوءِ العشرة، فتغترُّ بجمالها، أو مالها، أو نسبها، وتتوهم أنَّها (محور الدنيا)، وعليها تدور رحى الحياة، وتفرض على جميع الناس أن يتأقلموا مع سوء طباعها، ومراعاة خاطرها، أما هي فلا تراعي أخلاقاً، ولا أعرافاً؛ فتلجئ الناس إلى تحملها بأخلاقهم العالية، لا بسليقتهم وعفويتهم، فيضطرون إلى غضِّ الطرف عن أخطائها، ومجاملتها، مع عيف الأنفس لثقل ظلِّها، فإذا كان هذا حالها مع الناس، فكيف سيكون حالها مع زوجها؟.

(المرأة البحر) خير من يفهم زوجها، وخير من يشاركه ثقافته، وخير من ينسيه همومه، وخير من يفهم نظراته، وصمته، فإن رفع عينيه إلى السقف، أدركت من نظرته ما يفكر فيه، أو يدور بهاجسه، وإن عجز الناس عن إقناعه، فهي أدرى الناس بنمط تفكيره، فاهتمامها باهتماماته، وهي تفهم نفسها؛ لتتمكن من فهم زوجها، وترتب أولوياتها وفقا لأولويات زوجها.

إنَّ مقياس (المرأة البحر) كـ(الترمومتر) حينما يرتفع الزئبق

فيه ويهبط حسب درجة الحرارة، فهي ترتفع وتنخفض حسب تأثر زوجها بأفعالها وكلامها، حتى تكتشف رقمه السري، فإذا كان التصرف الذي صنعته حقَّق نجاحاً، وجلب أرباحاً، واصلت تصرفها باتزانٍ واعتدالٍ كالشارب للماء، يهنأ بالماء حينما يشرب حتى الارتواء فقط، وتستمر في تصرفها حتى يتناقص الربح لهذا التصرف، وحين ذاك تقوم بالمبادرة بالتغيير السريع إلى معاملة أخرى.

املكيه واملكيه

ثم تبدأ (المرأة البحر) بالتدقيق من جديد:

هل الخطوة الجديدة نافعة مع زوجي ومريحة أم ...؟.

فمتى حققت الزوجة نجاحاً في تصرُّفٍ جميلٍ:

١- حافظت على هذا التصرف.

٢- وطورته واعتنت به، فلا يُكرَّر بإملالٍ ولا ينقطع.

والملل طبعٌ راسخٌ في النفوس من المألوف المتكرِّر، فقد يملُّ الزوج تصرفها، وإن كان جميلاً؛ بل قد يكون أكثر غلظةً، فيتطور الأمر إلى الإيذاء، والاستهزاء، وعدم الاحترام، وهنالك لا ينفع العطاء بلا حدود، والإسراف في الكرم؛ بل لابدَّ من الكيل بميزان التمنع، (والتجويع مع شم رائحة شهية)، و(الإغراء مع كثرة الأعذار)، والغناء بصوت عذب، ولكنه خافتٌ، والمجالسة والمؤانسة معه حسب طلبه أو التلميح منه، ومتى بدأ الزوج يسترخص زوجته، فعليها بالانطواء شيئاً فشيئاً مع إثارة الفضول عنده، ودغدغة حب التطفل لديه.

(المرأة البحر) لا ينضب معينها من التصرُّفات الجميلة، وخلق

الأفكار الجديدة؛ يقول ابن الجوزي رحمه الله: (لا ينبغي للمرأة أن تقرب من زوجها فتُملَّ، ولا تبعد عنه فينساها).

على أنَّ (المرأة البحر) ينبغي أن تدرك؛ أنَّ لكلِّ رجلٍ طبيعةً، وعليها أن تكتشف طبيعة زوجها، فربما تعاشر (المرأة البحر) زوجاً (ذا شموخ)، وعزة نفس، وشهامة، حينئذٍ تحاذر من الاستعلاء، والتأخر عن تلبية طلباته، لأنَّ العطاء بلا حدودٍ هو خير ما يليق به، ويأسره، وسياسة الحرمان قد تضرُّ مع هذا النوع أكثر مما تنفع.

وربما يكون زوجها أنموذجاً للبلاهة تمشي على الأرض.

ومنهم من هو أنموذجٌ للتلقائية والبساطة.

ومنهم من يبدو على محياه ملامح الرجال، ولكن يسكن بداخله طفلٌ صغيرٌ يحتاج إلى الدلال.

ونوعٌ مغرمٌ بالثناء على نفسه، ويشجيه نغم المديح ويطربه، فمن مدحه بلا ثمن فهو صديقه المؤتمن، ومن لا يمدح، فسوف يتوهم أنه يقدح، وفي صداقته نظر، ومن ذمَّه فهو عدوه، وهذا الصنف له معاملته الخاصة، (فالمديح له يكون كالطعام للملح، وليس كالملح في الطعام)، وبين القمة والقاع تحاول الزوجة أن تتعرف على الرقم السري لزوجها؛ لأنَّ الرجال أصنافٌ كثيرةٌ، يربطهم جميعاً كراهية الروتين والرتابة والجمود، مع معرفة ما يعجب كل صنف، ويناسبه.

لدى كلِّ رجلٍ مفتاحٌ للوصول إلى عالمه، (والمرأة البحر) بإمكانها أن تكتشفه، فأغلب الرجال إذا أطاعته المرأة ملكته، ومنهم من إذا مدحته ملكته، ومنهم من إذا تمنعت عنه ملكته، ومنهم من إذا ضحكت على نكتة قالها، أو طرفة استملحها ملكته، ومنهم من إذا

أكرمته ملكته، ومنهم من إذا غازلته أو تغزلت بقوته وجماله ورجولته وذكائه ملكته، ومنهم من إذا أثارت غيرته عليها ملكته، ومنهم من هو خلاف ذلك، فإذا غارت هي عليه، وأظهرت حرصها عليه ملكته، ومنهم من إذا دمعت عيناها، وأشعرته بجبروته صار بين يديها أرنباً وديعاً ناعم الصوف، ومنهم من إذا تحاورت معه (بهدوء الثقافة) جلبت محبته وهكذا دواليك، وتدرك (المرأة البحر) أنَّ الرجال يحبون كلَّ هذا، ولكن لكلِّ شيءٍ منها فترةٌ وحينٌ.

أدعو الزوجات إلى التعرُّف على (شخصيَّة الزوج)، وفهم نفسيِّته بصورةٍ وواضحةٍ، وأدعو الأزواج إلى تربية زوجاتهم باللطف والحسنى حتى تصبح على الصورة التي يرتضيها ويريدها ويحببه فيها.

وتغتال الزوجة نجاحها عندما تغتال فرحة زوجها، فحينما يأتي من خارج المنزل فرحاً طرباً، يتمنى الخروج مع أسرته في نزهة فتفاجئه بأنَّ لها جدولاً آخر عندما تقول له: إذن خذ الأولاد واذهب معهم للنزهة، وأوصلني في طريقك إلى أختي، أو أهلي أو صديقاتي.

❖❖❖❖

تصحيح المفاهيم

الحياة تفاهمٌ

(الموضة الغربيَّة) في عصرنا الحالي تكسو الأنثى بثياب الرجل، حتى أصبحنا نسمع من بناتنا ونسائنا كلماتٍ نشرها العلمانيِّون في عالمنا الإسلاميِّ خلال القرن الماضي، فأفسدوا طباع بعض النساء المسلمات على أزواجهنَّ بالترويج لقناعاتهم

التي استقوها من الثورة الفرنسيَّة مروراً برؤوس العلمانيين؛ مثل إيحائهم للزوجة بأن: الزوج شريك في الحياة، وليس مسئولاً، وأنك شريكته، ولست أمةً عنده أو مملوكةً، حتى تسيرين على مزاجه؛ بل (ناقشيه، ردي عليه)، أشعريه أننا (نحن هنا)، (لا تسكتي له)، فتكون المخالفة للزوج أحياناً؛ لأجل البروز وتحطيم رغبة من رغباته، والحرص منها على طغيان شخصيتها بطريقة خاطئةٍ في النقاش لأجل النقاش، وتنسى وصف الله تعالى لها بقوله: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ الزخرف(١٨)، وهذه من المصائب التي ظهرت مؤخراً قضية (الحياة تفاهم) ومن حقي أن أبدي رأيي.

قام اليهود بإفساد الحضارة الغربيَّة فوق فسادها القديم، وخصوصاً في مجال الأسرة التي هي نواة المجتمع الأولى؛ بأن جعلوا المرأة تتمرد على زوجها وتطالب بالمساواة به في كلِّ المجتمعات، وأقنعوا النساء بإلغاء معنى (القوامة)، وتشجيع الزوجة على منازعة زوجها (مقود الأسرة)؛ نقلوها لنا عبر المسلسلات، والأفلام، والروايات، والقصص، وكثرت مؤخراً في اللقاءات والبرامج الحوارية بصورةٍ مكثفةٍ سيئة، وتقبلها بعضنا بقبولٍ حسنٍ دون أن يمحصها، أو يشعر بها؛ فليس من حقِّ الزوج إصدار الأوامر، وطاعته ليست واجبة، و (كلُّ) أمر من أمور الحياة، لابدَّ أن تتفاهم (هي) معه فيه، وبناءً على هذا التفاهم تكون الطاعة أو عدمها، فلا بدَّ أن تقبل حتى تطيع، بينما تنسى الزوجة أنَّها محاسبةٌ على عدم طاعتها لزوجها، وأنها طالما اختلفت معه في أيِّ شيءٍ، فالواجب عليها الانصياع إلى أمره، وتحتسب الأجر

على ذلك، ولا تنس أنَّ التفاهم يكون بين المتساويين في المكانة والحقوق، بينما في الزواج لا يوجد تساوٍ بين الزوج والزوجة كما أثبتت الأدلة من كلام الله عز وجل ومن سنة نبيه ﷺ، وما اختص الله تعالى الزوج بالقوامة إلاَّ لحكمته وعلمه بالفروق بين المرأة والرجل، (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك١٤.

الفقه النسائي

تمارس بعض الزوجات دوراً انتقائياً في تناول بعض القضايا الفقهية، حسب ما تراه خادماً لمصالحها، ومن ذلك:

• مهاجمة التعدد باستعمال حجة شرعية، وهي قولهنَّ: ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، والآية ليست صحيحة بهذا النطق، وإنما الصواب: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم...﴾ النساء ١٢٩.

• تنصح زوجها بعدم التفكير في الطلاق، لأنه أبغض الحلال، وحينما يقوم زوجها بالتعدد، تنادي هي بالطلاق، وتأمره بأبغض الحلال، فالدين تكيفه حسب مصالحها.

• تنصح الزوج بالخوف من الله تعالى فيما يخص مصالحها فقط، كأن تخوفه بالله تعالى، حتى يترك النظر إلى النساء الأخريات، في وقت لا تبالي فيه بإهمال زوجها لصلاته، أو حلق لحيته، أو الاستماع للمحرمات، فالمهم لديها مصالحها، مخادعةً نفسها؛ بأن تبرقع تلك المصالح بلباس الدين.

• الكذب في تحديد العمر مباحٌ، ويزداد الكذب بازدياد العمر، وصدق المثل القائل: (إذا أردت المرأة أن تكذب، فاسألها عن عمرها).

• البحث عن الفتاوى اللينة، وسؤال المفتين المتساهلين في الفتوى مع الزوجات، دون البحث عن الدليل والحجة الأقوى، والعالم الأتقى، فلو سمعت الزوجة أكثر من عالم يفتي بالتحريم في حكم ما، وجاء عالمٌ يوافق هواها، ويخالف فتواهم، قائلاً: إن الحكم الشرعي هو الإباحة، لتبعت فتواه، ودافعت عنها.

• الاستدلال بأخطاء أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، دون الاقتداء بمحاسنهن، وحميد خصالهنَّ، فيعتريك الاستغراب حين تجد الزوجات يسردن لك الشواهد في ذلك، وفي الوقت نفسه لا يعرفن عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ غير ذلك.

• إباحة التجسس على الزوج بتبرير المصلحة، أو من أجل نصيحته إذا كان عنده أخطاء.

من الأهم في نظرها

من الأولى بالرعاية والاهتمام؛ (الأولاد) أم (الزوج)؟، أم الأهل؟، أم أمانة العمل؟، أم سلطان النوم؟، لاسيَّما إذا تعارض بعضها مع بعض.

(المرأة البحر) توازن بين واجباتها؛ حيث لا يطغى شيءٌ على آخر، مع مراعاة تقديم حق الزوج، فهي تضبط عواطفها ومشاعرها ومحبتها لأبنائها، فلا تطغى على محبتها لزوجها؛ بل تتصرَّف لكلِّ حالةٍ بما يناسبها، فأحياناً يحتاج الزوج للرعاية في أمورٍ لا تحتملُ التأجيل لحساسيِّتها، وذلك يحتاج إلى نظرٍ دقيقٍ من (المرأة البحر).

و(الرجل المحيط) يتحمَّل مسؤوليته من رعاية الأبناء على الأقل، ولو بتضحيته بالصبر عن بعض احتياجاته.

والـزوجـة الـتـي ينتقل اهتمامها لأمـور غـيـر زوجـهـا وبيتها تكون قد محت السعادة من قلبها، وبدأت (رحلة الشتات) على طريق المنكدات والمنغِّصات، فكيف بمن قدَّمت اهتمامها ووقتها لوظيفتها بحجَّة أنَّ الوظيفة (ضمان المستقبل)، وأنَّ الوظيفة مسؤولية وأمانة؟!، وأمَّا الزوج فإنَّه غير مضمونٍ -زعمت-، وما هذه المفاهيم إلاَّ طريقة أكيدة لانهيار الأسرة بالطلاق، أو على أقل تقدير (الانفصال العاطفي) بينها وبينه، أو(العزلة الباردة) علماً بأنَّ الذي سيبقى لها في الحقيقة هو الزوج الصالح؛ الذي ينفعها دنيا وأخرى، ومهما اختلفت الأفهام وتضاربت الآراء، فإن الصواب دوماً فيما أوجبه الله تعالى، من الطاعة للزوج والاهتمام به، وليس الوظيفة.

وأذكِّر أخيراً بالأثر العلماني الفاسد المفسد للزوجة؛ وهو (إيهام المجتمع) وخداعه؛ بأنَّ احتياج الزوجة للزوج، إنما هو احتياجٌ مالي محضٌ، وليس احتياجاً للسكينة، وهدوء البال، والمودة والسكنى فتسرب هـذا الخـداع للأسر، وتسممت به الكثير من العقول وربما يصدق ما قالوه عن المرأة الكافرة التي تعيش في الغرب تلك التي تخادن وتصاحب، فتلك المجتمعات مبنيةٌ على إبعاد الزوجة عن بيتها، وأسرتها، وعن تصورها السليم عن الأسرة والزوج والأبناء.

والحديث يقودنا إلى أنماط الاهتمام بالزوج مثل: جلب أعواد الأسنان أو الخلال بعد الطعام، والاهتمام بعطره المفضل، وتقريبه لمتناوله، وتجهيز ملابسه بعد الاستحمام مثلاً، وعند عزمه على الانصراف والخروج من المنزل، وتجهيز أحاديث وقت غيابه يحبها

وتستجلب انتباهه؛ حتى يجد مجلسها الثراء، وإطراب الزوج، وأيضاً لا بأس من كتابة عناوين الموضوعات المقترح الحديث عنها في ورقة حال غياب الزوج؛ ليسهل استحضارها في ذهنها، وأيضاً تهيئة مكان نومه واستراحته، والاهتمام بصحته، ونظام غذائه، لاسيما إن كان مريضاً، فإن هذا من دواعي السرور في نفسه.

عطلة نهاية الأسبوع

(المرأة البحر) تولي أهميةً لإجازة نهاية الأسبوع، محاولةً أن تصنع منها مجالاً للغرام والانطلاق، وحريٌّ بها أن لا تختصر هذه الإجازة في زيارة أهلها، واللقاء بأخواتها، ومع أنَّ صلة الرحم مطلوبةٌ، إلاَّ أنَّ المطلوب من الزوجة أن تعتني بنجاح حياة الأسرة كذلك، فأسرتها أهم، وأعظم، وأوجب من حق أهلها وذويها، مع تلافي الآثار السلبية من وراء زيارتها لأهلها، أو للأسواق، أو للاستراحات والملاهي كالعودة إلى منزل زوجها في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل، وما يأتي بعده من الإنهاك الجالب للنكد، وإفساد جدول الأولاد في نومهم، فيترتب على ذلك إهمال صلاة الفجر في اليوم التالي، والاستيقاظ في وقتٍ متأخرٍ، وتقع في مصيبة نسيانها التزاماتها تجاه زوجها، كلُّ ذلك مقابل أن تضحك وتأنس بلذيذ الأحاديث مع أخواتها وأهلها، وبكلِّ أسف تشترك الأخوات جميعهنَّ في إهمال احتياجات أزواجهنَّ وأولادهنَّ في أواخر الأسبوع دون أن يعطين الوقت أهميته، فينتهي الأسبوع المتعب من العمل، وصداع الروتين، والوظيفة بيومٍ فوضويٍّ، غير مرتبٍ لا يجلب الراحة.

عبِّري عن احتياجك

طلبت من زوجها أن ....، ثم طلبت منه أن ....، ثم أن ....، على الرغم من أنَّها لم ترد ذلك كله، وإنما هو نمط من الاحتيال، تمارسه لكي يجلس إليها، وتأنس بالمكوث والحديث معه، وصنعت كل ما صنعت من أجل الوصول لهذه النتيجة.

تطلبينه، تريدينه، ربما تشعرين بضيقٍ شديدٍ، أو تمرين بظروفٍ نفسيَّةٍ تعيسةٍ، بل ربما تعانين آلاماً أسهرتك، وأطارت النوم من عينيك، تودين بعنفٍ أن يحتضنك بذراعيه، ولو لدقائق معدودةٍ.

السؤال المطروح: لماذا لا تطلبين منه ذلك مباشرةً وبوضوحٍ دون تذمُّرٍ، ودون ألفاظٍ حادَّةٍ عنيفةٍ، ودون لومٍ وعتبٍ؟!، فأنتِ لا تحتاجين إلى هروبه من المنزل، أو هروبه من قربك والجلوس بجوارك، وتأكدي أن هذا الجوع العاطفي والرغبة الفطريَّة التي تعصف بكِ، تسكن بقلب كل حواء، ولكن طريقة تعبيرهن تتفاوت، فبعضهن (تنجح) وبعضهن بارعةٌ في (النجاح في الفشل الذريع)، وتصنع أزمة في كيان الأسرة بسبب كبريائها عن الطلب، والاعتراف بحاجتها لشيءٍ هو من حقّها، فتبدأ بالتعبير الشرس، أو التعبير الغامض، فليتها أوضحت لزوجها رغبتها؛ لتأخذ احتواءه وعطفه، أو ليتها صمتت حتى تؤجر.

وليتها تدع التعبيرات الضبابية ذات البعد الثلاثي، وتنتقل إلى الوضوح والكلام باللهجة المكشوفة؛ حيث يفهم الطرف المقابل صورتها وطبيعتها، وهو ما يصدق عليه (توسيع دائرة الضوء).

جمال منسي

لدى المرأة استعداد للجلوس الطويل أمام المرآة، وبذل الخسائر

الماديَّة في شراء المكياج، وأدوات التجميل الخارجي، وجميع ما تستطيع من تضحيةٍ بجسمها وظاهرها، وأحد أهدافها الاستيلاء على قلب الزوج؛ فهي تتبع أسلوباً (خارجياً) من أجل الحصول على عواطف (داخليَّة) لدى زوجها، وذلك يعني أنَّ المرأة تسرق من داخلها؛ لتقوم بترقيع خارجها بشيءٍ من الزينة؛ لتتغلغل عن طريق الظاهر إلى داخل زوجها وتؤثر فيه.

التأنق الظاهري له أهميَّة، والتأنق الروحي أكمل وأشدُّ جاذبية وأهميَّة، وما أقبح الجميلة في شكلها، لكنها جوفاء في روحها وعقلها، تافهة في أحاديثها واهتماماتها، ساذجة في آرائها، وليس ذلك لأنَّها بعقليَّةٍ ساذجة، أو متوسطةٍ في ذكائها كلا، وإنَّما لأنَّ إفراطها في الزينةٍ أكل وقتها وشرب اهتمامها، ولأجل ذلك كانت القليلات من الجميلات، يملكن مواصفاتٍ روحيّةً عاليةً، مع أنَّهن أقرب للكمال الأنثوي لو كانت عقولهن راشدةً، ونظرتهنَّ ناضجةً:

يهيم بها قلبي وتأبى خلائقي ويأنف طبعي أن أُقرَّ على أذى
مليحة وجهٍ غير أنَّ فعالها قباحٌ وهذا لا يفي عندنا بذا
فإن قيل لي: صبراً عليها لحسنها
لقلت: وما صبر العيون على القذى

أزواج الجميلات ليسوا دوماً سعداء فرحين بزوجاتهم، بالرغم من أنَّهم يملكون زوجاتٍ بجمالٍ مفرط، يحسدهم الناس عليهنِّ، ومع ذلك تراهم من أزهد الناس بتلك (القشرة الجماليَّة)، الخالية من روحٍ تتحمَّل المسؤولية، والبعيدة عن الأنوثةٍ الدبلوماسيَّةٍ، فهي لا تعدوَ أن تكون (تمثال جمالٍ) وحسب.

المساواة ﴿وليس الذكر كالانثى﴾

(المرأة البحر) تعلم أنَّ هذا ليس ادعاءً من أحد؛ بل هي امرأةٌ مؤمنةٌ بأنَّ الدين صريحٌ وواضحٌ، وحقيقة أقرَّها رسولنا ﷺ، لعل إثباتها يتضح أكثر بالنقاط التالية:

أولاً: جعل الله تعالى القوامة للزوج في أسرته؛ بل إنَّ القوامة على المجتمع بأسره، والإمامة الكبرى، وتولي الحكم هي للرجل دون المرأة، يقول ابن عثيمين رحمه الله: (فإنَّه حين قيل للنبي ﷺ: مات كسرى وتولى الأمر بعده امرأة قال : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري كتاب النبي ﷺ إلى كسرى، رقم (٤٤٢٥)، وهذا الحديث إن كان يعني هؤلاء الفرس الذين نصبوا عليهم امرأةً؛ فهو يعنيهم ولكن غيرهم مثلهم، وإن كان عاماً فهو عامٌّ، لن يفلح قوم ولَّوا على أمرهم امرأةً، فالرجل هو صاحب القوامة على المرأة، وفي هذا دليلٌ على سفه أولئك الكفار من الغربيين وغير الغربيين، الذين صاروا أذناباً للغرب يقدسون المرأة أكثر من تقديس الرجل؛ لأنهم يتبعون لأولئك الأراذل من الكفار الذين لم يعرفوا لصاحب الفضل فضله، فتجدهم مثلاً في مخاطباتهم يقدمون المرأة على الرجل فيقول أحدهم: أيها السيدات والسادة، وتجد المرأة في المكان الأعلى عندهم والرجل دونها، ولكن هذا ليس بغريبٍ على قوم يقدسون كلابهم، حتى إنهم يشترون الكلب بالآلاف، ويخصصون له من الصابون، وآلات التطهير، وغير ذلك ما يضحك السفهاء فضلاً عن العقلاء، مع أنَّ الكلب لو غسلته بالأبحر السبعة، ما صار طاهراً؛ لأنه نجس العين، لا يطهر أبداً.

فالحاصل أن الرجال هم القوامون على النساء بما فضل الله

به بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم، وهذا وجه آخر للقوامة على النساء، وهو أن الرجل هو الذي ينفق على المرأة، وهو المطالب بذلك، وهو صاحب البيت، وليس المرأة هي التي تنفق.

وهذه إشارة إلى أن أصحاب الكسب الذين يكسبون ويعملون هم الرجال، أما المرأة فصناعتها بيتها، تبقى في بيتها تصلح أحوال زوجها، وأحوال أولادها، وأحوال البيت، هذه وظيفتها، أما أن تشارك الرجال بالكسب، وطلب الرزق، ثم بالتالي تكون هي المنفقة عليه؛ فهذا خلاف الفطرة، وخلاف الشريعة، فالله تعالى يقول: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فصاحب الإنفاق هو الرجل).

http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_18181.shtml

قلت: مع العلم أنها لا تلاقي أي احترام في واقع حياتها هناك، أي أنَّ الاحترام للمرأة هناك صوريٌّ تماماً كما يحترمون كلابهم؛ بل تكاد الكلاب أن تحضى بالترفيه والرعاية في داخل مجتمعاتهم أكثر من المرأة.

ثانياً: سمى الله تعالى الزوج بالسيِّد على زوجته، في سورة يوسف: (... وألفيا سيِّدها لدى الباب...) يوسف ٢١، وهذه نعمة منحها الله تعالى للزوج، يقول النبي ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوانٍ عندكم ..) رواه الترمذي ٣٠٨٧، وقال: حديث حسن صحيح، فوصفهنَّ بأنَّهنَّ عوانٍ عند أزواجهنَّ؛ أي: أسيرات، فجاء الوصف للزوج بالسيد، والوصف للزوجة بالأسيرة، فلا سواء.

ثالثاً: لا يجوز أن تصوم الزوجة صيام النافلة إلاَّ بإذن زوجها، بينما لا يستأذن الزوج في صيامه أحداً، لقول النبي ﷺ: (لا يحل

لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

قال النووي رحمه الله: (معناه أن لا يأذنَّ لأحدٍ تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له أجنبياً، أو امرأة، أو أحداً من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك، وهذا حكم الفقهاء: أنها لا يحلُّ لها أن تأذن لرجلٍ، أو امرأةٍ، ولا محرم، ولا غيره، في دخول منزل الزوج، إلاَّ من علمت، أو ظنَّت أن الزَّوج لا يكرهه؛ لأنَّ الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عُرِف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشكُّ في الرضا، ولم يترجح شيءٌ، ولا وجدت قرينةٌ، لا يحل الدخول والإذن، والله أعلم) شرح صحيح مسلم ١٨٤/٨.

رابعاً: إذا نام الزوج غاضباً على زوجته، فإنَّ الملائكة تلعنها حتى تصبح، أما الزوج لو أغضبها، فلن يكون في تلك الليلة أيُّ لعنٍ، إلاَّ أن تلعنه هي فتجمع بذلك أمرين هما سبب كثرتهن في النار، الإكثار من اللعن، وكفران العشير.

خامساً: إذا آذت الزوجة زوجها، فإنَّ الحوريَّة في الجنَّة تعلم بالإيذاء الصادر من الزوجة حال خصومتهما، وتدعو عليها بقولها: (لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلاَّ قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنَّما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا) رواه الترمذي، وصححه الألباني / صحيح الجامع ٢٤٦٣

سادساً: النشوز من الزوج لا يلزم معاقبته عليه؛ بل أوصى الله تعالى بأن ترضى الزوجة بالصلح، يقول تعالى عن نشوز الزوج:

(وإن امرأةٌ خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ...) النساء ١٢٨، فالتأديب اختُصت به فقط الزوجة الناشز !!.

بينما النشوز من الزوجة يترتب عليه أحكامٌ شرعها الله تعالى كما في قوله: (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهنَّ واهجروهنَّ في المضاجع واضربوهنَّ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) النساء: ٣٤، وقوله: (فإن أطعنكم...) يدل على أنَّ عدم الطاعة يوجب العقاب المتدرِّج، وأنَّ الطاعة تمنع الزوج من البغي على زوجته بأي سبيل.

سابعاً: إلزام الزوج وجوباً بالإنفاق والمسكن بحسب طاقته، فإن كان غنياً أنفق عليها نفقة الأغنياء، وإن كان فقيراً أنفق عليها حسب استطاعته، دون أن ننظر لمال الزوجة وغناها، أو فقرها، فلو كانت غنيةً، فالواجب أن ينفق (هو)، وإن كانت فقيرة، فالواجب أن ينفق عليها أيضاً (هو). لحديث حَكِيم بن مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت : يا رَسُولَ اللَّه ما حَقُّ زَوْجَة أَحَدنَا عليه؟، قال: (أَنْ تُطْعمَهَا إذ طَعمْتَ وَتَكْسُوَهَا إذا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ ولا تَضْرِبْ الْوَجْهَ ولا تُقَبِّحْ ولا تَهْجُرْ إلا في الْبَيْتِ) رواه أحمد (٢٠٠٣٦) وأبو داود (٢١٤٢) والنسائي في الكبرى (١١٤٣١) وحسنه النووي في رياض الصالحين (٢٧٧)، وصححه الألباني / غاية المرام ٢٤٤

ثامناً: حداد الزوجة بعد وفاة زوجها هو من الواجبات الشرعيَّة عليها، بينما لا يجب على الزوج حدادٌ على زوجته إن هي ماتت.

تاسعاً: أذن الله للزوج بضرب زوجته وقت الحاجة، وآيات القرآن الكريم شاهدةٌ على ذلك، بينما لا يؤذن للزوجة بضرب

زوجها، ونبي الله أيوب عليه السلام حلف أن يضرب زوجته، فأمره الله عز وجل بالجمع بين إبرار قسمه، واللطف بزوجته، فأمره أن يأخذ شماريخ النخل فيضربها به، يقول الله عز وجل (وخذ بيدك ضِغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنَّه أوَّاب) ص: ٤٤، يقول القرطبي رحمه الله: (تضمنت هذه الآية جواز ضرب الرجل امرأته تأديباً، وذلك أنَّ امرأة أيوب أخطأت فحلف ليضربنها مائةً، فأمره الله تعالى أن يضربها بعثكول من عثاكيل النخل، وهذا لا يجوز في الحدود، إنما أمره الله بذلك لئلا يضرب امرأته فوق حد الأدب، وذلك أنه ليس للزوج أن يضرب امرأته فوق حد الأدب).

عاشراً: من خصال المرأة (كفران العشير) الذي هو أحد الأسباب في جعلهن أكثر أهل النار، بينما لم يحكم الشرع بأن الرجل من صفاته كفران العشيرة.

الحادي عشر: يقول النبي ﷺ: استوصوا بالنساء، فإنَّ المرأة خلقت من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضِلَع أعلاه، فإنَّ ذهبت تقيمه كسرته، وإنَّ تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) متفق عليه، وفي رواية لمسلم: إنَّ المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها)، المرأة خُلِقت من ضلع، فهي بعض ضلع من أضلاعه، فكيف تطلب المساواة معه؟!، وإنَّ أعوج ما في الضِّلع أعلاه، والزوج لم يخلق من ضلع أعوج، وفي اعوجاج الضلع معنى الحنان، وليس في ذلك عيبٌ من جميع نواحيه، فهو أصلٌ لها، وهي فرعٌ عنه، ومن يساوي الأصل بالفرع؟!.

الثاني عشر: أباح الله تعالى للزوج تعدد الزوجات (مثنى وثلاث ورباع)، ولا يجوز للمرأة أن تعدد الأزواج.

اعتراض نسائي

تعترض بعض الزوجات عندما تلام على أخطائها المرتبطة بطباعها الأنثوية بقولها: هذه من الخصال التي خلقنا الله عليها، فلماذا نلام؟!، والجواب: إنَّ الله تعالى جعل في الفطرة البشرية خصال نقص، وأمر المسلم بالتغلب عليها، والتخلص منها، فإن فعلها وانساقَ وراءها، فإنَّه سيجد العقوبة من الله تعالى عليها يوم القيامة، فقد خلق الله تعالى الإنسان ووصفه بقوله: ﴿... إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ الأحزاب ٧٢، ﴿إنَّ الإنسان لربه لكنود• وإنَّه على ذلك لشهيد﴾ العاديات ٦، و ﴿إنَّ الإنسان خُلق هلوعاً١٩ • إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً٢٠ • وإذا مسَّه الخير منوعاً ٢١﴾ المعارج ٢١، وأمثلةٌ كثيرةٌ تبين أنَّ الله تعالى خلق الإنسان على الفطرة، وأمره أن يهذِّب هذه الفطرة ويصلح عيوبها، فليس في ذلك عذرٌ للإنسان، وإن أطاع ظلمه، وجهله، أو زاد جحوده، أو هلع وجزع، فإنَّه مهددٌ بالعقاب، ومثل ذلك المرأة التي تقع في أخطاءٍ مرتبطة بطبيعتها الأنثوية، فإنَّها مهددةٌ بالعقاب، وليس لديها عذرٌ مقبولٌ لمقارفة تلك الأخطاء.

أعذار الفاشلات

تبرر بعض الزوجات فعلها لبعض الأخطاء، وخلق المشكلات بدعوى أن من طبيعة المرأة الغيرة مثلاً، وربما راحت تستدل لفعلها بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وما علمت أنَّ التشريع

الرباني جاء مرشداً لأمنا عائشة رضي الله عنها، ولم يأت موافقاً لها؛ بل أمرها النبي ﷺ عندما ضربت الصحفة فكسرتها، أن تعوض ضرَّتها بصحفةٍ مماثلةٍ، وذلك بعد أن استغفرت من فعلها، وتابت منه.

ومن غير المناسب أن نرى بعض النساء لا تقتدي بأمنا عائشة رضي الله عنها إلاَّ في الخطأ فقط، وتترك الاقتداء بها في سيرتها، وفي علمها، وفي تقواها، وفي عبادتها، وفي رعايتها لزوجها، ومكانته عندها، ومكانتها عنده ﷺ، فهل الاقتداء يكون فقط في الأخطاء والتجاوزات؟!.

مع ملاحظة أمرٍ مهم، هو أنَّ أخطاء أمنا عائشة رضي الله عنها ناتجةٌ من صغر سنِّها، وفقر تجربتها في الحياة؛ حيث كان عمرها في بداية زواجها تسع سنين، والزلل في هذا العمر ليس أمراً مستغرباً، وهذا مبررٌ يغفر لها.

ثم إنَّ أخطاءها جاءت لحكمةٍ ربانيةٍ إلهيةٍ، وهي التشريع الرباني المترتب على حصول هذا الخطأ، فالنبي ﷺ مشرِّع، وأمُّنا عائشة رضي الله عنها في هذه الحادثة مخطئةٌ، وتابت من خطئها، والعقل يرفض أن تخطئ زوجةٌ في حق زوجها، ثم تأتي لتطالب بمعاملة النبي ﷺ، وهي مقيمةٌ على الخطأ، تستعذب تكراره، ولا تنتهي من خطأٍ حتى تمتطي غيره، متجاهلةً قبح تكرار الخطأ، وعدم اعتذارها منه؛ بل يتركز اهتمامها في مطالبة زوجها بما عامل به النبي ﷺ زوجاته عند خطئهنَّ.

الاقتداء مطلبٌ صحيحٌ وشريفٌ، ولكن الاقتداء بالنبي ﷺ مطلوبٌ من الجميع؛ الرجال والنساء على حدٍّ سواءٍ، فلماذا لا

تحرص الزوجات المخطئات على أخلاق النبي ﷺ من البداية؟!، ولماذا يتركن سنته وحسن أخلاقه، ويذهبن إلى الاقتداء بأخطاء زوجاته؟!، أرأيت إن جاءنا بشرٌ فاقتدى بمن أخطأ، فبال في المسجد مثلاً، أو نشر أسرار المسلمين للكفار، أو غيرها مما لاقاه النبي ﷺ من الأذى والأخطاء، هل هو محقٌّ في مطالبة الناس الآن بحلم النبي ﷺ؟!.

وهل من اللائق والأدب أن يطالبهم بالحلم والتؤدة، أم يحتمل ما يصيبه من أذى تجاه أخطائه؟!.

وأن نقول له: أخٌ كريمٌ، وابن أخ كريم، اذهبوا فأنتم الطلقاء؟!.

وهذا حال المرأة المطالبة بالعفوِ والتعامل النبوي، وهي في الوقت نفسه ترتكب الأخطاء وتكررها، وتستسهل الزلل، وتترك أخلاق النبوة، ثم تطالب زوجها بأخلاق النبوة.

أخطاء أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ وقعت خلال مدة حياتهن مع النبي ﷺ التي قاربت عشر سنين، وقع من بعضهنَّ خطأٌ واحدٌ، أو اثنين، وعلى وجه المبالغة لنفترض أنها خمسة أخطاء، أي بمعدل خطأ كل سنتين على أسوأ تقدير، مع العلم أنَّ بعضهنَّ لم يرد لنا أي خبرٍ صحيح أو ضعيفٍ عن خطأٍ وقع منها، فلا مقارنة بين أخطائهنَّ رضي الله عنهنَّ وبين زوجاتٍ تقع منهنَّ أخطاءٌ كلَّ أسبوع، أو كلَّ شهر، فتتربع على كرسي الفشل، ثم تجادل عن فشلها بأخطاء أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ، فلا سواء.

التعدد والعولمة

إن كانت العولمة: هي فتح الأسواق العالمية لجميع الشركات بدون حماية من الدولة المضيفة لشركاتها الوطنية (بدعوى أنَّ البقاء للأقوى)، فإنَّ موقف الحكومات من العولمة، كموقف الزوجات تجاه التعدد.

لقد أصرَّت بعض الدول على الانغلاق بدعوى عدم الإضرار بالصناعة الوطنية، وبدعوى حماية الأمن الوطني، وهنالك دولٌ أخرى انفتحت على الشركات، وجعلت هنالك ضوابط، تحمي شركاتها الوطنية.

والزوجة في بيتها تدخل عالم العولمة، لوجود المنافسة الأنثوية على زوجها الوديع خارج المنزل، فالزوجة لا تستطيع الانغلاق كما تفعله بعض الدول، ولكنها تستطيع أن (تطوِّر) من تعاملها، واحترامها لزوجها، وجعل الرصيد السابق من السنين الفائتة رصيداً ضخماً، لا تستطيع أيُّ أنثى المنافسة عليه، ومتى كانت الزوجة قويةً في أنوثتها، واحترامها، واصطيادها لقلب زوجها، فلا يضرها وجود المنافسات.

فقد تكون الزوجة مع زوج لم يعدِّد، ولكنها تعيش قمة الفشل، وفي نظرها أنَّها زوجةٌ مثاليَّةٌ، وهي غير ذلك.

وقد يتزوج الرجل من زوجةٍ أخرى، فيزيد حب زوجته الأولى في قلبه، ويكبر شأنها ومكانتها لديه، بسبب نجاحها في التعامل مع زواج زوجها من زوجةٍ أخرى.

(التعدد) كم هي مرعبةٌ هذه الكلمة، في سماعها، وقراءتها، أو حتى التفكير فيها، فما بالك حين تصبح قضيةً ماثلةً أمام عين المرأة كل ساعةٍ؟!.

إنَّ التعدد منحةٌ ربانيَّةٌ إلهيَّةٌ من الخالق تعالى وهو أعلم بخلقه، والزوجة التي تشكُّ، أو تعترضُ، إنما تشكُّ في حكمته تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

النساء غيوراتٌ، وبين أعطافهنَّ (حساسيَّةٌ مفرطةٌ) أمام هذا الموضوع، فليس لزاماً أنَّ من يتزوَّج بامرأة أخرى أنَّ دافعه النقص في زوجته الأولى؛ بل قد تكون من أحبِّ الناس إليه، ومن أجمل النساء خلْقاً، وألطفهنَّ خُلُقاً، ولكنَّ الزوج يشعر بأنَّ لديه القدرة على الزواج من الثانية؛ وذلك لأنَّ الرجل مجبولٌ ومخلوقٌ بفطرته إلى التطلُّع للأحسن، ولما جُبِل عليه من الفحولة التي تجعله يحبُّ أن يكون محبوباً من أكثر من امرأة، ولطيفاً مع أكثر من امرأة، وربما يكون غنيَّاً كثير المال يريد أن يُمتِّع نفسه بأصناف متعدِّدةٍ من النساء؛ محتسباً الأجر في إعفافهنَّ، فيتزوَّج على سبيل التعبُّد، وإكثار النسل، ويحمل مسؤولية فتاة من المجتمع المسلم.

وربما يرغب الرجل في التعدُّد مراعاة لله خوف الوقوع في المحذور والحرام، و خصوصا إن كان كثير الأسفار، ويتعذَّر عليه اصطحاب زوجته لوحدها، ولا إذا كانت كثيرة الأولاد، ومتعددة المسؤوليات، فيعدِّد الرجل لذلك، وغير ذلك من الأسباب الكثيرة، وعلى الزوجة أن تتقي الله في ذلك، وتعلم أنَّها عند معارضتها للتعدد، والزواج بالأخرى، إنَّما تعارض أمر الله تعالى، وعليها أن تلتمس لزوجها العذر في إباحة ذلك له من الله عز وجل، وليس معنى التعدد أنّ هنالك ما يعيبها، المهمُّ أن تطالب بما أوجبه الله تعالى لها، وتحتسب الأجر في الصبر على ذلك طاعة لله تعالى، وإيثاراً لأختها المسلمة الأخرى، ولن يضيع ذلك عند الله؛ بل

ستؤجر عليه بإذن الله تعالى.

كما أنَّ عليها أن تقدِّر مكانتها بالحكمة والإنصاف، فبعض النساء تكون هي أمُّ البيت الأولى، وهي الراشدة المديرة لشؤون الأبناء، والحافظة لهم بعد الله تعالى في غياب زوجها، وقد تعجز عن الوفاء بمتطلبات الزوج، مع مسؤوليتها العظيمة في تربية أبنائها، فهي الأمُّ الكبيرة التي لها الإجلال والتقدير من المحيطين بها، ولها الأجر من الله تعالى، والرضا من الزوج الذي سيكون طريقاً بعد رضا الله تعالى لدخول الجنَّة.

ليست القضية في أن يتزوج، أو لا يتزوج، ولكنَّ القضية الأهم؛ هي هل يحبُّك ويحترمك؟، أو أنَّ قيمتك عنده مثل سقط المتاع؟.

• الحمد لله أنَّ الزوج محدود الدخل، وعندما يطلب من زوجته بعض المال تطلق ما في داخلها بصراحة: (أخشى أن أعطيك المال، فتتزوج من أخرى).

بداخلها مخاوف من أن تتيسر حاله، فيجعل من طموحه واقعاً ملموساً، ولسان الحال يقول: (إنَّ زوجي لم يمنعه من الزواج إلاَّ الاحتياج فقط، ولازال بريق الفرصة يلمع في عينيه)، وهي مقتنعة تماماً بذلك، وترى أن (كارثة) ستحصل، ومع كلِّ هذا لم تبادر لمنع هذه الكارثة من الحصول، ولم تفعل حيال هذه القناعات شيئاً، والأوقات تتصرم، وهي كما هي، لم تغيِّر من طباعها وسلوكها نحو الأكمل والأجود.

أصبح زوجها يراها محطة انتظار سيغادرها قريباً، وكلُّ العجب في أنَّها لم تشحذ همتها لكي تحتويه، ولم تجعله يؤمن كلما رآها أنَّه يملك قطعة جوهر لا تُقدر، ودرَّة ياقوتٍ حتى تموت طموحاته

وتطلعاته برؤية هذه الطموحات متمثلةً في بيته وزوجته.

وما أحمق تلك الزوجة التي تظن أنَّها بذلت مع زوجها كلَّ ما في وسعها في حين أنَّها لم تبذل إلاَّ القليل.

المال عصب الحياة، والمرأة ذات المال تتوهم أنَّ الكرم على الزوج بمالها مخاطرةٌ مخيفةٌ، تقوده لمحاولة الزواج بثانية، فأينهن من خديجة رضي الله عنها؟!.

تبقى الزوجة منطويةً، هشَّة الثقة، باردة الطموح، قد بدأت تيأس من مفعولها الأنثوي، وكأنها استحالت (أكوام لحم)، بلا روح فيَّاضة، ولا نعومة آسرةٍ، تلعب بالعقول، ويتطلع إليها الرِّجال، وقدً تقلَّص تركيزها في (كيف سيرحل؟ .. كيف سيفلت؟ .. كيف سيهاجر؟)، وليس تفكيرها في (ما المطلوب مني تجاه الموقف؟ .. كيف أكون أكمل .. أكثر فعالية .. وإيجابية؟).

والسؤال: فلماذا كانت .. والآن صارت؟!.

فيما مضى كانت تشغل فكر زوجها وباله، ويستحلي صوتها بطع يتسرَّبُ إلى كيانه وروحه، قد كانت سماءه ونجومه وهلاله، ويود أنَّ حديثها لا ينقطع أو ينتهي، جاءها يسابق أشواقه؛ بل يسبقها، يحمل فوق رموشه آماله، واستعطافه، وكبرياءه طمعاً أن تحتضنها وتكونها، لم يكن أمله فيها كبيراً؛ بل أكبر من الكبير؛ بل كلُّ ما تمناه، وكلُّ ما كواه الحرمان والتشوق إليه، فهو يريدها هدوءاً حين يعصف ويتفجر، ويريدها حناناً ونداوةً حين تجفُّ روحه وتصدأ، ويريدها مأوىً يلقي فيه تعبه الذي أقلقه في حياته، ويريدها لمسات ناعمةً لطيفةً بين تفاصيل الروتين الحياتي، يريدها أن تذهله، وأن تبهره، وتزيل الرتابة عن نهاره، وتجبره على التبسم،

وفي الختام جاءها ليجد نفسه يجمع رماداً اشتدت به الريح في يوم عاصفٍ.

بدأ ينبش يمنة ويسرة، فلم يجد سوى (جسدٍ) تقبع بداخله (أنانيةٌ) عاجزةٌ، وهمٌّ واحدٌ هو (ذاتها) فقط، فإن ضحكت معه فلأجل أن تسعد ذاتها، وإن تحدثت إليه، فلأجل أن تزيل السآمة والملل عن ذاتها، وإن اتصلت به، فلأجل أن ترضي عطشها العاطفي، وإن عاشت معه الحياة الأسريَّة، فلأجل أن تصنع منه مخلوقاً هدفه الأهم الأوحد في الحياة أن يخدمها ويوفر لها رغباتها، فعلى أيِّ شيءٍ تلوم زوجها إن تزوج بأخرى؟!.

❖ ❖ ❖ ❖

القافزات نحو الهاوية

جميلة فقط وهي آنسة

لم تكن تطلب من الدنيا إلاَّ زوجاً، فتاريخ ميلادها يتدحرج صوب (الغد)، وهي تقف على رصيف الانتظار، أصبح التفكير في زوج المستقبل؛ هو هاجسها الذي يتسلل إلى خلواتها؛ ويزاحم اهتماماتها؛ بل ويزيد همومها.

تشعر بانقباض الترجي والأمل عندما تبدأ تتلفت عن يمينها وشمالها، وترى رفيقاتها، ومن يحاذونها في العمر، دخلوا عش الزوجيَّة، وبدأ الأطفال يزينون بيوتهم، وهي متكئةٌ في بيت أهلها، ترسم خربشاتٍ من الخيال، وتقطع الليل بتجميل قصور الأحلام بالأثاث الفاخر، وبعد المناسبات وحفلات الزواج تبدو رغبتها الحالمة في أن يأتيها اتصالٌ من (زوجها الموهوم)، يقول لها: (أنا

أنتظرك بالسيارة ... تأخرنا)، هذه كلماتٌ ذات إيقاع مطربٍ، وسمفونيةٌ حالمةٌ، تدغدغ مشاعرها بقيثارة الأمل والأماني.

تستلقي على فراشها لتخلد للنوم، فيسحبها الطموح، لتتطلع إلى بيتٍ صغير، يكون مملكتها بأثاثه وجدرانه، تصنع كوب عصيرٍ، مع طعامٍ تفنَّنت في طهيه، ثمَّ تتخيَّل أنَّها بانتظار زوجها المأمولٍ، وعشيقها المنتظر، فتتأمل وتأنس بالأحلام، ولكنها تتألم بعد استيقاظها من (حلم اليقظة)؛ لتعود إلى وسادتها ليس في يدها إلا كلمات؛ بل ليس في يدها كلمات، ولا حتى فتات.

يصادفها الخيال على غير ميعادٍ، عندما تدقِّق في المبيعات المعروضة في الأسواق، وقد تم صنعها بتركيبةٍ ثنائيةٍ (رجالي) و(نسائي)؛ فهنا طقم ساعاتٍ، وهنا معاطف، وهنا غرفة نوم، وهنا عطورٌ، وكأنَّ المألوف فيٍ الأسواق صار لديها غير مألوفٍ، فصارت الأشياء الصغيرة ثروةً جيدةً للغوص في التأمل و(الرحيل مع الهواجس).

وانتهت تلك المعاناة، واكتملت بليلة الأنس، ورزقها الله عزوجل بالزوج الصالح، وتلاشت آلام الحرمان، وبعد أن تمَّ لها الزواج، وابتسم لها الحظ حتى تشققت شفتاه، ورحل الغم، هاهي تسير، وبجوارها ذريتها المباركة.

لكن السيئ في الأمر أنَّ صاحبتنا نسيت كل ما مضى من لهب العنوسة، والافتقار إلى الزوج، وبدأ يتناقص الشكر من فمها ومن حياتها؛ فالشكر يكون لله تعالى، ثم لزوجها، ولكنها مع تناقص الشكر، بدأت تنسى معاناتها القديمة، كما نسيت الوعود التي قطعتها على نفسها: (والله لئن رزقتني زوجاً وأسرة، لأكونن

زوجةً مثاليةً، وأن أعبد الله تعالى بالشكر): (لئن أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين) يونس ٢٢، ونسيت في معمعة المشكلات مع زوجها أيامها القديمة، حينما كانت تسهر الليالي بالصلوات؛ لكي يجلب الله تعالى لها هذا الزوج، ونسيت أنَّها كانت ترسم مشاريع المستقبل العائلي في (مساحة الاحتياج، ولوعة العنوسة)، فماذا دهاها؟!، لقد بدأت أخلاقها تسوء، وتفكيرها ينزوي لأنانيتها فقط، لقد أصبحت تحرص على سخافاتٍ من متطلبات الحياة؛ لتنازع زوجها في جلبها لها، وحين رفضَ تلبية ما أرادت بدأت تشعر بأن حياتها مع زوجها باتت جحيماً لا يطاق، وأنَّ أسرتها لا تستحق الاستمرار في ظل فقدان هذه الكماليات، وبدأ يتزايد وزنها، وقلة اهتمامها بنفسها، فهل صدق شكسبير في قوله: (لا تطلب الفتاة من الدنيا إلاَّ زوجاً، فإذا جاء طلبت منه كلَّ شيءٍ).

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد يوماً، وعصبةٌ من النساء قعودٌ، فألوى بيده (اليمنى) إليهن بالسلام، وتبسم إليهن، وقال: (إياكنَّ وكفران المنعمين، إياكنَّ وكفران المنعمين، قالت إحداهن: يا رسول الله، أعوذ بالله يا نبي الله من كفران نعم الله. قال: بلى: إنَّ إحداكنَّ تطول أيمتها، ويطول تعنيسها، ثم يزوجها الله البعل، ويفيدها الولد، وقرَّة العين، ثم تغضب الغضبة، فتقسم بالله ما رأت منه ساعةً خيراً قط، فذلك من كفران نعم الله تعالى، وذلك من كفران المنعمين). أخرجه أحمد بسند حسن، وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الألباني في الأدب المفرد ٨٠٠

أرخص الناس

عندما نستعد لمقابلة (الناس)، نلبس أفخر الملابس وأغلاها، والزوج يضحي بماله، فيشتري لزوجته الملابس الثمينة من أجل أن تبدو بمظهرٍ حسنٍ أمام (الناس)، فترتديها فقط للمناسبات والأعراس، وليس في هذا عيبٌ، ولكن المصيبة أنَّها لا تلبس في بيتها إلاَّ الرخيص والبالي، فهل الزوج أرخص من (الناس)؟!.

يزداد ترتيب الزوجة للبيت، وتحرص على نظافته، وتفرط في ذلك بصورةٍ ملحوظةٍ عندما يزورها (الناس) في المناسبات، ولكنَّ الزوجة تغمض عينيها عن (غرفة نوم الزوج)، فلا يشملها مشروع النظافة المفاجئ، فكل ما سيراه (الناس) صار نظيفاً، لامعاً، برَّاقاً.

قائمة الطلبات تختنق في الورقة التي كتبتها الزوجة لزوجها، بمناسبة قدوم الضيوف، فالزوجة تريد من ضيوفها أن يأكلوا ما لذَّ وطاب، ولم تتنازل عن هذا المستوى الرائد من الخدمات في كلِّ مناسبةٍ.

وحين تسأل زوجها عن عدد المرات التي تناول فيها مثل هذا الطعام، يقول: تناولته بعدد مرات مجيء الضيوف، وحين لا يقوم بزيارتنا أحد، لا يقدم إلاَّ الحدّ الأدنى من الأطعمة، والأضعف من الخدمات.

ناقشها ذات يوم مطالباً بالمزيد من الاهتمام بتنويع طعامه، فأجابته بامتعاضٍ: أنت لم تحضر أغراضاً للبيت، فمن أين أصنع لك طعاماً بالمستوى الذي تطلبه؟!، قال لها: ألم تخنقي الورقة بالطلبات حين حضر لنا الضيوف، فلماذا لم تخنقيها بالطلبات

ولو مرة واحدة لأجلي؟! يا زوجتي إن كنت صادقة في عدم توفر الأغراض في البيت، فلماذا لا أرى الأواني الفخمة، والصحون الثمينة إلاَّ حين مجيء الضيوف؛ بل أحياناً تكون الأواني التي تقدمينها لطعامنا متثلمة، أو معوجة، أو بعض الكؤوس قد كُسر طرفها، فهل أنا أرخص من الضيوف؟!.

قلت لإحدى الزوجات: لماذا لا تهتمين، ولا تتجملين لزوجك كما كنت أيام الخطبة، وأول أيام الزواج، فاعتذرت عن نفسها، وعن بنات جنسها، فقالت: (طبيعة الحياة، وظروف المنزل، ومستلزمات الأسرة، ومرور الوقت، ووو)، تجعل الزوجة تقلل من التجمل للزوج.

قلت: ولكني أرى المذيعات في الإعلام (جميعاً) بلا استثناء، يمكثن في وظيفتهنَّ عشر سنوات، أو أكثر، ولم تخرج يوماً للمشاهدين بدون مكياج أو تجمل، بالرغم من (طبيعة الحياة، وظروف المنزل، ومستلزمات الأسرة، ومرور الوقت، ووو)، وما ذلك إلاَّ لأنَّ المشاهد مهمٌ، ويستحق المواصلة في التجمل أكثر من عشر سنوات، وأما زوجها عندها، فهو غير مهمٍ، ولا يستحق هذا البذل.

وليست المذيعات فقط؛ بل حتى الموظفات يبذلن في التجمل وقتاً طويلاً كل يوم، من أجل الناس الذين يقابلنهم، ولكن الواحدة منهنَّ لا تتجمل بالجودة نفسها من أجل زوجها في الإجازة الأسبوعية.

بل حتى لا تحافظ على ما تبقى من تجملها للوظيفة من فتات المكياج؛ ليهنأ الزوج ببقاياه، بل تبادر بأن تغسل وجهها حال رجوعها، ثم تلتفت لأمور المنزل، ولم ينل زوجها حتى البقايا، وإن

كان الأسبوع سبعة أيام، فإنَّ خمسة أيام تذهب فيها للوظيفة، ويومين للإجازة، فتصبحُ أيام التجمل خمسة أيام فقط، وترتاح من ساعات الزينة والمكياج في الإجازات حين تكون مع زوجها لوحدهما.

سماعة الهاتف تشهد بأنَّ العبارات اللبقة، و حسن الأدب والكلمات اللطيفة للناس، وتشهد سماعة الهاتف كذلك أنَّ الطلبات والأوامر للزوج فقط.

يصاب أخوها بضائقة مالية، فتنطلق لمساعدته بمالها على خير وجهٍ، وزوجها يقطع لحم وجهه يميناً وشمالاً ليستدين، وهي تقوم بدور المتفرج على خير وجهٍ.

يشتعل مصروف الزوج بنار طلبات زوجته، التي وقودها الشراء والشراء والشراء، وحينما يرفض طلبها ذات مساء، لظروفٍ مالية تمرُّ به، تستشيط غيظاً، وتزمجر غضباً، فلا تلتمس له العذر؛ بل طنينٌ، وأنينٌ، وحنينٌ، وتلحُّ على زوجها أن يستدين، ولو دخل الزوج السجن، فهل ستتبرع ببيع ذهبها ومجوهراتها لأجله لو احتاج؟!.

ولو طلبت مالها المستدان من أخيها أو أختها أو إحدى صواحبها، فامتنعت لما غضبت مثل غضبها من امتناع زوجها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

من الروتين اليومي

جلس الزوج مع إحدى زوجاته الثلاث، وكانت أقبحهنَّ شكلاً، وبعد فترة صمتٍ قصيرةٍ، قالت: أنا أجمل نسائك كلهنَّ، ولو فتَّشت بين نساء العالم، فلن تجد إنسانةً مثلي!، فابتسم الزوج من حكمته؛ لأنَّه يعلم أنَّ هذا من الكذب الحلال، ولأنَّه لا يريد

جرح مشاعرها، فأغلب الزوجات يزعمن لأزواجهنَّ أنهنَّ حورياتٌ نادراتٌ بلا مثيل.

مواعيد غير مناسبة

(المرأة البحر) تختار الزمان والمكان المناسبين لتقديم طلبها، وتقول لكل زوجةٍ: حاذري أن تقدمي الطلبات، في مثل هذه الحالات:

عندما يكون واقفاً، وأنت جالسة.

عندما يستعدُّ للخروج.

عند استقباله وهو عائدٌ من سهرته.

عندما يكون منهمكاً في أمرٍ يهمه؛ كالقراءة مثلاً.

في وقت النوم، أو في لحظاتِ المعاشرة.

في أوقات العمل الرسمي.

حينما يكون في المسجد.

عند اجتماعه مع رفاقه.

الزوجة الذبابة

كثرة الأسئلة والإلحاح من دواعي تضايق الزوج من زوجته، أو هروبه من الجلوس إليها، فهي تهلك البدن، وألتمس منك العذر أخي القارئ بأن أعطيك أمثلة مزعجة، وتهلك بدنك مادمت تمسك بكتابي بين يديك الناعمتين:

س- إلى أين ستذهب؟، متى ستعود؟ .أين كنت؟، من كان معك؟، لمن الرقم الذي اتصلت منه؟، لماذا تأخرت؟، من المتصل على هاتفك قبل قليل؟، أهلي أو أهلك؟، لماذا اتصلوا؟،ماذا قالوا؟، ماذا قلت

لهم؟، من الضيف الذي زارنا قبل قليل؟، يبدو أنَّ لديه موضوعاً مهمَّاً، فقد زارنا منذ يومين؟، أول مرة أسمع اسم صاحبك هذا، لماذا لم تحدثني عنه من قبل؟، لماذا جلست وحدك، وأغلقت باب الغرفة؟، لماذا زرت أهلك ولم تخبرني؟.

سلسلة طويلة من الأسئلة التي تمحو من وجه الزوجة صورة (المعشوقة المحبوبة)، صاحبة الدلال والأنوثة، وترسم على محيَّاها معالم البؤس، والكآبة، والتحقيق المتعب عن أمر لا جدوى وراءه.

حب الفضول (التطفُّل) ميزةٌ في البشر، وكلُّ إنسانٍ يرغب أن يعرف كلَّ شيءٍ، ولكن المطلوب هو ضبط النفس على الأخلاق الحميدة، وستجد الزوجة بعد ضبطها لنفسها، أنَّ زوجها يأتي ليقول لها كلَّ شيء، وهو في حالة انبساطٍ، وسيكون بشوشاً وفرحاً بحديثه معها، وستحصل على ما تريد.

و(المرأة البحر) تطرح سؤالاً لكلِّ زوجةٍ كثيرة الأسئلة: ألم تغتاظي يوماً من ذبابٍ، كلما تطردينه يعود بطنينه مرة أخرى، حتى أفقدك صوابك؟!، إنَّ إلحاحكِ، وكثرة أسئلتكِ، تخلق الشعور نفسه عند الزوج.

الاستخبارات المنزلية

خطيئةٌ اجتماعيَّةٌ خطيرةٌ، وإحدى الكبائر الشرعيَّة، ومخالفة سياسيَّة دوليَّة، اتفقت الدول على عقوبة مرتكبها (بالإعدام)؛ ألا وهي (نظام الجاسوسيَّة)؛ الذي تمارسه بعضهنَّ في بيت زوجها ضده، فتتلصص على حركاته وسكناته؛ بل ربما استعانت ببراءة الأطفال؛ لنقل الأخبار إليها، (فنظام استخبارات الدولة) تركه دون ملاحقة، (ونظام استخبارات الزوجة) يتنصت عليه،

ويحسب كلَّ شاردةٍ وواردةٍ، ومهما حاولت الزوجة الشكاكة تبرير عذرٍ لخطئها، وزعمت أنها تريد من التجسس الخير والمحافظة علىٰ زوجها، فإنَّ التجسس المحرَّم لا يأتي بخيرٍ، وسوف يقلق بالها، ويعكر صفو حياتها، فلو كان التجسُّس يجلبُ نفعاً لما جعله الله تعالى من المحرمات وكبائر الذنوب، وإنما يمتطي الشيطان بعض البشر بحججه الباهتة؛ بل إنَّ تلهف بعض الزوجات يمتدُّ إلى التنصت على شخيره، هو نائمٌ؛ لمعرفة أسراره، فلعلَّ لسانه يفلت بجملةٍ أو عبارةٍ ينكشف من تحتها سرٌّ، وهذا التلصص ليس سخفاً وحسبٍ، بل كبيرة في دين الله تعالى.

وزوجاتٌ كثيراتٌ يخفن من أن يعدد أزواجهنَّ، فتبدأ إحداهنَّ بمطالبة زوجها أن يحلف لها بأنه لن يعدِّد، وتثور براكينها لو تأخر في مجيئه، فإن حلف تجاهلت حلفه، وطغى الشك طغياناً كبيراً، وراحت تحاصره بالتجسس والتحسس والتلصص، وهذه الزوجة بهذه الطريقة تقود زوجها، ليحقق مخاوفها، ويجعل الخيال زوجةً في الحلال.

الوسواس الخناس

كانت سعيدةً في حياتها مع زوجها، ولم تكن تشتكي مطلقاً من المشكلات، فانحرف تفكيرها من الشكر على النعيم إلى التفكير بعمقٍ في أنَّ حياتها ليست بذاك، ومن يدري فربما تكون البيوت أحسنٍ مني حـالاً؟!، حفظنا فـي الصغر حكمةً قديمـةً، تقول: (الصحة تاجٌ فوق رؤوس الأصحاء، لا يراه إلاَّ المرضى).

لا ... للعصيان

عن معاذ بن جبلٍ عن النبي ﷺ قال: (لا تؤذي امرأةٌ زوجها في الدنيا إلاَّ قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل (ضيف ونزيل) يوشك أن يفارقك إلينا) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ، وصححه الألباني / صحيح الجامع ٢٤٦٣.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم حتى يرجعوا: العبد الآبق (هارب)، وامرأةٌ باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قومٍ وهم له كارهون) قال الترمذي: حديث حسن، صحيح الجامع ٣٠٥٧.

غضب الله تعالى ولعن الملائكة الكرام عليهم السلام، ودعاء الحور العين، وعدم قبول الصلاة، وختاماً النار، كلها تجتمع في عصيان الزوج، أو إيذائه، أفلا يكفي كلُّ هذا ليتنبه العقلاء لتلك الجريمة التي يريد أن يلصقها العلمانيون بالمرأة، فيهلكوا دنياها وآخرتها.

وإذا كان تعريف (الكبيرة): هو ما ختم بنارٍ، أو غضبٍ، أو لعنةٍ، فإنَّ عصيان الزوجة لزوجها قد اجتمعت فيه الأمور الثلاثة؛ فالنار في قول النبي ﷺ: (فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك) صحيح الجامع ١٥٠٩.

وأما الغضب في قوله ﷺ، كما في الصحيحين: (إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها زوجها).

وأما اللعنة في قوله ﷺ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها ؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح) متفق عليه.

رب كلمةٍ سلبت نعمة

في بداية الزواج بدأت تنمو بينهما كلمات اللطف، وعبارات الغزل الناعمة، لكنَّ الزوجة ذات يوم طلبت من زوجها شيئاً، فلم يوافق عليه، فقالت بانفعالٍ: أين كلامك لي إذن؟! فسألها: أيُّ كلام تعنين؟، قالت: كلام الغزل، والحب، والهوى، ألم تقل لي أنتِ حبيبتي؟!، ألم تقل لي: لو طلبتِ الدنيا أتيتك بها؟!، ألم ...؟! ألم...؟!، حتى أصاب فؤاده الألم، وبعد هذا الموقف الذي تكرر، قرَّر الزوج أن يمتنع عن التغزل بزوجته، خوفاً من أن يفصح عن مشاعره، فتتصيدها زوجته؛ لتحاسبه عليها فيما بعد.

وبعد فترة من الزمن، عادت لتسأله: لماذا لم تعد تتغزل بي؟!.

إلا زوجها

من طبيعة زوجته أنَّها تتنازل عن حقوقها دائماً مع الآخرين؛ سواءٌ في عائلتها، أو في عائلة زوجها، أو في صواحبها، فهي تنتهج طريق المسالمة، وحين يراها زوجها بهذا التسامح الطاغي مع الناس، يقفز على فمه استفهام: (لماذا لم تغضبي وتنتزعي حقك ممن يخطئون معك، كما هي عادتك معي في حياتنا؟!)، فأنا لم أفهم (تسامحك الحاتمي) مع غيري؟!، ومحاسبتك الفظيعة معي؟!، فأحببت أن أشارك زوجها بقولي: أنا أيضاً لم أستطع أن أفهم مثلك؟! مع أنَّ المفترض أن يكون الإنسان أكثر تسامحاً وعفواً مع الأقربين، والأحباب، ومن لهم الفضل عليه؟!، وليس من يكرههم ويبغضهم؟!.

أفعالك لها شفة ولسان

تزعم أنَّها تحبُّ زوجها حبَّاً يخالط لحمها وعظمها، وتكتب في غرفتها أول حرف من اسمها، وأول حرف من اسمه، وفي وريقات التقويم تكتب أبيات شعرٍ مزركشةٍ تدل على الحب، والحنان، والرقة، والوداد، فكيفً يكون هذًا الحب صادقاً، ومعه هذا العصيان للزوج، ومنازعة أوامره، أو إظهار الطاعة في وجوده، ثم مخالفة كلامه في غيابه؟!.

لو كان حبُّك صادقاً لأطعتهُ إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

سؤال معاصر وجواب نبوي

س- ما الحكم في أن نجلب خادمة للمنزل؛ لكثرة الأعباء، وتزايد مشاق المنزل؟.

ج-عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيقٌ، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال: (فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال: على مكانكما، فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما؟، إذا أخذتما مضاجعكما، أو أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم) رواه البخاري.

س-هل يجوز للمرأة أن تأخذ لأهلها من مال زوجها، أو من الطعام الذي في بيته؟.

ج-عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في

خطبته عام حجة الوداع: (لا تنفق امرأة شيئًا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟، قال: ذاك أفضل أموالنا) حسنه الألباني/ صحيح الترغيب ٩٤٣.

س-هل يجوز للمرأة أن تخلع ثيابها خارج بيتها، من أجل أن تجملها الكوافير، أو تمارس النظافة في حمام الساونا، أو البخار، أو المساج؟.

ج-عن أمّ الدرداء قالت: (خرجت من الحمّام، فلقيني رسول الله ﷺ فقال: من أين يا أمّ الدرداء؟، قالت: من الحمّام، فقال: (والذي نفسي بيده، ما من امرأةٍ تضع ثيابها في غير بيت أحد من أمهاتها، إلاّ وهي هاتكةٌ كلّ ستر بينها وبين الرحمن). رواه أحمد وصححه الألباني في آداب الزفاف ٦٨.

س-هل تصل طاعة الزوج إلى عظمة أركان الإسلام؟.

ج-عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: (إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) صححه الألباني في صحيح الجامع ٦٦٠.

س ـــ هل يجوز للمرأة أن تمس طيباً (العطر) قبل خروجها للمسجد أو غيره؟.

ج ـــ روى أبو موسى الأشعري أن الرسول ﷺ قال: (أيما امرأة استعطرت ثم مرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وحسنه الألباني ٢٧٠١.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ليخرجن وهن تفلات) متفق عليه.

س ـــ هل الزوج يقرر مصير الزوجة إلى جنة أم إلى نارٍ؟.

ج ــ قال: الرسول ﷺ لإحدى نساء الصحابة: كيف أنت له؟، قالت: لا ألوه (أي لا أقصر في طاعته) إلا ما عجزت عنه قال: أنظري أين أنتِ منه فإنه جنتك ونارك) رواه أحمد وهو صحيح الإسناد. وصححه الالباني / صحيح الترغيب ١٩٣٣.

س ــ هل يجوز وصف المرأة محاسن امرأة أخرى لزوجها؟.

ج-عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: (لا تباشر المرأة المرأة تصفها لزوجها كأنه ينظر إليها) متفق عليه.

س ــ هل يجوز للمرأة أن تصوم دون إذن زوجها؟، وهل لها أن تأذن لأحد من الناس لدخول بيته؟.

ج-عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بأذنهِ، ولا تأذن في بيتهِ إلا بإذنه) متفق عليه.

❖ ❖ ❖ ❖

نماذج

حين يكون زوجك فرعون

عن معاوية ابن قرة، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ: (كمل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمل من النساء إلاَّ ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) رواه الشيخان.

كل زوجةٍ تتوق وتتمنى أن تصبح أكمل أنثى، والطريق الأكيد الذي تمتطيه، فيوصلها حتماً إلى (الكمال المحمود)، هو المبالغة في طاعة الزوج، والتواضع له، والكاملات من النساء خير شاهدٍ

في ذلك، ومقابل ذلك، فإنَّ ازدياد الزوجة عناداً، وإعراضـ
واعتراضاً، يزيدها ابتعاداً عن الكمال، ولنا في زوجة نوح وزوج
لوط على أزواجهما السلام خير دليل، وأسوأ مثال، (والمر
البحر) تأخذ من أولئك النساء الكاملات الثلاث، أوالأربع كـ
في الرواية الأخرى خير مثالٍ تحتذي به، فمن مريم عليها السلا
تأخذ العبادة، ولذة الحياة مع الله تعالى، وحسن التربية لابنه
عيسى عليه السلام، ومن خديجة رضي الله عنها تأخذ تعاملها المبدع م
النبي ﷺ، الزوج الداعي إلى الخير، وتأخذ من آسية بنت مزاحـ
رضي الله عنها درساً للاقتداء؛ لتميزها بطاعة زوجها، وصبره
على أذاه، وسوء طباعه، وقبيح معاشرته، فهي لم تكن ترى الكف
وحسب؛ بل ترى أعظم من الكفر؛ وهو (ادعاء الربوبية) والزع
بأنَّه الإله الوحيد الذي لا يعلم إلهاً غيره، فزوجها (فرعون)؛ ذلا
المدعي أنَّه الرب الأعلى، وهو (فرعون) الذي يسوم بني إسرائيـ
سوء العذاب، وهو السفاح الأهوج الذي قتل براءة الأطفال فـ
(سن الرضاعة) عشرات السنين، بلا ذنب ولا (حياة قلب)، ولكـ
حينما نقل الله عز وجل كلام آسية بنت مزاحم رضي الله عنـ
مع زوجها فرعون، ظهر لنا حسن تأدب الزوجة الكاملة مع زوجهـ
ورقَّة حديثها معه بنبرة الخضوع الكامل: (وقالت امرأة فرعون قرّ
عينٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) القصص٩.

منَ أبرز مظاهر كمالها؛ أنَّها متميزةٌ في (زمن الغربة)، وزوجـ
صالحةٌ مبدعةٌ في مجتمع لا يساعدها على مواصلة الإبداع
والتعامل الراقي مع هذا الزوج الطاغية، وأيضاً ليس هنالك صد
لما تقدمه من كلامٍ حنونٍ، أو دلالٍ، أو معاملةٍ بديعةٍ، أو مراعـ

من زوجها لحسن أدبها وأخلاقها، وهذا هو الذي رفع مكانتها، وأكرم قدرها، وهذا بالضبط موقف (المرأة البحر)؛ حيث لا تتعامل مع زوجها بالإحسان المشروط بأسلوب (الفواتير المؤجلة)؛ بل تتعامل بالحسنات التي ترجوها من الكريم المنان عز وجل، وهنالك زوجاتٌ كثيراتٌ نراهنَّ اليوم يسوء تعاملهن مع أزواجهن بقبيح الأفعال، ويرتكبن المناهي والمنكرات رغم أن بيوتهنَّ صالحةٌ، ومجتمعاتهن طاهرةٌ، ففسادهنَّ مع وجود العوامل المساعدة لهنَّ، يجعلنا نقرن حالهنَّ بامرأة نوح وامرأة لوط، فأزواجهما أنبياءٌ، وبيوتهما محرابٌ وعبادةٌ، ومعً ذلك قالً الله تعالى لهنَّ: (... وقيل ادخلا النار مع الداخلين) التحريم ٨، فمن غير المقبول أن تبرر الزوجة العاصية الناشزة موقفها؛ بأنَّ زوجها (أخلاقه سيئةٌ)، أو أنَّه لا يمتدح تصرفاتها الحميدة، ولا يصفق لتضحياتها طويلاً؛ بل يقابلها بالصمت، فتقوم بإصدار القرار البائس؛ (أنَّها لن تعمل أيَّ تصرفٍ حسنٍ)، فكيف بالزوجة التي تجرجر الخزي والخيانة على نفسها، وعلى زوجها الذي لا يشكر صنيعها، و تجرجر الخزي كذلك على أهلها؟!؛ بأن تمارس الانتقام قاذفةً نفسها في أحضان (الهوى القذر)، باحثةً عن عشيقٍ يمتدح أنفها المدبب، وعيونها القرمزية، كلُّ ذلك لأنَّ زوجها لا يمتدحها، أو يبخل عليها بكلامٍ من (قواميس الغزل)، فكيف لو عاشت مع فرعون؟!.

(المرأة البحر) لا تجعل صلاحها مرتبطاً بصلاح زوجها، ولا أدبها نتيجةً لأدبه، ولا حسن تعاملها شرطاً لحسن أدبه، فهي كالذهب لا يتغير باختلاف الأجواء والمناخات.

تعطي آسية بنت مزاحم زوجة فرعون رضي الله عنها (للمرأة

البحر)، ولزوجات العالم درساً في الثبات على المبدأ والمواصلة على القناعات السليمة، لا كما يشتهر في عصرنا مقولة (المرأة على دين زوجها)، فكثير من الصالحات يتركن الصلاح والتدين بعد زواجهن من غير الصالحين، فنرى إحداهن قبل زواجها تصبح وتمسي (مشعل صلاح وهدى) في بيت أهلها، فتأمر إخوتها بالصلاة، (وتصطبر) عليها، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتصبر على ما أصابها، وبعد زواجها للأسف لا توقظ للصلاة زوجاً، ولا تأمر بمعروف، ولا تنكر منكراً، ولا يتبين صلاحها القديم حتى على أولادها، بالرغم من أنها ألصق بهم، وأقوى تأثيراً عليهم من أبيهم، وبعض الصالحات لا تلبس ملابس فتنة، أو عباءةً فيها مخالفةٌ، ولكن بعد زاوجها لبست ما يحلّ، وما يحرمُ، فلم تكن عوناً لزوجها على الخير؛ بل كانت تابعةً له في الشر، فلم تكن رأساً في الخير؛ بل صارت ذنباً في الشر؛ بل إنَّ بعضهنَّ تترفع عن شرب الدخان، أو الأرجيلة، ولكنَّها بعد زواجها تستسلم، وتضعف، وتقع في أخطاء كانت تتنزه عنها.

ومن آسية بنت مزاحم رضي الله عنها، نأخذ مثالاً على شجاعة زوجةٍ أعجزت بطولاتُ الرجال، حيث وقفت معلنةً إيمانها في وجه طاغية الطغاة، واستهانت بالموت الزؤام، فقالت كلمة الحق، وهي تستثقل رأسها، وتتيقن بأنَّ فرعون سيقتلها لا محالة، وفعلاً صبرت حتى قتلها، وطردها من هذه الحياة، فاستقبلها ربها، وأسكنها بجواره في بيت بالجنه، فنعم الجار، ونعم الدار.

❖ ❖ ❖ ❖

عروسٌ فوق الأربعين

للنفس حيلٌ وتلاعبٌ؛ والعجب أنَّها بمرور الزمن تصدِّق تلك الحيل والتلاعب الصادرة منها، والنساء في رؤيتهنَّ لعالم الزوجية، تشيع بينهنَّ الكثير من المفاهيم الخاطئة، وإن كانت هؤلاء النسوة يعشن في زمن الانفتاح والتقدُّم، إلاَّ أنَّ مفاهيمهنَّ تصحِّحها زوجةٌ عاشت في القرون الماضية.

إنَّها أمنا: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، حيث تزوجت من النبي ﷺ في أعظم زواج عرفه تاريخ البشر، وحين تتأمل صفات هذه المرأة الكاملة، أنجح زوجةٍ عرفها تاريخ الأسرة، تجد فيها صفاتٍ تخالف مفاهيم نسائنا في النجاح الأسري، وتصحِّح المفاهيم الخاطئة المنتشرة بين نسائنا، وأسوق بعضها كالتالي:

المفهوم الأول: (العمر) الشابة الصغيرة أنجح من الكبيرة في كسب الزوج.

فخديجة رضي الله عنها عمرها في الأربعين، وقد تزوجت مرتين قبل النبي ﷺ ، وهو لم يسبق له أن تزوج مطلقاً، فهي في نظر نسائنا تملك إمكانيات أقلَّ من الزوجة، الشابة، الصغيرة، البكر.

وزوجها أيضاً قادرٌ على أن يتزوج من أخرى، ولكنها استطاعت أن تنجح نجاحاً سبقت به عشر زوجاتٍ بعدها؛ ثيبات وأبكاراً.

مع العلم أنَّ فارق العمر بينهما، ليس بالفارق القصير، فزوجها ﷺ أصغر منها بخمسة عشرة عاماً.

المفهوم الثاني: التطمين قبل الاستفسار؛ أنت لا أنا.

دواعي الفضول تغلبنا، فننسى آلام من أمامنا، فنؤجل مشاركته

في آلامه، حتى نستفهم ونستعلم، فنحن في الحقيقة منساقون خلف رغبتنا، غافلون عن مشاعر غيرنا، مهما تذاكينا وادعينا أننا تلك اللحظة نستطرد في الاستفهام عن حالته، وإنما متابعة الأسئلة على صاحب المصيبة، هي من إرواء الفضول المتعطش، دون أن نسقي المتألم بعضاً من احتياجه، وحينما تقدم لنا الكاملة خديجة رضي الله عنها أنموذج الزوجة المراعية لمشاعر زوجها، رأيناها تكبح جماح الفضول، وتترك الاستفسار، وتتجاهل كلَّ رغباتها؛ لتطمئن زوجها، قبل أن تعرف ما الذي حدث؟!، وإنما أبانت أن رغبتها في الاطمئنان، أهم من رغبتها الفطرية في استكشاف الأمر، فهو عندها أهم من نفسها.

المفهوم الثالث: خدمته بنفسها.

قامت خديجة رضي الله عنها فزمَّلته، ودثّرته، حينما قال: (زملوني) (دثروني)، وكانت تأتي بالطعام إليه وقت بقائه في الغار، ولم ترسل أحداً، بالرغم من غناها، فهي مخدومةٌ بمالها، أو جاهها، أو أولادها، ومع ذلك ذهبت بنفسها، وكأن وراء ذهابها بنفسها هدفين؛ الأول: وقوفها على خدمته، والثاني: رؤيته، والحديث العابر معه، دون أن تقطع حبيبها عن محبوبه، والشيء الذي يفرغ نفسه لأجله، ولسان الحال يقول: لن أقطعك عن الخلوة التي حُببت إليك، ولكني سأستمتع بالنظرة العابرة، والحديث الخاطف الذي أكتفي به، وسأصبر على الابتعاد عنك؛ لأجل رغبتك أنت، لا رغبتي أنا، حتى لو زاد شوقي إليك.

وبعض الزوجات تبدي الضجر والامتعاض، مطالبة زوجها بالبقاء معها، وأن يترك محبوباته، فالزوج الذي يحب القراءة

مثلاً، يجد كما وجد الإمام الزهري من زوجته، فتتذمر زوجته بقول: (والله إنَّ هذه الكتب أشدُّ علي من ثلاث ضرائر).

المفهوم الرابع: المديح والتشجيع وإعطاء الثقة.

نطقتها خديجة رضي الله عنها، وحلفت عليها: (والله لا يخزيك الله أبداً)، لتشجع فؤاده، وتربط على قلبه، وتمنحه الثقة في هذا الموقف العصيب، وإنَّ لضعف الزوجة قوةً في هذا الموضع لا تشعر به الكثيرات من الزوجات.

وحتى تؤكد ذلك بالبرهان المشاهد، راحت تعطيه الثقة المطلقة، فكانت أول من أسلم معه، وصدق به، علماً أنه قد أتى بدينٍ جديدٍ لم يتبعه عليه أحدٌ، فلم تنظر إلى غيرها من الناس، هل تبعوه أم كذبوه؟، المهم أنَّها تثق به، وآمنت بدينه، حتى لو كانت هي الوحيدة في ذلك.

والثقة في أوساط الكثير من الزوجات اليوم؛ تصل للحدِّ الذي يجعلهنَّ يشاكسن، ويقمن بالإشراف على تصرفات الزوج، ويحاسبنه على قراراته، ولابدَّ أن يقتنعن، وربما قالت الزوجة: (من حقي أن أسأله وأحاسبه لأني على حق، حتى بإمكانك أن تسأل أخي)، وربما كان أخوها بلوىً منزلةً، لا يعرف مصلحته، فضلاً عن أن يكون مستشاراً، وربما بدأت الزوجة بالوصايا المزعجة في بداية الأمر، وبالعتب الجارح والإلحاح بالملامة في النهاية، فكيف سيحبها الزوج؟!.

المفهوم الخامس: توظيف العلاقات والروابط الأسرية من أجل مصالح الزوج.

فقد استغلت خديجة رضي الله عنها لأجل مصالح الزوج جميع

ما في يدها من ورقةٍ؛ حتى ورقة بن نوفل، وذهبت بنفسها، لتباشر الموضوع المهم لزوجها؛ وهو نزول الوحي، وفي حياتنا نرى زوجاتٍ كثيراتٍ لا يخطر ببالهنَّ أصلًا أن يفعلن الشيء نفسه، فمن أقاربها، أو من أقارب صويحباتها، أو من أزواجهنَّ من يستطيع أن يسهل أمور زوجها، أو ينجز له أعماله،لكنه تردد: (لكم دينكم ولي دين).

المفهوم السادس: احتقار آلام الزوج، وعدم إشعاره بالوقوف معه.

فخديجة لم تستقبل رسول الله ﷺ، بازدراء خوفه عندما أتى من غار حراء؛ لتقول له: (تستحق ما حصل لك، لماذا تترك بيتك وأولادك، وتذهب للمكوث في غار حراء، لو بقيت معنا، لما أصابك ما أصابك)؛ بل وقفت معه، بما آتاها الله تعالى من رجحان العقل وقوّة الشخصيّة.

المفهوم السابع: التضحية.

فقد أُصيب ﷺ بالرعب حين رأى جبريل عليه السلام أوّل مرّة، فلما دخل على خديجة قال: (زمّلوني زمّلوني)، ولمّا ذهب عنه الفزع قال: (لقد خشيت على نفسي)، فطمأنته قائلةً: (كلا والله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) رواه البخاري ومسلم، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل، ليبشّره باصطفاء الله له خاتماً للأنبياء عليهم السلام. فخديجة رضي الله عنها بأفعالها توضح للبشر جميعاً، والزوجات بالذات معنى (الحب)، فتضحي تضحياتٍ جليلةٍ؛ كالتضحية بالأهل، والتضحية بالراحة

والنعيم، والتضحية بالمال والنعيم، والتضحية بالأنس بالزوج، فحين يُحاصر زوجها ﷺ حصار الشعب، لا تتأخر عن اقتحام المصاعب معه، وتبين المعنى الصحيح (للحب الصحيح)؛ مع أنَّ لديها مبررات مقنعةً لو أرادت الانسحاب، فعمرها آنذاك تجاوز الستين سنةً، وعليها مستلزمات لأولادها من أزواجها السابقين، ومن حقهم أن تترك الشعب؛ لتراعي شؤونهم، وأيضاً فالحصار كان فقط لبني عبدالمطلب، وليس نسبها إليهم، ولا ننس الغنى الذي كانت تعيشه، لأنّه يجعلها تكتفي بإرسال الطعام، وهي باقية في بيتها، ولكنها دخلت مع زوجها للحصار الشديد، والمعيشة المرهقة، والجوع حتى أكلوا أوراق الشجر، ولم تكن المدة أياماً، أو شهوراً؛ بل ثلاث سنوات عجاف، بالرغم من أنَّها من أغنياء قريش، وذات حسب، ونسب، ووجاهة، ورغم كلِّ هذه المبررات المقنعة جداً، إلاَّ أنها تلذذت بالتضحية لزوجها، حتى ولو عانت المتاعب في ذلك.

هذا هو الحب الصادق الحقيقي، وليس ما تسممت به الأفهام مما يوجد في روايات الغرام، أو في أرحام الأفلام، وقصص الورود والأحضان، والاحتيال المخادع الذي تنجرف معه الفتيات.

وزوجات اليوم ليس لدى الواحدة منهنَّ أيّ استعداد أن تضحي في الانتقال مع زوجها بسبب وظيفته، أو السكن مع أهله، أو تحمُّل فقره، ومشاركته في حاجته، وعدم تكليفه ما لا يطيق من أجل مناسبةٍ ما، أو التغيُّب عن المناسبات حال انشغال الزوج، أو التضحية بسفرها معه للاستجمام لبلدٍ لا يعجبها، أو التضحية بأهلها والاجتماع معهم، أو غير ذلك من التضحيات اليسيرة،

مقارنة بما صنعته خديجة رضي الله عنها، وقد قال الله تعالى في شأن موسى وزوجته: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ...﴾القصص :٢٩.

المفهوم الثامن: الجنس ليس مقياساً للنجاح في كسب الزوج.

فخديجة رضي الله عنها تزوجت مرتين، وأنجبت من كل زوجٍ منهما، ومع ذلك عاش معها النبي ﷺ ولم يتلفت إلى غيرها، وبقيَ يشكر لها حتى بعد وفاتها، وسمي عام وفاتها (بعام الحزن)، وأحياناً يبكي بكاء حزيناً عندما يذكرها، وصارت ذكراها معه بالرغم من أنه تزوج بعدها عشر نساء، ومع ذلك لم يتوقف هذا النجاح من خديجة رضي الله عنها عند هذا الشيء؛ بل كان أكبر وأكبر، وهو:

غيرة عائشة منها رضي الله عنهما، وهي الأصغر سناً، والأجمل هيئةً وحسناً، من كثرة ما يرد ذكر خديجة رضي الله عنها على لسانه ﷺ، فقد غارت منها غيرةً عنيفةً، وقالت يوماً كما في صحيح البخاري: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة وكان صوتها يشبه صوت خديجة، واستئذانها يشبه استئذان خديجة، وذلك بعد موت خديجة رضي الله عنها بزمان، استأذنت هالة بنت خويلد، فلما سمع صوتها ارتاع لذلك، وفى الرواية الأخرى : ارتاح لذلك وقال: اللهم هالة)، قالت عائشة : فغرت فقلت له: وما تفعل بعجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر، أبدلك الله خيرا منها، (تقصد نفسها)، فقال لها النبي ﷺ: (لا والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت بي إذ كذبني الناس، و أعطتني إذ حرمني الناس، وواستني بمالها لما منعني الناس ، ورزقني الله

منها الولد إذ حرمني أولاد النساء).

فأين الجنس يا معشر الزوجات؟!، إنما هو ساعةٌ واحدةٌ، فإن نجحت فيه الزوجة، فقد نجحت في ساعة فقط، وبقي أمامها (٢٣) ساعة، هل تملؤها بالفشل؟!، أرأيتم لو أن كتاباً جميع أوراقه بيضاء، وورقة واحدةٌ فقط هي المملوءة، هل يكون كتاباً ناجحاً؟.

إنَّ خديجة رضي الله عنها ماتت وعمرها ٦٥عاماً، ولازالت بعد وفاتها ناجحة؛ بل لازالت أنجح زوجة، وقد تزوج بعدها النبي ﷺ ببنات العشرة المبشرين بالجنة، وبنات الملوك، وبنات الزعماء والأشراف، ولكن ظلت وهي ميتة أنجح منهن وهن أحياء ومع ذلك غارت عائشة من خديجة رضي الله عنهما، وهي ميتةٌ أكثر من غيرتها من الزوجات الأخريات الباقيات على قيد الحياة، فالنجاح ليس جمالاً للوجه، ولا صغراً في السنّ؛ بل النجاح هو خديجة رضي الله عنها، وخديجة رضي الله عنها هي النجاح، حيث بذلت، ووصلت إلى القمة دون وجود المنافس؛ بل كانت الزوجة الوحيدة في حياته ﷺ، فعملها مع زوجها مربوطٌ بدينها، واحتسابها للأجر من الله تعالى، لا طلباً من أحد، فكافأها الله تعالى وهو الكريم عز وجل، بأن أبلغها السلام منه، وأبلغها جبريل السلام، وبشرها بالجنة، وهي تمشي على الأرض.

وأجدني أنسى نفسي، وأنا أمسك القلم، كي أعبر عن رغبة عظيمة تعتريني، أن أبلغها السلام، ولكن من (أنا) حتى أرتقي الى تلك العظمة، وأتشرف بالسلام عليها وهي (أم) لمليارات المؤمنين قبلي ولمليارات المؤمنين بعدي، غير أن عزائي أنه بقي لي نصيبٌ من العظمة، أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، هذه المرأة العظيمة هي (أمي)،

وأشهد الله على محبتها، أكثر من (أمي) التي أنجبتني.

المفهوم التاسع: كاملةٌ أنجبت كاملةً

جاء في بعض الروايات أنه لم يكمل من نساء العالمين إلاَّ أربع، منهنَّ خديجة وابنتها فاطمة رضي الله عنهما، فهي تعلم أنَّ الإنجاب ليس مشروع رعايةٍ وحسب؛ بل هو تربيةٌ، وإنجاب جيلٍ أعظم وأفضل.

وبعض زوجات اليوم، تتساهل في عفاف ابنتها، وملابسها، وعلاقاتها، وتنشئتها، فأصبحنا نرى أمهاتٍ يرخين الحبل على الغارب مع بناتهنَّ، فظهرت الصورة المخجلةً؛ أن تكون الأمُّ أكثر التزاماً وتمسكاً من ابنتها بمراحل، فالأم محتشمة اللباس، وابنتها تلبس لباس العري والإغراء، وليس الأمر مختصاً بالبنت وحسب؛ بل ينعكس إهمالها لأولادها على مظاهر الانحراف التي تظهر عليهم، كميوعة الأولاد في قصات الشعر، كأنهم بناتٍ، وتجرئة أولادها على مشاهدة الفجور الإعلامي، أو تقليدها في سماع المحرمات، أو التلفظ بخبيث العبارات والكنايات.

المفهوم العاشر: توفير السكون للزوج، والراحة النفسية، والاستقرار في البيت.

جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (ما غرت على امرأة قط ما غرت على خديجة مما رأيت من ذكر النبي ﷺ لها ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب) جاءتها البشارة ببيتٍ من قصبٍ، لا صخب فيه، ولا نصب، فكان الجزاء من جنس العملٍ، فلما كانت حريصةً على أن توفر للنبي ﷺ البيت الذي لا صخب فيه، وأن لا يسمع ما يؤذيه من أصواتٍ وإزعاج، نالت من الله تعالى

الجزاء بذلك البيت في الجنة، رغم كثرة أولادها، وصغر مسكنها.

وبعض الأزواج لا يجدون راحتهم في بيوتهم، بسبب سوء إدارة الزوجة، وعدم تنظيمها، أو كثرة طلباتها، أو اهتمامها بمشاكلها فقط، دون مراعاة لمشاكل الزوج.

المفهوم الحادي عشر: بذل المال للزوج، ومشاركته فيه، فهو من أعظم أسباب كسب الزوج.

وبعض الزوجات تعتبر بذل المال للزوج مصدر رعبٍ، ومجالاً خصباً لرحيل الزوج إلى زوجة أخرى، حتى صار بخل الزوجة بالمال عن بذله للزوج أمراً منتشراً، وربما رأينا من تبذل المال لزوجها، ولكنَّها تحاسبه بعد ذلك حساباً عسيراً، أشد من محاسبة الشريك لشريكه، خشية منها أن يستغلَّ الزوج هذا المال لكي يتزوج من أخرى.

رغم بشاعة المضمون المدفون في الكلام الماضي إلاَّ أن بعضاً من الزوجات لا تصنع ما مضى فقط؛ بل تصنع أفظع؛ حيث تمارس عملية إبادة وإهلاك لأي مالٍ يفيض ويتبقى في جيب زوجها، بحجةٍ خفية، واحتياطات أمنيةٍ، فهي تخاف من المال المتبقي أن يرسمَ في فكرهٍ نعيم الأملِ بالعرس بأخرى، فتقوم بتعجيزه عن جمع المال بشراء الكماليات والتوافه، فيدخل الزوج دوامة الشقاء على يدي زوجته البلهاء، وربما اضطرته قسراً إلى أن يقحم نفسه في عملٍ إضافي، فيخلط ليله بالنهار نكداً متكدراً.

وهنا شهادة منَ النبي ﷺ بموقف خديجة رضي الله عنها بقوله: (آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدّقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء) رواه أحمد.

ناقصة عقل ودين (أم سليم) رضي الله عنها

قد يكون في ضربي لخديجة رضي الله عنها مثلاً للزوجات، مجال للقول: كيف نطالب أن نكون بمستوى امرأةٍ كاملةٍ من كاملات النساء في التاريخ، فشأنها أعظم، وفعالها أصعب من أن نصل لمستواها، فلا تطلب منا المستحيل.

وهذا العذر رغم منطقيته إلاَّ أنه مرفوضٌ، ولا مجال لتفنيده، والرد عليه إلاَّ بالإتيان بأنموذج تقتدي به (المرأة البحر)، وهي أم سليم رضي الله عنها، فرغم أنها ناقصة عقلٍ ودين، إلاَّ أنها أتعبت نساء العالمين بعدها، وكذبت أحابيل النفوس، وردت على اللاهثات خلف أيِّ عذرٍ، لتبرير القصور.

هي امرأةٌ من المبشراتٍ بالجنة، بشرها النبي ﷺ، فقال: (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: بلال، ورأيت قصراً بفنائه جارية، فقلت لمن؟، فقال: لعمر، فأردت أن أدخله، فأنظر إليه، فذكرت غيرتك، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله: أعليك أغار) رواه البخاري.

الوقفة الأولى: حصلت على أغلى مهرٍ في التاريخ، مهرٍ أكبر من المال.

تقدم أبو طلحة لخطبة أم سليم رضي الله عنهما، وذلك قبل أن يسلم، فقالت له: (أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يُرد، ولكنك رجلٌ كافرٌ، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم؛ فذلك مهري، لا أسألك غيره) ابن حجر في فتح الباري . وإسناده صحيح، فأسلم أبو طلحة وتزوجها .

قال ثابت: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام.

من أكبر مكاسبها أن يكون مهرها هو الإسلام، ولم تطلب أي مبالغ، أو مالاً، أو مغالاة في المهور، فبدأت بالدعوة إلى دينها، حتى لو استثمرت في ذلك تزويج نفسها.

وترى بناتنا اليوم أن من الإهانة، والنقص في قدرها أن يكون مهرها قليلاً، فهنَّ يحرصن على الزواج من رجالٍ ذوي مواصفاتٍ دنيويةٍ، حتى ولو كانوا لا يصلون، أو يكون الصلاح في وادٍ، وهمً في وادٍ آخر، ولكنَّ أم سليم رضي الله عنها تطلب الزوج المؤمن، وترفض الكافر حتى ولو كان (مثله لا يرد)، فشرط التزويج لديها ليس المواصفات والمؤهلات، وإنما طلبها اليتيم هو أن يكون مهرها (الإسلام)، وأما المال فلا وجود له في حساباتها،

الوقفة الثانية: مخالفة المألوف في استقبال المصيبة.

تعطي أم سليم رضي الله عنها دروساً في التجلُّد، وجودةً في الرأي، وقوةً في العزم، فما ناحت كعادة الزوجات، وما شقَّت جيباً كالمألوف من حال النساء، وما نفشت شعراً كالمفجوعات بالمصائب، وما دعت بدعوى الجاهلية، ولم تعترض على قدر الله، أبداً إنَّ شيئاً من ذلك لم يحصل.

لقد حضر الزوج وفي بيته حالة وفاةٍ لابنه الوحيد، ودخل مستقر البال، وأخذ نهمته من العشاء، وجامع زوجته، وأخلد إلى النوم، كل هذا بفضل نجاح زوجته، وبعض زوجات اليوم، يدرك زوجها أن هنالك حالة وفاة قبل دخوله لبيته، من كثرة النواح، وشدة الصراخ والعويل.

إنَّ من الزوجات من تنوح، وتولول، وتمتعض بأسلوبٍ مقززٍ حينما يمرض ولدها في حال غياب زوجها؛ بل وتقوم بتحميله

المسؤولية كاملةً، وكأن الزوج هو الذي قد أصاب الولد بفيروس المرض، وربما صرخت في وجهه، واصفةً إياه بأنه لا إحساس لديه، وأنه لا ينفع أن يكون أباً، وأنه (أبٌ) بالاسم فقط، (أبٌ مع وقف التنفيذ).

وربما تركت ولدها يعاني ويزداد مرضه، من أجل أن تتفاقم المشكلة، فيحس زوجها بها، لأنَّه -بزعمها- لا ينفع معه إلاَّ أن يرى المشكلة، وقد استعصى حلُّها، حتى تمارس انتقامها، وتشفي غليلها من اللوم والعتب عليه، لأنَّ زوجها حين ذاك يكون في موقف لا يسعه إلاَّ الصمت، والاعتراف بالذنب والتقصير، وهو ما تريده.

وبعض الزوجات لمجرد سماع ضربة طفلها في الحائط، ينفطر قلبها، وتقفز جزعةً، وينفلت لسانها بالصوت العالي، فكيف بها حين يأتيها الخبر بإصابة ولدها، ونقله للإسعاف؟!.

بل الأدهى والأمرُّ أن تنوح نياحة الجاهلية الأولى، حينما يخفق ولدها في الامتحان، أو تقل نسبته المئوية في الدراسة.

الوقفة الثالثة: عدم الاتكالية، وتحمل المسؤولية.

بالطبع لم يمت ولدها المريض فجأةً؛ بل تدرج الحال في السوء، ثم إن غياب زوجها عن ذلك الموقف، زاد من ثقل المصيبة على روحها، حينما عاشت حالة العجز التام، ولكنها استقبلت الفاجعة بقوة التحمل، فليس بيدها علاجٌ ترتجي منه الشفاء، ولا طبيب يداوي مرضه، ورويداً رويداً أخذ طفلها يذبل، وتخف نبضاته، وتبرد أطرافه، وينتفض الانتفاضة الأخيرة، ويخف اهتزازه شيئاً فشيئاً، ثم توقف عن الحركة، والقلب يكاد ينخلع من هول المنظر.

فقدت فلذة كبدها، ولا أنكر أنَّ قلمي يعجز عن وصف مشاعر الأم تجاه مرض ولدها، فكيف بموته بين يديها؟!، وخصوصاً وأنا رجلٌ لا أفهم ما يخالط فؤادها حتى أتمكن من وصفه!.

ولكنَّ هذه الزوجة العظيمة أكبر من مثاليات أقلامنا، حيث أبدعت في كل ما سبق، ورفضت إلاَّ أن تزيد عليه؛ بأن أخذته بيدها، فغسلت جثته الهامدة، وحنطته بنفسها، وكفنته في عتمة ليلٍ، ووضعته في جانب البيت، وكل ذلك وهي تطالع (الجنة) بقلبها، فتعمل لوجه (محبوبها)، وهو الله تعالى.

لقد كانت ترى أن في إسعادها لزوجها إرضاء لربها، حتى في مثل هذا الموقف، فإسعاد الزوج ليس مطلوبا لذاته، بل ما هذا الزوج إلا ابتلاءٌ، واختبارٌ: (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) الملك ٢، فالطاعة الحقيقية هي طاعة الزوج من أجل الله تعالى، وليس طاعة الزوج من أجل الزوج، بل واحتمال أذى الزوج وسوء خلقه، هو من أجل الله تعالى، وليس من أجل الزوج، وتطلب الثمن والمكافأة على حسن الخلق مع الزوج من الله تعالى، وليس هنالك من حرج أو بأسٍ أن تبالغ أم سليم رضي الله عنها في طلب المزيد، أليس الرب الذي وعدها بالثواب اسمه (الكريم) (الأكرم) عزوجل.

إن النظرة القاصرة ترى الحرمان في المصيبة، وتبصر الفقدان المؤلم لشيء من الدنيا، فتبكي عليه، وتحزن، وتتألم، ولكن أم سليم رضي الله عنها كانت لها نظرةٌ أبعد، فرأت عظيم الأجر والثواب، و(بيتاً) في الجنة، فهل يبكي من رزقه الله بيتا في الدنيا؟!، فكيف إذن يبكي من رزقه الله تعالى (بيت الحمد) في الجنة، فلم يعد يحزنها شيءٌ من خسائر الدنيا، فالدنيا في عينها أحقر من

أن تحزن عليها ليلةً واحدةً، حتى ولو فقدت فيها ابنها، (كلا بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خيرٌ وأبقى) الأعلى ١٦.

الوقفة الرابعة: البيوت السعيدة لا صوت لها

الحفاظ على شعور الزوج، والترفق بخاطره، سعت أم سليم رضي الله عنها بالتلطف بزوجها، وعدم إزعاجه ما أمكنها، حتى لو كان الموضوع تلك الليلة هو وفاة ولدهما، فما بالك بزوجة تزعج زوجها لأجل تفاهةٍ، كشراء كماليات، أو خروج لنزهة أو رحلة استجمام، أو حتى في نقاشٍ عارضٍ، طاب لها أن تستثيره، وتستفز غضبه وقتها، ثم تقول لك بعد ذلك: كنت أمزح

الوقفة الخامسة: أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

إنَّ أم سليم رضي الله عنها ذات همَّة عالية، فلم يكن ليكفيها هذا الإبداع في التعامل مع الموقف؛ بل لو كانً هنالك فوق الثريا موضعٌ، لشمرت أم سليم رضي الله عنها سواعدها لطلبه، فلم يكفها أن تصمت عيناها عن الدموع، ولم يكفها أن تحبس لسانها عن الشكوى، ولم يكفها أن تكرم جثة ولدها الميت بتغسيله وتكفينه، وتحنيطه، وتغطية جثمانه، ولم يكفها أن تحسن استقبال زوجها استقبالاً بارع المقابلة؛ بل سابقت في الخيرات، فأجابت زوجها عن سؤاله عن الولد، باستعمال الكناية حين قالت: (هو أسكن ما يكون)، لتوهمه بعافية الولد، فتحفظ شعوره تلك الليلة، ثم قدمت له الطعام الشهي، وتزينت له أجمل زينة تلميحاً منها إن كان له رغبة فيها، حتى واقعها.

الوقفة السادسة: الصدق مع النفس.

تبدع بعض الزوجات في (صناعة الأعذار)، وتبحث عن ضحية

تلقي نواقصها وعيوبها عليها، فإن واجهت مصيبةً أو مأزقاً، ثم أخفقت في تجاوزه، راحت تلقي باللوم على المجتمع الذي تربت فيه، أو على البيت الذي نشأت فيه، فإن لم تجد أحداً تلقي عليه باللوم، ألقت به على إبليس، أو على القضاء والقدر، ومن يستحلي خلق الأعذار، يستحيل إقناعه.

الوقفة السابعة:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابيرِ
مدحاً وذمّاً وما جاوزت وصفهما   والحقُّ قد يعتريه سوءتعبيرِ

استيعاب الموقف وحسن طرحه، وحكمة العرض، واختيار وقته يؤتي النتائج المثمرة، فحينما جاء زوجها، سألها: كيف حال الصبي؟، قالت: (هو في أهدأ حال)، وهل هنالك أهدأ من الموتى، فإنهم دوماً الأهدأ حالاً.

وبفطنتها قالت لزوجها: (يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا أهل بيت عارية فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟، قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك) رواه مسلم، قال: إنا للَّه وإنا إليه راجعون. ووجد في نفسه مما فعلت زوجته.

الوقفة الثامنة: الاهتمام بصلاح الولد.

خرجت أم سليم الأنصارية، ومعها (ابنها الوحيد) (أنس بن مالك) رضي الله عنهما؛ ليخدم رسول الله ﷺ، فرحب به، وأقر عينها بذلك، يقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ، وقد آزرتني بنصف خمارها، وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله هذا أنس ابني، أتيتك به يخدمك، فادع الله له، فقال: (اللهم أكثر ماله وولده)، قال أنس: فو الله إنَّ مالي لكثيرٌ، وإنَّ ولدي، وولد

ولدي ليتعادون (يبلغ عددهم) على نحو المائة اليوم). رواه مسلم.

وبعض الزوجات يؤسفها أن يهتدي ابنها، أو ابنتها، أو أن يكون أحدهما من أهل الخير، فلا تعينهم على التمسك بالخير والصلاح؛ بل تقف في وجه تمسكهم بالدين؛ بل ربما واجه أولادها منها أشدّ مما يواجهونه من بقية الناس، فتكرِّس حماسها في المهاترات معهم، وفي التهكم بصلاحهم، وبتعمُّد مخالفتهم، وإثارة حفيظتهم بانتقادهم أمام الناس، ووصفهم بالمعقدين، أو المتزمتين، أو الرجعيين، أو أهل التخلف، فبئست التربية، وبئس التعامل، وبئست القدوة.

ولنراجع وضع زوجاتٍ كثيراتٍ، يشفقن من إيقاظ أولادهنَّ للصلاة، ولا يشفقن من إيقاظهم للمذاكرة.

ألم يخطر ببالهن قول زكريا عندما دعا أن يرزقه الله تعالى ولده يحيى : (واجعله رب رضياً)، فقد طلب أن يكون الله تعالى راضياً عنه، وليس مجرد ولدٍ والسلام: (أي عبداً صالحاً ترضاه، و تحببه إلى عبادك. و الحاصل: أنه سأل الله ولداً ذكراً صالحاً يبقى بعد موته، ويكون ولياً من بعده، ويكون نبياً مرضياً عند الله وعند خلقه). تيسير الكريم الرحمن / ابن سعدي ص ٤٣٩.

وبعض الزوجات تفهم أنَّ التربية (مشروع تسمين)، و(رعاية نسل)، فلا تفرق بين التربية، وبين إنشاء الجيل النافع الصالح، فهدفها أن تقوم بإشباع أولادها إذا جاعوا، وإلباسهم إذا تعروا، وتطبيبهم إذا مرضوا، وبعدها تذهب لترتاح على أريكتها المتأرجحة، فقد قامت بجميع مهمات التربية بدون استثناء.

الوقفة التاسعة: الأصل أن يكون تزين الزوجة في الحياة لزوجها.

من السياق للقصة تبين أنَّ أم سليم لم تكن متزينةً قبل مجيء زوجها رضي الله عنهما، وحين أوشك دخوله لبيته، قامت للاستعداد بالزينة.

ونهانا النبي ﷺ كما في الصحيحين حين القدوم من سفر (أن نأتي أهلنا ليلاً، حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة...) رواه مسلم، فأبان أن الأصل أن المرأة ليست على الزينة حال غياب زوجها، وقصة عائشة رضي الله عنها أنها بلت خمارها في يوم ليس بليلتها، لأن صفية وهبتها ليلتها من أجل أن تقوم بإصلاح خلاف بينها وبين رسول الله ﷺ، فنهاها عن ذلك.

فإن استدل معترضٌ بقوله تعالى: (... أو من ينشّأ في الحلية ...) الزخرف ١٨؛ حيث أبانت الآية أن الأنثى من طبعها أن ينشئها أهلها في الحلية والتجمل، قلت: وهذا مخالف لحالنا، فالحلية هي من الذهب والمجوهرات، وهذه حليةٌ حميدةٌ، لا خسائر فيها للمرأة، وإنما مكسبها باقٍ في قيمتها، ولكن تلك المساحيق والمكياج لا قيمة فيها، فليست مجوهراتٍ تدخرها المرأة، وليست أموالاً.

وحالياً نرى الهوس المسعور من النساء في سبيل التجمل والزينة عند لقاء الناس، وليس للزوج من هذا التزين إلاَّ (نخالة المكياج)، فأصبحت أجمل الزينة تظهر عند الخروج من المنزل، ولا يراها الأزواج، وينبهرون بجمال زوجاتهم إلا في (ليلة الزفاف) فقط، وبعد ذلك لا يرونها إلا قبل الذهاب إلى المناسبات؛ فهذا الجمال المروع يكون عندما تستعد الزوجة لمقابلة الناس.

والمصيبة أن تكون الكتب الأكثر مبيعاً في المكتبات هي ما تحمل العناوين: (جمالك سيدتي، الأناقة، الرجيم، فنون الطبخ)، وأكثر الموضوعات طرحاً في أشرطة القنوات الحديث عن الجمال، صارت هذه الظاهرة تتمدد حتى وصلت إلى عالم الطفولة، إلى البنات الصغيرات، ومع كلِّ هذا الحصار، لم نجد من يتشجع لإيقاف هذه الظاهرة، ويطالب بالتنظيم والاقتصاد في التعامل معها.

فالطب يخبرنا أنها أصباغٌ ضارةٌ طبياً، والتجارة توضح أنها استنزافٌ باهظٌ للأموال، وكتب السياسة تفضح مصدرها، بأنه تجارةٌ يهوديةٌ عالميةٌ يروجها الإعلام منذ تربع اليهود عليه، فصار أمراً محدثاً لم تكن عليه الأمم قبل الثورة الفرنسية.

الوقفة العاشرة: استعمال العقل من ذوات العاطفة.

وذلك يتجلّى مرةً في دعوة زوجها أبي طلحة للإسلام، ومرة في تهدئة باله، وتخفيف هول الصدمة عليه، وإخباره بوفاة ولده، حين قالت: (يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا أهل بيت عارية فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟، قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك)، وبين أم سليم رضي الله عنها وبين بعض الزوجات اليوم أبعد مما بين المشرقين؛ حيث نرى من تستعمل عقلها في محاولات السيطرة على زوجها، أو في إثارة بغضه تجاه أمه، أو الاحتيال لتنفيره من أهله، وما عداه فلا، حتى إنَّها لتتقطع تعباً وجهداً في سؤال فلان وفلان؛ لكي يحل مشاكلها مع زوجها، فيظن ظانٌّ أنَّها ذات عقليةٍ سطحيةٍ ساذجةٍ، وما علم المستفتي أنَّها في الخبث مثل صويحبات يوسف، ولكن عقلها لا يعمل في الخير لنفسها،

ولزوجها، ولبيتها؛ بل يعمل في أنانيةٍ، وإفسادٍ، وعنادٍ يجلب لها الآثام.

وأم سليم رضي الله عنها أيضاً تستعمل الإقناع العقلي؛ لترد على رجلٍ لا يتحاكم إلى الإسلام، فراحت تبطل دينه الباطل بأسلوبٍ عقليٍّ، فنجحت في إلقاء الصخرة في مياه عقله الراكدة، قائلةً: (أما تعلم يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم ينحتها حبشي آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت).

الوقفة الحادية عشرة: الزوجة هي مراسلةٌ الزوج الأمينة في نقل أخبار بيته.

في رواية لمسلم من حديث أنس : مات ابنٌ لأبي طلحة من أمِّ سليم، فقالت لأهلها: (... لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون أنا أحدثه...)

ولدينا تشتهر مقولة: (الزوج آخر من يعلم)؛ بل ربما تبدأ الحوادث في بيته، وتنتهي، والزوج لم يعلم، وسوف لن يعلم.

الوقفة الثانية عشرة: حسن الاستهلال واللحظات الأولى.

حسن الافتتاح في لقاء الزوج، حين دخوله لمنزله، هو الذي يحدد مزاج الزوج، وله بالغ الأثر بقية وقته، فابتسامة الزوجة، وعبارات الترحيب، والإطراء اللذيذ، يمحو تعب الدنيا، وإجهاد الحياة، قدمته أم سليم رضي الله عنها في وقتٍ عصيبٍ، وفي أوج المصيبة، ووفاة الولد، قدمت ذلك كله مع أنَّ لديها العذر في العبوس، والتكشير، والبكاء، أو على أقل تقدير أن يتأثر مظهرها بهذه المصيبة الفاجعة، ولكن النساء الموعودات بالجنة، لهن نمطٌ فريدٌ في حياتهنَّ، فأحسنت استقبال زوجها، ولم تعكر مزاجه.

فجمعت في هذه الألفاظ القليلة بين حسن الاستهلال لما ترمي إليه من وجوب التسليم لقضاء الله وقدره، وبين العزاء له بأسلوب رقيقٍ مقنعٍ ومع ذلك لم يعجب هذا الصنيع زوجها فاشتكاها إلى رسول الله ﷺ.

الوقفة الثالثة عشرة: صفة المبشرات بالجنة أنهنَّ يخدمن أزواجهنَّ بأنفسهنَّ.

خدمة المرأة لزوجها، فقد هيأت عشاءه، وقدمته له، وهو من تجار الأنصار، فأبانت، أنموذجاً لزوجة مبشرة بالجنة بأن قامت بنفسها لخدمته، وقبل إعداد العشاء، قامت بأمور طفلها الميت.

وليس الأمر مقتصراً على خدمته هو فقط؛ بل قدمت خدمة ضيوف زوجها كذلك، كما في أحاديث أخرى.

الوقفة الرابعة عشرة: لا ينال العلم مستحيٍ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى رسول اللَّه، فقالت: (إن اللَّه لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غُسل إذا احتلمت؟)، فقال: (إذا رأت الماء فغطَّت أم سلمة وجهها حياءً)، وقالت: أو تحتلم المرأة؟، قال: (نعم. تَرِبَتْ يمينُكِ فبِمَ يُشْبِهُهَا ولدُها؟!) رواه البخاري، قالت عائشة رضي الله عنها: (يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك، فقال النبي ﷺ لعائشة: (بل أنت تربت يمينك. نعم، فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذلك). رواه مسلم.

وأم سليم رضي الله عنها بسؤالها الجريء، تصفع الغفلة المقيمة، وتوقظ الوعي الغائب لدى نساء زماننا؛ حيث العجب العجاب من نساء يبلغن من العمر مبلغ النضج، وهن لا يعرفن كيفية الصلاة، أوٍ أحكام الطهارة، أو ما يحرم من اللباس، وما

يحلُّ؛ بل ويتطاول عليها العمر، ولم يخطر ببالها أن تتعلم، في حين أنَّها وصلت (مرحلة الاحتراف) بأمور تجميل الوجه، أو فنون الطبخ، والألبسة، و(الدكتوراه) في معرفة المشاهير، أو سقيم المعلومات، والتفاهات الدنيوية، واستمع إلى برامج الفتيا في رمضان مثلاً، تجد أن أسئلة النساء لهذا العام، هي ذاتها أسئلة الأعوام الماضية، فأغلبها متكرر، وكأنها جاءت من أقوام لم تصلهم فريضة الصيام إلاَّ هذا العام، وليسوا مسلمين، يصومون كلَّ سنةٍ.

الوقفة الخامسة عشرة: عفيفةٌ حتى في الأحلام.

حينما عرضت سؤالها عن المعاشرة الزوجية، قالت: (أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام، أتغتسل؟...) حديث حسن لغيره رواه أحمد، فمع انعدام خواطرها الشيطانية، وعفافها المستعصي على نزغات إبليس، صارت حتى في أحلامها لا تحلم إلاَّ بزوجها في حالة الاحتلام، ولو احتلمت برجلٍ غريبٍ لما أثمت، ولما عوتبت، ولكنَّ نساء الجنة وصلن غاية العفافٍ حتى في المنام، حال فقدان السيطرة على النفس، وإلجام الخيال بلجام العقل.

الوقفة السادسة عشرة: مجتمع الطهر، وسيادة الحياء.

الاضطراب العام يخيم على المكان الذي سألت فيه أم سليم رضي الله عنها، رغم أنَّها سألت عن شيءٍ يصيب النساء جميعاً، ولكنَّ الحياء كان هو السمة السائدة في مجتمعهنَّ، فأم سلمة رضي الله عنها رغم كبر سنها، وعظيم تجربتها في الحياة غطّت رأسها لهول السؤال، وعائشة رضي الله عنها أعلنت مشاعرها تجاه السؤال بقولها: يا أم سليم فضحت النساء، ترتبت يمينك.

إنَّ في ذلك الجو العام المحافظ على الخلق، ردعٌ (للفوضى

اللفظية) التي تنتشر في أوساطنا، فيدهشك العدد الكبير للنكات القذرة، وينقبض عفافك من جرأة الناس على الكلام البشع الواضح، وتصريحهم بأمورٍ لا تليق، تبدو آثارها النتنة على أفواه صغارهم البريئة، فما سمعوه نقلوه، دون أن يعرفوا له معنى، ولكن المعنى المهم هو أن الجو العام يحتاج إلى تنقيةٍ، وتطهيرٍ.

الوقفة السابعة عشرة: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون﴾

لم تطلب أم سليم رضي الله عنها جزاءاً من المخلوق؛ بل طلبته من الخالق، فكافئها الله تعالى بالجنة في الآخرة، وأما في الدنيا فرزقها بعد الابن المتوفى بعبدالله، وبارك في نسله، حتى إنَّها رزقت بتسعة من الولد كلهم يحفظون القرآن الكريم، والجزاء من جنس العمل، (قال سفيان: قال رجل من الأنصار فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قرؤوا القران). رواه البخاري.

يقول تعالى: (فابتغوا عند الله الرزق، واعبدوه واشكروا له...) العنكبوت ١٧.

وتعالوا نقبِّل رأس تلك الزوجة العظيمة التي ابتلاها الله تعالى بزوجٍ سكّيرٍ، متعاطٍ للخمور، يعاقر الحرام بشتى صنوفه، وقامت هذه الزوجة بكلِّ حقوقه، ولم تلتفت يوماً لعطيةٍ من عطاياه، ولم تزمجر زمجرة الأسود في وجهه عند نفاد صبرها؛ بل كان حاديها في مسيرتها؛ أنَّ لها رباً وعدها بالجنان، وهو مطلعٌ عليها حين بلائها، وهو الذي أمرها بالصبر، وهو الذي أثنى على زوجة فرعون، فبنى لها بيتاً في الجنة، فكيف تخدعها نفسها، وتطلب الجزاء من مخلوق، وربها وعدها بالثواب؟!.

انتهت حياة زوجها، ولم تنته قصتها مع زوجها بعد، فقد مات على معاصيه، وانتقل لربه وهو على باطله، ولم تكتف بهذا وحسب؛ بل راحت تسطِّر حروف الحكاية، بإيمانها ودينها، فقامت بتتويج حياتها العظيمة معه؛ بأن احتسبت الأجر في برها بزوجها بعد وفاته، وقامت بفريضة الحجِّ عنه، فإن كان زوجها مات، فإنها تعبد الحيَّ الذي لا يموت، ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى (٣٩) وأنَّ سعيه سوف يُرى (٤٠) ثم يُجزاه الجزاء الأوفى (٤١) وأنَّ إلى ربك المنتهى (٤٢)﴾ النجم.

أخيراً

فإن صنعت الزوجة ذلك كله، وعجزت أن تفوز بقلب زوجها، وأن تستحوذ على رجولته، واسترشدت بحكيم يسمع كلامها وكلام زوجها، وظهر أنَّها على الحق، وأنَّ زوجهاً لا ينصفها، ولا يحترم جميع تضحياتها، ولا يغرم بقربها، ويشتاق لدفئها، فهنالك احتمالاتٌ عدةٌ:

١-أن يكون الزوج عديم التقدير، فهي في معيشتها معه في هذه الحالة كالشمس التي تضيء جوانب الكون، وزوجها كالأعمى الذي يجحد ضوءها، وينكر نورها، ولا يضير الشمس شيئًا:

وما ضرَّ شمس الضحى في الأفق ساطعةً

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرِ

وهنالك احتمال آخر وهو:

٢-أنَّ يكون عاشقاً لامرأةٍ أخرى في الحرام، يهيم بحبها قلبه، وتندلق مشاعره بالغرام عند أقدامها، فيصبح سارقاً من عواطفه؛ ليطعم بها فؤاد لصةٍ سارقةٍ في الغرام الحرام، فعنده امرأتان؛

واحدة: للقلب والهوى، والثانية: للفراش والتكاثر (للحفاظ على النوع البشري)، وفي كلا الحالتين هو لا يستحقها، وأمام الزوجة في هذه الحالة خيارٌ واحدٌ؛ وهو الصبر واحتساب الأجر للآخرة، وترك التجسس والتلصص عليه، ومحاولة اكتشاف خباياه، والحكم عليه بظواهره، ومواصلة إحسان الظن به حتى يتبين لها أنَّه فاسقٌ ذو علاقات فاجرة، وأن تبقى معه صابرةً محتسبةً، فتتشبه بامرأة فرعون عليها السلام في صمودها، وقوة شخصيتها، وارتفاعها عن مغناطيس الأنوثة المنجذب للزينة، والاهتمام بالقشور، وصب حماسها في تربيتها لأولادها وتنشئتهم، حتى لا يقتبسوا من أبيهم نفحةً من الفسوق، وتسلك طريقاً آخر لاستصلاح الأرض البور، ومحاولة معرفة علاجه، ومعاونته على التخلص من عيوبه وأخطائه الضخمة، والإلحاح بالدعاء، واللجوء إلى الله تعالى لإصلاح شأنه، والنظر دوماً إلى امرأة فرعون عليها السلام بصفتها قدوة لها، وسيكون عند الله تعالى لها بيتٌ في الجنة؛ حين عاشت مع أبطش الناس وأسوئهم خلقاً، وأشدهم جوراً، أو يكون هنالك احتمالٌ آخر:

٣- أن يكون الزوج من خير الرجال، والزوجة من خيرة النساء، ولكن هنالك أثرٌ شيطانيٌّ يفسد بيتهما، فمهما بدت الزوجة صالحةً حسنة الخلق، فإن الشيطان يثير كراهية زوجها ضدها، فيجعله يستقبح المليح منها، وبين ثنايا هذا الكتاب فصلٌ أفردته لمثل هذه الحالات، تحت عنوان (الشريك الملعون).

المرأة البحر

الرجل المحيط

من أنت ؟

المحيط والحب

بوح الشفاه

يا ابن العم

كن واثقاً

كن غيوراً

كن فخوراً

كن حاضراً

كن وفياً

كن قنوعاً

كن مجاملاً

كن حازماً

كن أعمى

اعمل دوماً

قدرها

راع شعورها

اكذب بصدقٍ

أعطها حريتها

تأمَّلها

فرحها

حدثها

اقصدها

غازلها

أين الرعاية والتذمم ؟!

الرجل المحيط

تصحيح المفاهيم

أنت لها

لست لها

الرجل المحيط يظهر الحقيقة

من أنت؟

أغمض عينيك كلتيهما؛ لكي ترى نفسك، ولكن ليس بعينك فقط؛ بل بعيون الآخرين، وبعين الشرع والدين، وبعين التجارب وخبرات الأمم، واعلم أنَّ العيون إليك والهةٌ متفائلةٌ:

قلوب الناس ظامئةٌ وفي يمنـاك ريهـمُ
عيون الناس في أرقٍ وأنت النومُ والحُلُمُ

لست في الحياة وحدك؛ بل هنالك آخرون جعلهم الله تعالى تحت سلطتك، فصار في يدك الحل والعقد، وأنت جديرٌ بالمسؤولية التي حباها الله لك، فأنت أمل الجميع حينما تكون (رجلاً محيطاً)، فدع ما في يديك الآن، وتعال معي أحدثك (فيك)، هل تفقه ما المقصود من الزواج؟.

إنه أسرةٌ تنشأ لأهدافٍ نبيلة، ألملم شتاتها في نقاط:

١- الزواج كمالٌ للنفس والجسد البشري: فالأعزبُ يعيش حالة نقص، في نفسيته، وفي عقله، وفي نضجه، ومن يملك حساً دقيقاً، ونظرةً ثاقبةً، فإنّه قادرٌ على التفريق بين المتزوج والأعزب؛ من كلامه، ونمط تفكيره، ومقدار نضجه، واتزان تعامله.

٢- جيلٌ يحمل اسمك في الدنيا والآخرة: يعطون حياتك نفحة السرور، ويدعون لك بعد وفاتك، وتُخرِج للحياة ذريَّةً بطريقةٍ، سويَّةٍ، سليمةٍ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لأكره نفسي على الجماع؛ رجاء أن يخرج الله مني نسمةً تسبحه وتذكره).

٣-سترٌ لفتاة تحتويها بذراعيك، وتحنو عليها بعطفك: حيث يلتقي جسدان بالحب، والاحترام، والاقتران الفطري السويّ؛ الذي يحقق الإشباع الجالب للألفة، وما يوافق الحياة والفطرة، فيكمل

العفاف لهما سنداً وعضداً؛ لإعمار الأرض، ولخير البشرية.

ثم تنال بهذا الزواج شرف النداء من الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد (...ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون) الزخرف: ٧٠.

تتعدد مفاهيم الرجال حول الزواج؛ فمنهم من يتزوج للحاجة، ومنهم من يتزوج للمصلحة، ومنهم من يتزوج جرياً خلف التقاليد، ومنهم من يجري وليس يدري.

﴿...قد علم كل أناس مشربهم...﴾ الأعراف: ١٦٠.

❖ ❖ ❖ ❖

المحيط والحب

الحب مفهومٌ مجرَّدٌ غير ماديٍّ ولا محسوسٍ، ولا يمكن تعريفه بأنَّه شعورٌ ينتاب .... لأنَّنا سنعود إلى التجريد مرةً أخرى، ولكن دعني أسألك:

هل تعرف معنى الحبِّ؟.

دعني أساعدك؛ لتتعرَّف عليه بعناصره المحسوسة المكوِّنة له، ومنها؛ الغيرة عليها، والوصاية عليها، والثقة بها، والفخر بها، والوفاء لها، ومجاملتها، ورعايتها، وتأديبها، ومفردات رقيقة، تتناثر في (قبلة|همسة|نفس دافئ|كلمة بارعة|تأمل بإعجاب ومتابعة بالنظر|كرم في الأحاديث|هدايا|ابتسامة| ضمّ|تلامس|عناق|شدّ وقبض|اتكاء|خفض الصوت|سلام ورد السلام|ضحك|غمز|تذوق الريق|عبث بخصلات الشعر|تشمشم و و = الحب الصادق)، ومن نقص الفهم لمعنى (الحب)، أن نلغي كلَّ مفرداته، ونختصره فقط في خمس كلماتٍ مكرورةٍ محنطةٍ؛ أحبك وأخواتها(عمري، حياتي،

قلبي، روحي)؛ وجميع ما يقدمه (الرجل المحيط) هو من مظاهر الحب؛ التي ستجدها في ثنايا هذا الكتاب.

❖ ❖ ❖ ❖

بوح الشفاه

للكلام درجاتٌ من الهمس إلى الصراخ، وفي هذا الموضع من الكتاب، ويهمس (الرجل المحيط) لكلِّ زوجٍ يريد منه أن يجرب الهمس، فهمس الزوج لزوجته يدل علىً الخصوصية والقرب والسرية، وأما رفع الصوت ولهجة الصراخ، فإنَّه ينافي وقار (الرجل المحيط).

إنما الحب همسةٌ وغمز كفٍ وعضدْ

واللمس، والغمز، ومسحة الرأس، ومسكً اليد، وغمز العضد والخاصرة واليد، والعبث بخصلات الشعر، ومداعبة فروة الرأس وغيرها من الجوانب التي يجهلها الكثيرون، على الرغم من أهميتها في صحة العلاقات وإذكاء (جذوة الحب)، و(الرجل المحيط) صدرٌ عامرٌ تفزع إليه زوجته عند حلول المخاوف، ويمنحها الأمان بلمسته وروحه الواثقة.

والزوج الذي لا يلتفت لحديثي يجب أن لا يهمل هذا الأمر؛ بل عليه أن يقتحم شواطئ التجربة، حتى ولو لم يستشعر جدوى (مشاعره المصطنعة)، ولا أمانع أن أكون أنا المسؤول عن هذا المعلومة.

❖ ❖ ❖ ❖

يا ابن العم

كن واثقاً

ثقة الجنود بالقائد إحدى علامات نجاحه، ومما يهزُّ (اليقين)، ويزعزع الثقة بين الزوجين؛ ذلك العبث المراهق بالأحاديث بينهم عن الحب القديم، وعن (المكاشفات الغراميَّة) في الليالي الخوالي، ولست هنا أحذر الناس من الاسترسال في هذا النمط من الأحاديث؛ بل أنا (النذير العريان) عن أيِّ حديثٍ بين الزوجين يفتح نافذة الشك، أو يجرُّ إلى (خطايا العزوبية)، وينخدع الزوجان تحت إغواء الشيطان، فيوحي إبليس لهما أنَّ الزواج مبنيٌّ على الصراحة، ويصدر لهما فتوى مفادها : أنَّ إخفاء الماضي وعلاقاته الغرامية هو من الغش الحرام، فيبدأ الزوجان بهتك الأستار التي أخفاها الله تعالى برحمته؛ تحت جهلٍ منهما، وقلة تجربة، وغياب مستشارٍ؛ فيستيقظ القلق في عقليهما، ويسترخي الأرقُ على فراشهما؛ ويسكن الشك في منزلهما، بسبب ارتكابهما للحرام، وفضحهما لماضيهما، والعجيب أن هذا (الورع الغبي) عندهما، لا يناسب تساهلهما في المحرمات التي تملأ بيتهما، ولا يناسب الكذب الذي يستسهلانه في تعاملهما مع الناس، ولا يناسب وقوعهما في الغيبة ونهش الأعراض، فأعاذهما الله تعالى من الشيطان الذي ألهمهما الخشية والتقوى بالذات في فضح أسرار الماضي!.

إنَّ على الزوجين أن يبنيا قلعة من الثقة في أرواحهما قبل بنائها في المنزل، والمسؤولية في أعظمها تقع على عاتق صاحب القوامة؛ حيث ينهض (الرجل المحيط) ليتولى هذا الأمر، لأنَّ

الثقة أمرٌ مهمٌ لابدَّ منه وباستماتة، حتى لو رأت الزوجة زوجها في الطريق، وهو يقوم بعملٍ مشينٍ لا يليق، لقالت من فرط الثقة به: (لقد رأيت اليوم رجلاً يشبه زوجي يعمل القبائح بقلة حياء، وكان يشابهه في كلِّ شيءٍ إلاَّ في قلة أدبه، فزوجي يستحيل أن يصنع ذلك).

(الرجل المحيط) يعطي زوجته انطباعاً واضحاً بالثقة التامة بعفافها وشرفها، ويرسخ اليقين عندها أنَّها تحمل كُلَّ معاني النزاهة، وبدلاً من أن يلعن ظلام الشك، يوقد قناديل الثقة الحكيمة، فالأصل في الناس الطهارة والسلامة، وإذا تخوَّنت إنساناً ما، فإنَّك تزرع الخيانة في شرايينه حتماً:

يترك الدار خالي الظنِّ ماذا أيشك الإنسان في أهليه؟!

وإنَّ من مقاذر الأخلاق؛ خلق التلصُّص، والتجسُّس، ونظر الزوج إلى زوجته بعين التخون و الريبة، ولا تسأل عن وقاحةٍ لها طابع الاستفزاز، يصنعها بعض الأزواج حين يفسد زوجته بكثرة التدقيق، واقتناص أوقات الغفلة؛ لكي يجد هفوةً، أو لعله يصطادها على خيانة (فيا له من أبله)!.

أوقد شموع الثقة والوفاء، فإذا دخل الشك من الباب، خرجت راحة البال من النافذة، وبالثقة يكون عماد الأسرة متيناً شامخاً مهما زعزعته العواصف.

يؤكد ذلك الحديث: (نهى ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، لئلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم) رواه مسلم، ومعنى يطرق: يأتي إلى البيت ليلاً بدون علمٍ مسبقٍ منهم.

- تنقل الزوج بين المحلات التي تبيع أجهزة التجسس، وزاد

الطين بلَّة، أن أضاف برنامجاً لجهاز زوجته، يقوم بتسجيل أيِّ مكالمةٍ تتم من جوالها، ولم ينس أن يفرز كلَّ الأرقام المختزنة في جهاز زوجته، ثم الاتصال بتلك الأرقام من هواتف مختلفة؛ ليتأكد أنَّهنَّ نساءٌ، وليسوا رجالاً، ناهيك عن طريقة المداهمات المباغتة للمنزل، فذلك أسلوبٌ يصنعه بتلك العينين الناعستين اللتين توحيان بالغباء التام، وقد تكون نفسه راودته أكثر من مرَّة أن يوصي أحد رفاقه باختبار زوجته، وليس لديه مانعٌ أن يقوم بالمطاردة والتلصص من بعيدٍ لبعيدٍ بطريقة الاستخبارات، كل هذا وزوجته في نقاءٍ وطهرٍ كبياضِ الثلج، فليته قرأ في أحكام التجسس، أو سمع كلامٍ داهية العرب؛ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حين قال: (لا تتخون رعيتك، فإنك إن فعلت ذلك أفسدتهم، أو كدت تفسدهم).

ما أَحسَنَ الغَيرةَ في حينها ... وَأَقبَحَ الغيــرة فـي كُلِّ حـين
من لم يــزَل متَّهـما عرسَــه ... مناصباً فيها لريب الظُنون
أَوشَـك أَن يُغــرِيَهـا بِالَّـذي ... يَخـاف أَن يُبـرِزُها لِلعُيـون

كن غيوراً

الغيرة لا ينفرد بها أحدٌ من أفراد الأسرة دون غيره بالطبع كلا، فالأم (ربما) تغار لو رأت زوجها يعطي حفاوةً مبالغاً فيها لأحد أبنائها، على حساب نصيبها المعتاد من الحفاوة، وحظها المألوف من التقدير.

والأب يشعر بالغيرة إذا انعدم الدلال والاهتمام من زوجته، وانتقل ذلك كله لولده، والولد كذلك تصيبه نوبةٌ قويةٌ عارمةٌ من الغيرة، إن رأى الأسرة تعلن الترحاب، وتدق طبول الأفراح بمقدم

المولود الجديد القادم (مؤخراً)؛ لينتزع العرش من تحته، بانقلاب سلميٍّ، فيغار منه، وهذه الغيرة تسترسل وراءها النفس، وهي في موضعها الطبعي (جبلَّةٌ بشريَّةٌ)، فإذا أفرطت، وتجاوزت، وتضاعفت، فإنَّ للشيطان نصيباً فيها، وليست من الفطرة وحسب، وهذا ما يجده المصاب بالسحر والعين، حتى إذا شفاه الله وعافاه، وجد من نفسه اختلافاً وهدوءاً، وسكينةً، أو ربما يكون أثر الشيطان في جلب الغيرة ليس من هذا الباب، وإنما كما ورد في غيرة عائشة رضي الله عنها، عندما غارت، فقال لها النبي ﷺ: (أقد جاءك شيطانك؟) رواه مسلم، وقبل ذلك ما أفصح عنه يوسف عليه السلام عندما اختصر قصة غيرة إخوته منه، فقال: (... من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي ...) يوسف ١٠٠، ولكن الغيرة المحمودة؛ هي أن تغار الزوجة من امرأةٍ تحب زوجها، وتنتظره، وتشتاق إليه، وتلهج بذكره، وهي في الوقت نفسه أجمل منها شكلاً، وأكمل منها خُلُقاً، وأصدق منها مودةً ومحبةً؛ وهي (الحور العين)؛ التي ربما دافعت عنه من ظلم زوجته له.

والغيرة المحمودة للزوج في أن يطيش الدم في رأسه، وتدور حماليق عينيه؛ إن رأى وتأمل أحدٌ (أرجل زوجته)، أو إحدى محارمه، فإن كان الإجماع منعقداً على تحريم كشف المرأة لرجليها، لأنها عورة يجب سترها، فكيف يرضى لزوجته بأن تلبس حجاباً يظهر عينيها من ورائه (النقاب)، فضلاً عن أن يصمت إن كشفت زوجته وجهها؟! وهكذا يكون (الرجل المحيط) في غيرته، فاكتمال رجولته يبدو ويتضح في اكتمال غيرته، واكتمال الغيرة يستدعي طلب الكمال في الحجاب، وستر المحارم، فإن كان هنالك خلافٌ

فقهيٌّ في كشف الوجه (بدون مكياج)، فإنَّ (الرجل المحيط) يستر وجه زوجته ستراً تاماً غير ملتفتٍ (للخلاف الفقهي)، وإنما يلتفت إلى (الإجماع الفقهي) الذي أجمع عليه الأئمة قاطبة من أن الستر التام، وعدم إظهار الوجه هو الأكمل والأفضل، أليس (الرجل المحيط) هو الأكمل والأفضل.

• عيونها صارت أجمل عندما تفننت في الكحل، ثم زادت الجمال جمالاً عندما لبست العدسات اللاصقة، ولا تحتاج لكتابي هذا حتى يذكرها بتبييض الجفون (كريم أساس)، وأكملت تزيين الكعكعة بالرموش المستعارة، ثم لبست النقاب (واسع الفتحة)، وركبت بجوار زوجها في سيارته، لقد كان المنظر جذَّاباً مغرياً بالتأمُّل لزوجها، فكيف بالآخرين؟!، ولكنَّ المستغرب أن الزوج بدأ ينفعل ويستشيط غيظاً عندما رأى الناس يرمقون زوجته من طرفٍ خفي، يسترقون الطرف؛ لتأمل عيون زوجته الناعسة، فكيف يسمح لزوجته أن تستعرض عيونها الجذَّابة الفاتنة أمام الناس، ثم يتضايق إذا انجذب الرجال لرؤيتها؟!.

أبرزوا وجهه الجميلَ ولامـوا من افـتـتنْ
لـو أرادوا صيـانـتـي ستروا وجهه الحسنْ

كن فخوراً

(الرجل المحيط) يفتخر بزوجته، ويمنحها الافتخار بنفسها، فيشجعها على كلِّ عبادةٍ تزيد إيمانها، وتبعث في نفسها راحة الخاطر، ويدفعها إلى أنْ تتعبد الله تعالى بالأخلاق الحميدة.

وحين يرفع بصره إليها يمنحها (ابتسامة الإعجاب)، وعندما

يجتمع مع أحد أقاربها، فإنَّه يعبّر عن احترامه الكبير لها، والامتنان بزواجه منها، وبالمقابل لا ينسى أن يمتدح أهلها، وأقاربها، وذويها، ويبين لها مدى شرفه وفخره بارتباطه بعائلةٍ كعائلتها.

كن حاضراً

(الرجل المحيط) لا يتصرف بسرحانٍ وشرود ذهن عندما تخاطبه زوجته؛ بل يشعرها بوجودها، فلا يكتفي بأن ينظر إليها بعينه حتى يعطيها اعتباراً؛ بل يعطيها صفحة وجهه؛ لكي يزيدها اعتباراً فوق الاعتبار، وأكثر من ذلك أن يستدير بجسده كاملاً صوبها حين حديثه معها، وبقدر اشتداد الجفون، وتحديق العيون، يتبين الاهتمام بالزوجة في الشخص والمضمون، وليس بصادقٍ من يزعم ويخادع بأنه متهمٌ بك حين يتحدث معك، وهو يدير ظهره لك، فالعاقل لا يطربه الحديث مع القفا، ولا يستهويه الخطاب مع نصف وجه، ولا يجد اللذة في حديث مع عيون جللها السهو.

كن وفيّاً

من عجائب العلاقات الزوجية؛ أنَّ الزوج والزوجة يقدمان في أول أيام الزواج أجود ما لديهما من أخلاق، وأفضل ما عندهما من أقنعة، ويبدأ الصباح يسفر عن الأخلاق الملاح رويداً رويداً، وكلما طالَ بهما الزمان، هانت قيمتهما عند بعضهما، وضعفت بينهما اللهفة، وبدأ شبح الرتابة، وغول الروتين ينهش لحم العلاقة بين الزوجين: (دوام الحب ينتج من مراعاة الأدب).

عين الصواب وأنفه وحاجباه؛ أن تزداد المودة كلما زادت فترة الزواج، و(الرجل المحيط) يفقه ذلك جيداً؛ حيث تسكن بين

جوانحه كتلة عملاقة من المشاعر، والحنين للماضي، والوفاء لأيام سلفت، فهو حافظ للود والعهد، ومع الزمن والعشرة يزداد لديه الوفاء والحب واللطف، وللرسول ﷺ مثالٌ رائعٌ مع زوجته خديجة رضي الله عنها؛ حيث سُمي عام وفاتها (عام الحزن) ولا زال يذكرها بعد وفاتها حتى غارت منها عائشة رضي الله عنها ذات يوم فغضب منها الرسول ﷺ، وأخذ يعدد محاسنها، وهكذا يكون الوفاء وليس العكس.

كن مجاملاً

يحلو لبعض الأزواج أن يسوق نقده بأسلوبٍ فجٍ قاسٍ، كأنما يقتدُّ جلامد من الصخر، وليس كمن يأسو مشاعرً لبشرٍ، ويحلو لبعضهم الآخر أن يفر من النقد ويتحاشاه، وفئةٌ ترى النقد كأنما هو كتلة سبابٍ ونقيصةٍ، تدحرجت صوب ذاتها المطهرة ذات النزعة الكمالية، ومهما تعددت الآراء تجاه النقد، فإنه يبقى بشتى صوره أفضل وأنجع من الابتسامات النابعة من المجاملة والتعامي عن الأخطاء، و(الرجل المحيط) يوصي كلَّ زوج أن: ينتقد بصورةٍ لينةٍ جيدةٍ، فإن لم يتمكن، فعليه بالنقد بأي صورةٍ كانت، وحذارِ حذارِ أن يختفي النقد من حياتنا، فشتان بين العلة والعافية.

(الرجل المحيط) يحذر ألف مرةٍ أن ينتقد الزوج زوجته أمام الآخرين أيا كانوا، فالنفوس لا تتقبل الانتقاد بهذه الصورة مطلقا، فكيف إذا كان الزوج يتطلع ويأمل أن تتغير زوجته، وتكون على حالٍ أفضل؟!.

كن حازماً

يتنفس الحزم في قرارات (الرجل المحيط)؛ حزماً بغير استبدادٍ

ولا تردد، فتعتاد (المرأة البحر) احترام كلِّ قرارٍ صادرٍ منه، فلا رجعة في القرار إلاَّ إذا تصادم مع الدين، أو نتجت أضرارٌ عن ذلك القرار، وهذا في المقام الأول من صالح الزوجة حتى لو لم تدرك ذلك، ومهما ترنمت الزوجة (بعشق الحرية) وضرورة الحوار، فإنَّها تحبُّ هيمنة الزوج عليها، وهذا هو سرُّ تلك النغمة التي نسمعها من بعض الزوجات حينما تنتقد زوجها؛ فتذكر أنَّ عيبه الوحيد؛ هو أنَّه لا يسمعها كلمة (لا).

(المرأة البحر) أشبه شيءٍ بالمُهْرة البرية، تستلذُّ بنقلها من طباع (الكائن المستوحش) إلى (الكائن المأنوس)، فكما أنَّ الفرس تحتاج إلى ترويض فارسٍ ماهرٍ، فهي تستمتع وتسعد باستعلاء وهيمنة الزوج عليها، ومتى كان الفارس سيء القيادة تعب، وأتعب، وقديما قالت العرب: (الخيل أعرف بفرسانها)، و(المرأة البحر) أعلم بمحيطها.

فإن كان الزوج أحمق، أو أخرق، أو مندفعاً متعجلاً، وكانت الزوجة أعقل، وأحكم، وأحزم، فعلى الزوجة الحكيمة العاقلة آنذاك أن يظهر منها رشدها، ورجاحة عقلها في مناقشته، والحوار معه، والتلطف في قياده من أجل قيادة الأسرة إلى القرار الحكيم، فإن أبى وامتطى صهوة العناد، فعليها أن تطيعه في المباح، وأن تطيعه في المكروه، دون مطاوعته فيما حرم الله تعالى، فلا طاعة هناك لمخلوق في معصية الخالق تعالى.

الزوجة لا تتطلع من الزوج إلى شعورٍ أحب إليها من شعور الحماية المحيطة بها، والقوة الغالبة عليها، تلك هي طبيعة حواء؛ حتى لو خدعها المفسدون، فأظهرت خلاف ذلك، فهي لا تتبدل

حتى تتبدل الأرض والسماء.

ومن حنكة الزوجة وصدقها مع نفسها؛ أن تؤمن بأنّها مخلوقٌ ضعيفٌ، وأنَّ من أقوى أسلحتها ضعفها، لأنَّ ضعفها يقوى هيمنة الزوج، وهذا ما يجعل الزوج متلهفاً لها؛ بسبب احتياجه لمن يوفر له هذا الشعور بالهيمنة، والزوج بالمقابل سلاحه قوته، وفي ضعف الزوجة تمنحه نشوة الشعور بالقوة.

الزوجة لا تريد زوجاً رومانسيًّاً غارقاً في العاطفة وحسب؛ بل تريده زوجاً تثق به، وتعتمد عليه، رجلاً يهيمن عليها، وتستمتع بالطواعية لأوامره، والتلذذ بالانقياد له، يحميها ويعطف عليها، ويؤمِّن لها سبل العيش الكريمة، ويحنو عليها برحمةٍ غامرةٍ.

على (الرجل المحيط) حين يرى تغيُّراً في سلوكٍ زوجته، أن ينبهها بالوعظ الحسن اللين، مبيناً لها باللطف وتوسيع المدارك، وعليه أن يضبط أعصابه ويستمع لما تقوله له، ثم يجيبها، ويصحِّح مفاهيمها برفقٍ ولينٍ، ويحتسب ذلك عند الله تعالى؛ حيث كظم غيظه، وتمالك أعصابه، مع المقدرة على تنفيس الغضب، وقام بالمسؤولية خير قيام، وسلك بقارب الأسرة إلى شاطئ الطمأنينة، لأنَّ ردة فعل الزوج لَو نقصت من الحكمة، وضبط النفس؛ سيكون أثرها مدمِّراً لحياة الأسرة كلِّها.

الشيطان قادرٌ على أن يجري على (فم الزوجة) كلاماً تزول منه الجبال، في وقت الجدال، فالناطق وقتها هو الزوجة، ولكن الموحي والدافع لها، هو (شيطانها)، و(الرجل المحيط) يكسب زوجته، ويكسب الموقف، ويهزم الشيطان؛ الذي هو ثالثهما في ذلك الموقف، فليأمرها وقت احتدام الخصام، بالوضوء، وقراءة

المعوذات، فإنها (الطعنة النجلاء) في كبد الشيطان، الذي يتراقص نشوةً وطرباً أمام هذا الموقف الساخن.

ومن كان منصفاً لأهله، قائماً بحقوقهم، موفياً لهم ما لهم، فهو من خيار الناس، حتى ولو بدا للناس غير ذلك، ولكن هذا الكلام لا يعني إهمال الواجبات، وترك الحبل على الغارب في الأعراض، وفتح بوابة الانفلات للمعاصي، كلا .. وألف كلا، (فالحزم) أصلٌ أصيلٌ، والحجر الأسود في كعبة الأسرة، فالعفو له وقته، والإحسان له وقته، والرفض التام له وقته، والعقاب له وقته، وهذا هو قانون الحزم.

كن أعمى

تحب الزوجة في (الرجل المحيط) أن يتعامى عن عيوبها، فيغض الطرف عنها، تريد تشجيعاً، وزرع معنويات عاليةٍ تدفعها إلى الاطمئنان، ويوحي لها بأنَّها مؤهلةٌ للتقدير، وذات مكانةٍ وحظوةٍ عند زوجها.

(الرجل المحيط) يقبلها كما هي تماماً، بكل ما فيها من حسنات وسيئات، وإن كره منها خلقاً، رضي منها آخر، فليست ملاكاً في أصل خلقتها، ولا في ملامحها؛ بل إنَّ الشكل ليس أمراً مصيرياً لدى (الرجل المحيط)، حيث إنَّه ليس من عشاق (نجمات الأغلفة)؛ بل أسمح لنفسي بأن أقول: إنَّ الجمال الفائق في الغالب يُكسب الزوجة نوعاً من الغرور، وعدم الاهتمام بالروح والأخلاق؛ فيجعلها تكتفي بجمال وجهها عن تحسين روحها وعقلها.

والمتطلع إلى زوجات الملوك لا يجدهنَّ أجمل النساء وجهاً، أو أصغرهن سناً، وذلك أنَّ الملوك، والوزراء، والمسئولين يحتاجون زوجاتٍ يساعدنهم، ويمتلكن قدراً من النضج وتحمُّل المسئولية، والوعيٍ العالي، والثقافة الكافية التي تؤهلها لتصبح الساعد الأيمن

لرجلٍ يتربع على كرسي السلطة، ويتبوأ منصب اتخاذ القرار، ولأنَّ (علية القوم) لا يأسرهم الجمال والأشكال دون المضامين والحقائق؛ لافتقارهم إلى نساءٍ يشددن من أزرهم، ويباركن أعمالهم، ويمنحنهم (الإيواء الأسري)؛ ليستعينوا بذلك على (متاعب السلطة)، وهذه الصفات من القليل أن تجتمع مع الجمال الباهر النادر.

ولا أريد أن يفهم القارئ للكتاب أني أقوم بدعايةٍ مجانيةٍ للزواج من الدميمات، أو أدعو إلى ضرورة البحث عن القبيحات بالذات كلا..، وإنما المقياس الأساس هو الدين، فمن كانت ذات دينٍ، فالقرب منها هو صلاح الحال والمآل، ولكن حديثي السابق عن الجمال دعاني إلى التحذير من البحث عن الجميلات الخاليات من أيِّ ميزةٍ أخرى، وليس الزواج من القبيحات أو متوسطات الجمال؛ لأنَّ الجمال ليس مقياس السعادة الزوجية، وإنما تتدرج مقاييس الزواج بحسب الأهمية؛ فالدين أولاً، ثم تتوالى بقية الصفات حسب الأقرب إلى نفس الزوج.

اعمل دوماً

قدِّرها

(الرجل المحيط) يشعر بإنسانية زوجته، ويستشعر بعين الإنصاف معاني العظمة في روحها وعقلها، ويمنحها ما تستحقه من احترام وتقدير، (فالرجل المحيط) يعلم أنَّ احترامه لزوجته دليلٌ على احترامه لنفسه أيضاً، فهي جزءٌ من نفسه، وهي مربية أولاده، وحامية عرضه، وسكن روحه، إنَّ احترام الزوجة يؤدي إلى علوها في عينها، وشعورها بأهميتها؛ بل وأخطر من ذلك أن يحترمها زوجها، من أجل أن يحترمها أولادها، فمنشأ احترام الأولاد للأم هو تقدير الزوج لها أمامهم، لكي تحيى الأسرة بسعادةٍ وهناء.

قد تستشري بعض المفاهيم الخاطئة في المجتمعات، كأن تجعل اكتمال الرجولة يكون في انتقاص احترام الزوجة، وسوء الأدب معها، وشتمها علانية بمسمع من الناس، وبقدر مبالغته في الإسفاف وسوء الأدب مع زوجتِه يصبح هو الرجل الكامل.

قد أُعطيت السلطة والأمر؛ لتكون الأكبر روحاً وعقلاً، فأخلاق الملوك تختلف عمن دونهم، وأنت في أسرتك بمنزلة الملوك، فإيَّاك أن تسمح لنفسك بظلم الضعفاء، فقد يعجبك بعض الرجال بشخصيته وقوة رأيه، ولكنه مع المرأة (ظالمٌ متخلفٌ معجبٌ بنفسه)، يحتاج إلى فترةٍ زمنيةٍ لتعديل اعوجاجه، فلا تخلط إعجابك بقوة شخصيته، مع انتقادك لضعف روحه وسيطرته، فتبقى أنت الكبير في روحك وتعاملك، وتسامحك، وليس في أخذ الحقوق فقط.

وربما تتزلق أقدام الزوج الجديد في عالم العنف، وسوء الأدب مع الزوجة لا لشيء إلاَّ أنَّ رجلاً متحجراً قبله زرع تلك الفكرة في رأسه، ثم تستمر (مسرحيتنا المؤلمة)؛ ليكون ضحيتها الأسرة أولاً والمجتمع ثانياً، وأحياناً يكون الزوج بطلاً في عالم الفسق، والفجور، والعصيان، ثم لا يكتفي بذلك؛ بل يعود على زوجته بالعنف، والضرب، والقسوة، وشركم شركم لأهله، فليت بطولاته في العنف والامتهان تكون سمة في كل حياته؛ بل للأسف حياته على العكس من ذلك، فإذا نظرت إلى علاقاته الغرامية الفاسدة، وجدتها مملوءةً بالمودة، والتقدير، والإكرام، والإنعام لامرأةٍ يصاحبها في الحرام، قلبت قلبها إلى فندقٍ يؤجر اللذة للعابرين بدراهم حقيرةٍ، ومشاعر مكذوبةٍ.

أما زوجته التي وهبته نفسها، وثقتها، وأمانتها، ونسلها لأجله، فيستخسر فيها إيَّ احترام وتقدير، وهذا شيءٌ غريبٌ، وتناقضٌ عجيبٌ، لأنَّه يكيل بمكيالينً؛ (مكيالٌ فاسدٌ للكريمة، ومكيالٌ كريمٌ للفاسدة)، فيجعل مربية أبنائه، وحافظة ماله وداره مهانة، وقليلاً قليلاً تنبعث هذه المهانة في نفسها، حتى تتشربها، وتقتنع أنَّها إنسانةٌ سيئةٌ، وشدة الامتهان، وقبح الطباع يقربها من الفاحشة، والانـزلاق في مستنقع الخطيئة؛ لانعدام الكرامة لديها، فأين مقياس النبي ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي و صححه الألباني / صحيح الجامع ٣٣١٤.

راع شعورها

(الرجل المحيط) يدرك جوانب النقص البشريّ في شخصية زوجته، وبذلك يراعيها ويشفق عليها من الانزعاج من أمرٍ تكرهه، أو أمرٍ لا يوافق هواها في الحق، أو أمرٍ تربت عليه، ولا يروق لها تركه، إنَّ (الرجل المحيط) يحافظ على شعورها أن يتكدر صفوه، أو يتناقص معدل فرحه، لأنه يدرك أنها بشرٌ تخطئ وتصيب.

من عظمة (الـرجل المحيـط) عـدم عيب زوجته في خلقتها، فالخالق هو الله تعالى: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونـه...) لقمان: ١١، كالتهكم بالشيب الذي يغزو شعرها، فقد شابت هذه المرأة في الإسلام، ومن إجلال الله تعالى توقير من شاب في دين الله، وغير لائقٍ أن تستبدّ بالزوج (غضبة الموقف)، فيستنقصها، ويزدريها، ويغدو فيها من الزاهدين، ويهذي بقذف كلمات سقيمة، فيها من (قيح الذكريات) ما لا يليق أن نقوله للأعداء، فكيف به مع الحليلة؟!، أو ينتقل بعض الأزواج ببلاهةٍ

إلى التهديد (بالتعُّدد)؛ وكان الأولى أن تبدو عظمة الزوج لو أساءت الزوجة وأخطأت، وأن يبقي لها كرامتها، وأن يفسح الطريق أمامها؛ ليحفظ كبرياءها، وأن يمهد لها خط الرجعة، حتى لا يصعب عليها التراجع، وتقديم الأعذار.

(الرجل المحيط) يلزم نفسه الامتناع عن النقد بصوتٍ مرتفع، لأن رفع الصوت من مظاهر السفه، أو يعيب طعاماً أتعبت نفسها في طبخه، أو يسخر بأيِّ إنتاج أجهدت نفسها في سبيله، فكيف لو كان ما صنعته إبداعاً، وجهوداً تستحقُّ الإشادة والشكر؟!.

وقبيحٌ بالزوج عيب زوجته في أهلها، أو انتقادهم بتصريحٍ أو همزٍ ولمزٍ؛ بل الرجولة الحكيمة تقضي بامتداح الزوج لأهل زوجته، وذكرهم بالخير والثناء، والترفع عن ذكر عيبٍ خُلُقي فيهم مراعاة لشعورها، أو يسمح لنفسه بالذم الفجِّ بأيِّ وجهٍ من الوجوه، فمن الأزواج من يلمز أحد أولاده بأنَّه شبيه بأمِّه خلْقاً أو خُلُقاً مازحاً أو جادَّاً، فراع شعورها لأنك (الرجل المحيط).

وأنا أشد على يد (الرجل المحيط) في مراعاة نفسية الزوجة أيام الحيض، وهي حالةٌ تنفرد بإرباك نفسيتها، وتخلخل نظامها، وفي الوقت ذاته لا ينبغي أن يترك الزوج الإرشاد والنصح في مثل هذه الحالة تحت حجة المراعاة لنفسيتها، لأنَّ فترة الحيض محسوبة الحسنات والسيئات، فالله تعالى هو الرحمن الرحيم، يحاسبها في هذه الحالة بإحصاء أعمالها خيراً وشراً، فلا يناسب أن نغلق باب العتب عليها، أو مؤاخذتها، أو محاسبتها، فلن نكون أرحم من خالقها تعالى بها.

اكذب بصدقٍ

بعض الأزواج يطيب له الحديث العذب مع أصحابه، وأما مع زوجته فتعال لتسمع (قاموس الشتائم) عجبي، أليست الكلمة الطيبة صدقة؟!.

(الرجل المحيط) زوجٌ ذو قاموس مليءٍ بالمفردات الأنيقة، والعبارات اللذيذة، فهو يتفنن في إطراب مسمعها، وترقيص فؤادها برشيق العبارات، فإن لم يكن في جيب الزوج مالٌ يتصدَّق به، ورغب في أجرٍ وثوابٍ، فليتصدَّق بكلمةٍ طيّبةٍ لزوجته، فإن كان ما يضعه الزوج في فم زوجته من طعامٍ وشرابٍ هو نوعٌ من (الصدقات) إن احتسبها لوجه الله تعالى، فإنَّ ما يضعه في أذنها من كلام حسنٍ هو عبادةٌ من العبادات إن احتسبها أيضاً، ولا يفوتني في نهايةِ هذه الأسطر أن أذكر الزوج بأهميَّة التدليل بالاسم، وباب الترخيم بابٌ في اللغة العربية (لا قفل له).

أعطها حريتها

في حديث أم زرع في صحيح البخاري جاء في القصة أن أم زرع مدحت زوجها أبا زرع بخصال منها قولها: (... فعنده أقول فلا أُقبَّح ...)، فلأنه أعطاها حريتها لم تجعل لحبه حدوداً، ولم تكن ذاكرتها قادرة على نسيانه، فقد كانت تقول ما تريد، فلا تجد من يجرحها، أو يحرجها، أو يهزأ بكلامها؛ بل حرية وعفوية، وبلا تدقيق، أو محاسبة، أو حصر أخطاء؛ ومراعاة لشفافيتها، ولا تهان الزوجة من الناس إلاَّ بعد هوانها على زوجها، وكلما ازداد قدر الزوجة عند زوجها، ازداد قدرها عند الآخرين، والعكس صحيحٌ، فالمكانة الحقيقية للزوجة تنطلق من مكانتها لدى زوجها،

و(الرجل المحيط): يدع زوجته تقول ما تشاء، لأنَّ المحيط لا أسوار له، ولا سدود، ولا نقاط تفتيش، ولا أقواس.

تأمَّلها

هل غمرك العجب يوماً من العلاقة بين عينيك؟!، ترمشان معاً، وتتحركان معاً، وتدمعان معاً، وتبصران معاً، وتنامان معاً، ومع ذلك لا تريان بعضهما، (والمحيط والبحر) كذلك يتأملان.

فقد يبدو الأمر سخيفاً لأول وهلة، ولكنَّه بالغ الأهمية، وذلك لأنَّ التأمُّل ضرورةٌ روحيةٌ وتربويةٌ نحتاج لها منذ الصغر، وعلماء التربية ينصحون الآباء بإشعار الأبناء بأنَّهم ينظرون إليهم، ويستحبون إطالة النظر وإدامته؛ بل ويرغبون في هذه العملية لأنَّها تجعل نمو الأطفال نمواً طبيعياً، ليخرجوا في المستقبل أسوياء دون أمراض نفسية، والمرأة كذلك تحتاج هذا التأمل، وتحتاج أن تشعرها بإطالة النظر إليها، وإلى جمالها، وإلى ملامحها في حالة سهوها، فأشبع لها هذه الرغبة، ولتكن نظرتك نظرة إعجاب وابتسام.

وإن كان تأمل الزوجة يجلب ما تكرهه النفس، فإنَّ (الرجل المحيط) يعفُّ عن رؤية المكروه من وجه زوجته أو جسدها، وينتقل إلى تأمل مواطن الجمال والحسن فيها، متذكراً قول النبي ﷺ: (لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر).

فرِّحها

إسعادك لغيرك، وإدخال الفرح إلى قلبه هو أحد أسباب حصولك على السعادة، وتعال معي إلى زوجتك؛ لتفكِّر جيداً، مشغلاً بالك

في كيفية إدخال السرور إلى قلبها.

إنَّ المداخل كثيرةٌ، والتفنن مطلوبٌ ومهمٌ، و(الرجل المحيط) تبدو مهارته في تنويع النكهات على قلب الزوجة الحصينة.

كما أن الأجواء تتبدل وتتغير، فيومٌ صحوٌ، ويومٌ مطيرٌ، ويومٌ برده قارسٌ، ويومٌ صيفه مشمسٌ يابسٌ، فإنَّ (الرجل المحيط) يتقن صياغة أسلوب التعامل بحسب أجواء ذلك اليوم مع إطلالة شمسه، وتذكر دائما أنَّ الله تعالى، لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والاجتهاد في العمل يريحك من تأنيب الضمير.

ولعلَّ في أحاديث المصطفى ﷺ مداخل إلى قلب الزوجة، أذكر منها: وضع اللقمة في فمها، وشربه من الإناء الذي شربت منه زوجته؛ بل وضع فمه في الموضع الذي شربت منه، وكالاغتسال من الجنابة معاً، والمناداة باسم الدلال، والمسابقة في الجري معها، والتقبيل قبل الخروج من المنزل، ومساعدة الزوجة في أعمال المنزل، والنوم في حجرها.

وتعال معي نعجب أيما عجبٍ؛ حينما نفاجأ بأنَّ جميع هذه الأعمال يربط بينها، سهولة توافرها لمتناول الأغنياء، ومتناول الفقراء، فليس لها أيُّ تكاليف، وله من المكاسب ألوف.

لا كما نلاحظه من وصايا بعض الناصحين عندما يطرحون فكرة كسب الزوجة بالهدايا، والعطايا، وسفر الاستجمام، وليس في هذا خللٌ أو زللٌ، ولكنَّ هذا الاقتراح لا يناسب جيوب الأزواج، ويفتح باباً من البلاء، وخصومةً للفقراء في مواجهة زوجاتهم، حتى تاه الأزواج عن كسب زوجاتهم، وتاهوا قبل ذلك عن تطبيق السنة النبوية، وفتحوا بوابة شقاءٍ على الأسرة، تلج منها الزوجات

على أزواجهن طلباً للهدايا والمبالغ المالية، لأن هؤلاء الناصحين يتربعون على عرش الثقة لدى الزوجات، والزوجات يتلقفن نصائحهم دون تمحيصٍ.

حدِّثها

كن حاتمياً في حديثك معها، فالصمت وحشٌ بشعٌ، يغرز أنيابه ومخالبه مع دقائق الصمت الشاحبة، و(الرجل المحيط) ينتقي أطايب الكلام كما ينتقي أطايب الثمر؛ وحيث إنَّ الثمر من أنفع الأغذية، فإن حديثه من أنفع الأحاديث؛ ما بين تعليم زوجته، وتأديبها، وإرشادها، وهذا واجبٌ شرعيٌّ على الزوج إلاَّ أنه نمطٌ من أنماط حديثه، وكذلك القصص النافعة، وأحاديث الصبا، وأرشيف الذكريات المستملحة، والطرائف التي لا يتخللها اغتيابٌ، أو تهكمٌ وسخريةٌ بأحد، والمعلومات الثرية إن وجدت، أو الحديث في شؤون المنزل والأسرة؛ بل إنَّ من أسهل الموضوعات التي لا تحتاج ثقافةً وعلماً؛ أن يقضوا وقتهم في تعداد نعمِ الله تعالى عليهما، وهذا ميدانٌ فسيحٌ، وأرباحه مضاعفةٌ، وكلُّ ما مضى ومضةٌ من عشرات الموضوعات التي تناسب زوجين، يجتمعان دنيا وآخرة، ولا يفوتني أن أذكر الزوجين بالنقطة القادمة التي تأتي أسفل هذا السطر.

اقصدها

الرجل صيادٌ بطبعه، متى ظفر بصيد تاقت نفسه لصيدٍ آخر، والنساء كالفواكه لكل أنثى منهنَّ طعمٌ تتفردٌ به؛ بل يختلفُ مذاق الصنف الواحد باختلاف منبته وموسمه، (الرجل المحيط) يدرك

أنَّه لا يمكن الحصول على امرأةٍ كاملة بلا عيوب، فإن ساءه من زوجته خُلُقٌ سرَّه خُلُقٌ آخر، مع تمتُّعه بمزية تعدُّد الزوجات، روى مسلم في صحيحه: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر).

وعندما تقع عين (الرجل المحيط) على مفاتن أنثى لا تحلُّ له، ثم وجد نفسه تهفو لها، فإنه يتذكر الضابط الشرعيَّ، والتوجيه النبوي، فيعود راجعاً إلى زوجته، ليجدها (امرأة بحراً) تكسبه العفاف، وتعيد اتزان روحه، وتعينه على توقي الفتن، ولا يطلق لنفسه العنان، كما يفعله السفلة، وإنما كان تشتت القلب، وركض الفؤاد خلف كلِّ جمالٍ ميزة (لكازانوفا) و (دون جوان) لا يعرف للحب معنى، فهو لا يعرف من الحبِ إلاَّ اسمه.

غازلها

(المرأة تستحق أقلَّ مما يقوله عنها خطيبها، وأكثر مما يقوله عنها زوجها)، و(المرأة البحر) تجوع لكلمة غزلٍ من شفتيك، وتتعطش لعبارةٍ حانية، وأنت (رجلٌ محيطٌ)، فلا تحرمها من درّةٍ، ولؤلؤةٍ من مياه محيطك، و من جميل كلامك، ورائع قاموسك تكون عالية التركيز والجودة، فهي كائنٌ ينتشي بنغم المديح، ويطربها سحر الإطراء، ألم تسمع بكتابٍ تاريخيٍّ نال حظاً من الشهرة، اسمه (القاموس المحيط)، فهل أنت محيطٌ بأنك رجلٌ محيطٌ؟!، ومن حكمتك وأنت (الرجل المحيط) أن تتغزل بتمسكها بدينها، وحسن أدبها بدرجة أولى، وبعفافها، وخلقها، وخفة ظلها، وبملاحة وجهها، وإن كان قبيحاً، وأما إن كانت جميلةً، فمن باب أولى، وبالثناء على ملابسها، وبتفاصيل كلِّ لباسٍ، وبمساحيق

التجميل، واعلم أنَّ أهل الانحلال والفساد يفسدون الأنثى (بعطر المديح) الفاجر، ولكنَّ (الرجل المحيط) يصفع فسادهم بالضربة الاستباقية (برشَّة عطرٍ) من شفتيه يمنحها الثقة والدفء العفيف.

والثناء يطفو ويفيض حين تصنع الزوجة أمراً حسناً، وبادرةً مليحةً، ثم يجفُّ ذلك الثناء، ويجفُّ الإطراء، حين تسوء الطباع، وتقلُّ المحاسن.

❖ ❖ ❖ ❖

أين الرعاية والتذمُّم؟!

حين يصبح الحب والزواج رهناً للأمزجة، والأحاسيس العابرة، والانجذاب الغراميّ، فقد تسلل الموت إلى الأسرة، و(الرجل المحيط) يعمد إلى ترويض الحب؛ لكي يكون خادماً مطيعاً للزواج، سئلت أكثر من مائتي طالبة في إحدى الكليات الأمريكية عن الدعامة الأولى للزواج الناجح، فذكرن أسباباً كثيرة، ولكن الغريب في الأجوبة أنَّ أيَّ وحدة منهن لم تذكر لفظ الحب.

فالحب ليس الشرط الحتمي للزواج، ولكنه بالأحرى يتأصل في (تربة الاحترام)، وتتعمق جذوره بالزواج، ومتى كان الحبُّ الحرام من غير زواج، فإنَّه ينمو في تربةٍ رمليةٍ موهومةٍ، يتنافس فيها الوهم مع حبات الرمال.

(الرجل المحيط) يدرك برجولته أنَّ الزواج مسئولية، فإن عجز أن يحب زوجته، أو أجبرته بقبح طباعها أن لا يستحملها، أو أن يعجز عن التبسم في وجهها، أو يفضي إليها بأسراره، أو يتجاذب معها أطراف الحديث، فإنَّ الخيارات مطروحةٌ أمام عينيه،

ولكن لا يوجد من بينها (الطلاق)، لأنه على قناعة بأنَّ الحب الأفلاطوني ليس شرطاً في العشرة الزوجية؛ فالبيوت لا تقوم على الحب فقط، ولو كان الحب شرطاً أساساً؛ لانهدمت غالب البيوت، فالأصل في الأسرة أن يقوم الزوج بما أوجبه الله تعالى عليه من النفقة، والكسوة، والمسكن، والمعاشرة بالحسنى، فإذا فعل ذلك، فقد قام بما هو كاف لقيام البيت، والقبول عند الله تعالى، إلاّ أنَّه من الأفضل والأكمل إن تيسر ما يثري الحياة الزوجية من التجاذب، والتوافق، والاشتياق، فإن لم يتيسر، فعلى الزوجين أن يقوما بواجباتهما، ويأخذا حقوقهما، وهو الحد الأدنى الذي تقوم عليه الحياة، و(الرجل المحيط) لا يعامل بالأخلاق بشرط أن تعامله زوجته بالأخلاق؛ بل يعاملها بالأخلاق، لينال الأجر من الخلاق تعالى، وقد عاشر أنبياء الله نوح ولوط عليهما السلام زوجاتٍ سيئات، ولكنهم كانوا أزواجاً صالحين، فالزوج عليه أن يعامل زوجته بالخلق الحسن من أجل الثواب من رب الأرباب، وليس من زوجته.

(الرجل المحيط) يحسن معاشرة زوجته، ولا يعبر عن ضجره منها، ويعلم أن الشرع لا يمنعه من أن يعبر لها عن حبه (كذباً)، وإن لم يكن لها محباً، فهذا مما يقربه إلى الله تعالى، والشريعة أباحت له أن يتزوج بثانية، وثالثة، ورابعة مع إبقائه على هذه الزوجة مادامت قادرةً على تربية أبناءٍ صالحين.

❖ ❖ ❖ ❖

تصحيح المفاهيم

استوصوا

بين الجهل وسوء الطبائع، ترتسم مفاهيم هلاميةٌ تتداولها الناس، فلا تجد الواعي المصحح لها، وإنكار تلك المفاهيم يجلب كره الناس، مما يجعل الكثير من العقلاء، يجبنون عن ذلك، ولعلي أسوق بعض المفاهيم الخاطئة للتمثيل، وليس للحصر:

يقول النبي ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً ...) رواه مسلم، وحيثما وجهت عينك وسمعك، وجدت المتحدثين والكاتبين والناصحين، يشرحون معنى (... استوصوا ...)؛ بإكثار الوصايا حول الرقة في التعامل مع الزوجة، والمطالبة باللطف في الحديث معها، وإكرامها، وحسن معاشرتها، وتتواصل هذه النغمة، حتى تصل المبالغات، بأن يأتوا بفاكهة الصيف في فصل الشتاء، وبطقس الربيع في موسم الخريف، وكلما أطلت النظر في تفاصيل طلباتهم المثالية، أيقنت أنّ تلك الطلبات لا يمكن أن تخطر ببال وخيال أيّ زوجةٍ، فهذا المستوى الخيالي مستحيلٌ في رسم لوحة الأسرة التي لمْ تُخلق على وجه الكرة الأرضية بعد.

والخير الذي أوصى به الحديث، ليس المقصود به ما سبق وحسب، وإنما هو أشبه بوصية النبي ﷺ باليتيم خيراً، بالتأكيد لن يكون مقصود الوصية باليتيم خيراً، أن نعامله بالتنعيم، والترفيه، والمراعاة، وإنما المطلوب إصلاحه، وتأديبه، وتعليمه، وتربيته، حتى ولو بالحزم، بل والشدَّة إن اقتضى المقام ذلك، فمثلاً لو بلغ اليتيم عشر سنين، وامتنع عن الصلاة، لكان من الوصية به خيراً؛ أن يضربه ولي أمره، وحين ذاك يكون قد استوصى به خيراً.

والزوجات يقال في حقهنَّ كما قيل في شأن اليتيم، فالوصية في حقهنَّ، ليست في إفسادهنَّ بالتنعيم، والدلال المفرط، والإهمال دون محاسبة، فالرائي لحال بعض النساء في وقتنا، في لباسهنَّ، وفي انحرافهنَّ، وفي سلوكياتهنَّ، وفي هيئتهن في الأسواق، وفي الأفراح، وفي الجامعات، وغيرها، يرى فيهنَّ اللامبالاة بدين الله تعالى، ومن أسباب تلك اللامبالاة الإسراف في النصائح التي تطالب بالرفق في التعامل معهنَّ، فالرفق غير الحكيم هنا مما يزيدهنَّ ضراوة في الانفلات، لا دفعاً بهنَّ للاحتشام والعفاف، وخصوصاً أن هنالك مواقف للنبي ﷺ فيها شدةٌ في التعامل مع الخطأ، لا نجد لها ذكراً في نصائح الناصحين، كما غضب على عائشة رضي الله عنها، عندما أساءت إلى خديجة رضي الله عنها: قالت عائشة: فرأيته غضب غضباً شديداً، أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني، لم أعد أذكرها بسوءٍ ما بقيت، فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت، قال: (كيف قلتِ، والله لقد آمنت بي، إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورُزقت مني الولد إذ حُرمتموه مني)، قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً) حديث حسن أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

فغضب النبي ﷺ الغضب الشديد لهذا الأمر على عائشة رضي الله عنها، حتى عرفت ذلك في وجهه، ومعاتبتها عتاباً متكرراً عليها لمدة شهر كامل، هو من تأديبها، وتعليمها، ومن (الوصية بها خيراً)، فكيف لو رأى النبي ﷺ بعض الزوجات وهن ملعونات في هيئتهن، وفي تعاملهنَّ مع أزواجهن، ووقوعهنَّ في الفواحش، ألم يوص بقوله عن الكاسيات العاريات: (العنوهنَّ

فإنهنَّ ملعونات) رواه المنذري و حسنه الألباني / صحيح الترغيب ٢٠٤٣.

الجمال نسبي

حينما ترى نساء شرق آسيا، يستحوذ العجب على عقلك، كيف لرجالهم أن يجدوا الجمال في تلك النسوة (فطس الأنوف)؟!، وحين تتأمل بلاد أفريقيا السوداء، فإنك تعجب من غرام ينبت في تلك البلاد التي ليس في نسائها من البياض إلا ماً أطل من عينيها، أو هامتها التي يعلوها الشعر المجعد؛ حيث لا يغري عينيك بالنظر فضلاً عن اللمس؛ لأنه لا يكاد يُمسك، أو لبلاد أوروبا التي يتميز نساؤها بشقرة الحواجب، والرموش، والشعر الذي يستلقي على هامتهن؟!.

ورجالهم يستغربون أيضاً من إعجابي ببنات قومي، ويهزون رؤوسهم استغراباً من استمتاعي بقبحهن، ودمامة وجوههن (في عيونهم طبعاً)، ومن وجهة نظرهم.

كلانا ناظرٌ قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

فمن هن الدميمات؟، ومن الجميلات؟، فقد ترى الدميمة، ويراها غيرك جميلةً، أو على الأقل مقبولة، والعكس واردٌ ومنطقيٌّ، ولولا اختلاف الأذواق، لكسدت تجارة الأسواق.

طبيعة المرأة و طبيعة الخطأ

للمرأة طبائع تنفرد وتتميز بها عن الرجل، و(الرجل المحيط) يفهم تلك الطباع ويراعيها، قد تبدو هذه الطباع في ظاهرها أخطاء، ولكنها في حقيقتها طبائع نسائية متغلغلة في بنات حواء جميعاً، وخذ مثلاً على ذلك:

• الغيرة طبيعةٌ، وإفراطها نفثةٌ شيطانيةٌ، تزول بالذكر والاستعاذة، (راجع فصل الشريك الملعون).

• نسيان المعروف. (ما رأيت منك خيراً قط)، فالزوجة لا ترى ما نصنع لأجلها، إنها ترى ما لا نصنعه لأجلها، و(الرجل المحيط) يتعامل مع طبيعة المرأة، وليس مع طبيعة الخطأ، فيتسامح ويعفو، ويعلم وينصح.

• الضعف عن الإبانة، وعدم الجدارة في الحوار، والاهتمام بالأناقة والتجمل، ﴿أو من يُنشَّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾.

• الاندفاع والتسرع في اتخاذ القرارات المصيرية، وطغيان تحكيم العواطف، مما يترتب عليه كثرة طلب الطلاق -الاستنجاد والذهاب للأهل.

• كثرة الكلام.

• عنف تأثيرها على الرجل في صوتها، ومظهرها، ورائحتها؛ بل حتى في وصفها، فلو قامت الزوجة بوصف امرأةٍ أخرى لزوجها، فإنَّ هذا التوصيف لا يقارن بوصف الرجال، ومن هنا جاء النهي النبوي عن ذلك، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها)، رواه البخاري.

• الحميِّة لبنات جنسها فيما لا علاقة لها فيه، وانتقاد المرأة بصفة عامة.

• أخلاقها تتأثر سلبياً وقت الطوارئ الفطرية.

• عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها) رواه البخاري ومسلم

قال ابن حجر على هذا الحديث :

فيه إشارة الى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها؛ أنها قبلت ما زين لها إبليس، حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة، ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفاحشة حاشا وكلا، ولكن لما مالت الى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسنت ذلك عد ذلك آدم خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها.

وقريب من هذا حديث (جحد آدم فجحدت ذريته)، وفي الحديث إشارة الى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه، أو على سبيل التنوير، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا الاسترسال في هذا النوع؛ بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن. والله المستعان". فتح الباري - ٦/٤٢٠

بيتها ... لا بيتك

بيتها مملكتها، ولها بصمتها عليه و(الرجل المحيط) يدرك ذلك، ويترك لها حرية شئون المنزل في أوانيه وتحفه وتنسيقه، و(الرجل المحيط) هنا (شريكٌ مساهمٌ) فقط، فله دور إبداء الرأي والمشورة، ويبقى للزوجة حق (تقرير المصير)، ولا ينسى (الرجل المحيط) أن يتعبد الله تعالى بالمساهمة في مهن المنزل، ويشارك في أعمال البيت، ولا يرى في ذلك عيباً، فقد كان أكمل الرجال بأبي هو وأمي ﷺ في خدمة أهله، قيل لعائشة رضي الله عنها: ما كان

النبي ﷺ يصنع في البيت؟، قالت: (كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الآذان خرج) رواه البخاري.

ليس من النشوز

١- معصية الزوجة لزوجها عندما يطالبها بمعصية الله تعالى، كامتناعها عن خلع الحجاب، أو الاختلاط، أو شرب المسكر، إذا أمرها بذلك.

٢- أن يكون في طاعتها له ضرر عليها في دينها، أو نفسها، كأن يطلب منها السفر إلى بلد الكفر، فليس عليها طاعته في ذلك.

٣- أن تمتنع عن فراشه لعذر شرعي، أو لعدم استتار المكان.

الزوج المهزوم

بعض الزوجات تقيم معركةً طويلة الأمد مع زوجها؛ وهدفها الوحيد أن يرضخ زوجها لطلباتها، وأن يستسلم في النهاية، وهي معركةٌ عجيبةٌ لأنَّها تمتاز بالصمت الخفي، وأنا أزعم أنَّ بعض الأزواج يكونون في غاية الاستعداد لهذه المعركة، ولكنَّهم يدخلونها، ويخرجون منها مهزومين، دون أن يشعروا بأنَّ المعركة بدأت، أو لم تبدأ.

نقاط الضعف عند الأزواج؛ تستغلها بعض الزوجات بطريقة (كأنها) عفويةٌ، وهي في الحقيقة (عفوية التخطيط)، فتستعمل الزوجة سلاح (الضغوط الغامضة)؛ بحيث لا تشتم زوجها، ولا تجرحه بأيِّ كلمةٍ نابيةٍ، وسأحاول حصر نقاط الضعف في الأزواج فيما يلي:

١-كثرة الإلحاح في الطلب حتى الإملال:

مع توزيع الإلحاح على جميع الأوقات بالتساوي، بعباراتٍ ثقيلة على الروح: (تكفى، أرجوك، الله يعافيك، طالبتك، الله يرحمً والديك، أسألك بالله توافق، حاول)، وكطنين الذباب، الذي يزعج الألباب تضرب الأمثلة له من باب إجراء المقارنة، ومحاولة (لمز) الزوج، وغمز رجولته بمقارنته بالأزواج المثاليين، حتى ينصاع لأوامرها، فتبدع في تكرارها حتى يتمكن الزوج من حفظها جيداً، على الطعام، وقبل المنام، وحال جلوسه، وعند انصرافه من البيت، وربما استمرت هذه المعاناة إذا انتقلت الزوجة للمرحلة رقم (٢).

٢-(إني نذرت للرحمن صوماً، فلن أكلم اليوم إنسياً):

فتتعمد الزوجة الصمت، والاكتفاء بالتمتمات مع إظهار التضجر، وعدم الاكتراث، وفصل (تيار التواصل)، فينقطع بينها وبينه تيار الماء، والكهرباء، والهاتف، فلا حديث، ولا همس، ولا ضحك، فيدخل الزوج لمنزله، ويخرج كئيباً كأنَّه زائر القبور، فإن لم يتغير موقف الزوج، وبقي على رفضه لطلباتها، استعملت الزوجة سلاحاً آخر.

٣-(زرع الألغام):

فتبدأ بإعلان استيائها بطريقةٍ متذمِّرةٍ جحودةٍ لكل خيراته، فتصبُّ غضبها في كلماتٍ استفزازيَّة، تخلطها بطلباتِها المرفوضة، ثم تضيف إليها طلباتها القديمة التي لم يفعلها الزوج؛ حتى تدعم كلامها بالأدلة، ثم ترمي (القنابل اليدويَّة) بقولها: (حياتي معك ليست حياةً، والعيش فيها مملٌّ، والأزواج الشرفاء يكرمون زوجاتهم أكثر منك، ولكنَّ حظي تعيسٌ بئيسٌ، افعل خيراً واحداً

ولو مرَّة في حياتك)، ومع استمرار العرض السيئ لطلبها، ربما يرفض الزوج الاستجابة لأوامرها.

إنَّ مصداق هذا الكلام جاء في حديث: (ما رأيت منك خيراً قطُّ)؛ حيث تخطت هذه العبارة حاجز الزمن، ووافقت جميع العصور، لأنَّها جاءتنا من الوحي السماوي.

٤-التأفف من استقبال الضيوف:

وعدم القيام بإكرامهم، (وسوء الخدمات للعملاء)، يتبعه سوء الخدمات المنزلية، وإهمال شؤونه، فيتناقص الملح من الأسواق، والشاي موجودٌ في المطبخ، ولكنَّ الخدمة ذاتيَّةٌ، وتناول المشروبات يُمنع فيه الاختلاط بين الزوجين، وختام المسرحيَّة أن تنام في ملابس المطبخ متعمِّدةً؛ لتثبت أنها غير مبدعة حتى في غضبها، ومتخلفة في إظهار انزعاجها، فإن غضبت عبرت عن غضبها بنومها في قميص المنزل، أو تختبئ وتأمر أولادها بنداء الزوج للغداء، أو قيامهم بشأنه، وحينها يعمُّ البيت حالةٌ من (الفوضى الفجائية)؛ التي تجبر الزوج أن يفهم أنه لا غنى له عن رضاها، وأنَّ الأفضل له أن يستسلم، وأن يوافق على طلباتها؛ ليجد الراحة (في بيته)، وهنا يشعر الزوج بالابتزاز.

٥-إثارة المشكلات لأتفه الأسباب:

المنزل يلتهب مثل التهاب الجروح، كأنما تنتظر الزوجة أدنى تقصير، حتى تقوم قيامتها، لكنَّ قيامة الزوجة هنا؛ يصدق عليها قيامة أحمد مطر:

أوطاننا قيامةٌ

لا تحتوي غير سقرْ.

والمرء فيها مذنبٌ

وذنبه لا يغتفرْ

فتصبح أعصاب الزوج في حالة استنفارٍ، لا يقرُّ له قرارٌ، ولا يدري من أين يأتيه البلاء والمشكلات.

٦-الدموع والبكاء:

نواحٌ منزليٌّ بدون فجيعةٍ، ومراسم عزاءٍ من غير وفاةٍ، ونعيٌ لا يكتب في جريدة، وأنين الخنساء لكن من غير قصيدةٍ، ووجهٌ مبللٌ بالدموعِ، يجبر الزوج على أحد خيارين؛ إما الاستسلام، أو الأنس وحيداً وسط بيته، الذي أصبح مثل دور الأيتام.

٧-الحرب الباردة:

إذا عزم الزوج على فعل شيءٍ ما، ولم يعجب الزوجة، فإنَّها تختفي عن المواجهة المباشرة، وتبدأ بتحريض الأولاد حال غياب الزوج، فيظهر الأولاد أمام أبيهم كأنما يعبرون عن مشاعرهم باختيارهم، فيضطر الزوج إلى الاستجابة والتنازل، وتكسب الزوجة المعركة بهدوء، أو ربما أعلنتها بصراحةٍ، فهددت بإلقائهم عليه، وتركهم غصةً في نحره.

٨-الامتناع عن فراش الزوج (سياسة الحرمان):

وهذا الأمر يصدق عليه القول: (أعضل المعضلات؛ توضيح الواضحات)، فتحتال الزوجة بحجج باردةٍ؛ لكي تمتنع عن فراش زوجها؛ فإما أن تتعمد التأخرِ عن فراشه لعله يسلو فينام، فتجعله يبقى في حالة انتظارٍ (مملٍّ) (مذلٍّ)، أو تطيعه طاعةً يمازجها العصيان بأسلوب المكرهة المتذمرة المتأففة، يلوح على وجهها الضيق والعبوس حتى يعاف، ولا طعم في مغصوبٍ، ولا لذة في باردٍ.

٩-البخل بالحنان، وبالأحاديث الناعمة:

فتخشوشن الزوجة وهي من الجنس الناعم، وتصلولب وهي كائن الرقة، وتلبس (قناع الرسمية)؛ لتمتطي قاعدة: (كلمة .. ورد غطاها)، فلا يوجد إلاَّ كلماتٌ جافَّةٌ، تخرج من شفاه أنثى، فيستوحش المنزل بالزوج، وتضيق عليه الأرض بما رحبت، حتى توصله الزوجة إلى قناعة مفادها؛ (الموضوع لا يستحق منك كلَّ هذا العصيان لي، فأعلن استسلامك؛ حتى تنال رضا زوجتك عليك).

١٠- التلكؤ عن زيارة أهل الزوج:

لإيقاعه في حرجٍ أمامهم، أو تكون في زيارتهم، فتلقي كلماتٍ هنا، أو هاهنا؛ لتستفز الأسئلة بداخلهم حتى يعرفوا منها ماذا حصل بينها وبين زوجها، وهي تتظاهر أنها ممتنعةٌ عن الحديث، وهي في حقيقة الأمر تموت لهفةً لإفراغه، وشرحه، وإيضاحه، بصورةٍ انتقامية، ولم تشعر أنَّها بذلك تقطع حبال الرجوع، وتدفع بزوجها إلى التفكير بالطلاق، من حيث أرادت (بزعمها) أن تؤدبه.

١١-أسلوب التهديد:

فتقوم الزوجة بتهديد زوجها؛ بأن تترك البيت، وتذهب إلى أهلها، أو تهديده بنشر أسراره وخفاياه عندهم، ونشر غسيل البيت، على حبل الغسيل الموجود في بيت أهلها.

إنَّ مسؤولية المنزل الخارجية من كسبٍ وقوت؛ هي من واجبات الزوج، وأما رعاية المنزل الداخلية، وإصلاح أموره؛ فهو من واجبات الزوجة، وليست (منةً) تمن بها على الزوج، فتبدأ باستغلال هذه

الواجبات بصفتها ورقة ضغطٍ، وتقوم بإرسال إشارة رعب لقلب الزوج؛ بأنها ستلقي على كاهله المسؤولية الداخلية مع المسؤولية الخارجية، حتى لا يفكِّر في التمسُّك برأيه، وهذا من (المكر النسائي) الذي تلوي به بعض الزوجات ذراع زوجها؛ لتجبره على التراجع عن قراره، والاستجابة لرأيها.

١٢- الحصار الاقتصادي:

إن كانت ذات مالٍ، فإنها تبدأ بممارسة ضغوطها؛ بأن تتخلى عن دفع راتب الخادمة، أو سداد الفواتير، أو غيرها، علماً بأنَّها كانت تقوم بالإنفاق قبل أن تعلن المعركة، ولكن هذا الحصار الجديد، هو نوع من الحرب.

١٣-الهروب:

ربما تمتلئ (جمجمة الزوجة) بالاندفاع الأبله، فتقرر الهروب إلى بيت أهلها بأسلوب اللصوص، فتتسلل لواذاً في عتمة الليل، أو في ضوضاء النهار، لتفاجئ الزوج باختفائها، وهذا مما يدل على الشخصية الجبانة التي تملكها الزوجة، مما يدفع أيَّ عاقلٍ إلى ازدرائها، لضعفها عن مواجهة مشكلاتها.

١٤-طلب الطلاق:

فيغدو صفاء الأسرة ملوثاً بتهديدات الزوجة، (إما ... وإلا طلقني، مللت الحياة معك، ألف رجل يتمناني اتحداك تطلقني).

وحين تناصح هذا الصنف من الزوجات تبدأ إحداهنَّ بممارسة نوع من التغابي، ليكون ردها: (أنا لم أخطئ في ألفاظي معه؛ فالحمد لله لم أشتمه، ولم أجرحه بكلمةٍ واحدةٍ؛ بل كلُّ كلامي كان جميلاً ومهذباً، وهنا أتصوَّر أنه ينتهي دوري)، فيكفي من

وجهة نظرها أن لا تشتم زوجها، أو أن لا تصرخ في وجهه، وهذا من الخطأ في المفاهيم، إن كانت صادقة، ومن (الخبث المتغابي) إن كانت كاذبة، و(الله يعلم السر وأخفى).

وما حسنٌ أن يعذر المرء نفسهُ وليس له من سائر الناس عاذرُ

بعض الزوجات تخطئ حينما تتوهم أنَّ الكلمات الناعمة، والعبارات الغزليَّة لزوجها؛ هي أكبر إكرام تقدمه لزوجها، وأنَّها بمثل هذه المفردات المنتشرة على جميع الأفوَاه، والمتوفرة في أيٍّ مسلسلٍ يوميٍّ سخيف، تستحقُّ أن تكون أفضل زوجةٍ على وجه الأرض.

بل لابدَّ أن تتعلم أنَّ (أقوالنا) تبقى جثثاً ميّتةً، لا قيمة لها، حتى نترجمها إلى (أفعال)، فكيف بزوجةٍ تملأ مواقفها، وحياتها مع زوجها بالجفوة، والغلظة، والصوت العالي، ثم تتبرع في ليلةٍ من الليالي المقمرة بكلمةٍ لطيفةٍ لزوجها، ثم تنتظر أن يخرج من (إبريق العجائب)، واضعاً كفيه على مرفقيه، لابساً ملابس التراث الهندي، مطرقاً ببصره، قائلاً: (شبيك لبيك)، ثم يلبي طلباتها؟!.

(المرأة البحر) محتاجةٌ لطلب زوجها ولا شكَّ، ولا غنى لها عن سؤاله، والزوج يسعد أن يلبي طلب (المرأة البحر) التي تحسن الطلب الممزوج بالخضوع، والطاعة المرتبطة بالآخرة.

فالإزعاج متعبٌ للزوج، ويشعره بالغبن، وفقدان السيطرة، و(المرأة البحر) زوجةٌ حكيمةٌ تحرص وتسعى إلى إشعار زوجها بالامتنان، وإعطائه مقاليد السيطرة.

أخلاق المرأة

النبي ﷺ أمرنا بأن ننكح المرأة لأربع: (تنكح المرأة لأربع: لمالها،

وحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) متفق عليه، ولم يذكر منها الأخلاق، بخلاف الرجل، فحين أوصانا بتزويجه، أمرنا أن ننظر إلى أخلاقه، فقال: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه...) رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٧٠، فنراه أباح الزواج من المرأة؛ لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، وأمرنا بأن نظفر بذات الدين، وفي هذا إيحاءٌ بأنَّ خصالهنَّ متشابهاتٌ، وتعاملهنَّ مع أزواجهن متقاربٌ، والدين هو الذي يكبح خصال المرأة الفطرية، ويقيدها تعظيم أوامر الله تعالى، فإذا ما واجه الزوج نشوزاً، أو عصياناً، أو تقصيراً في حقِّه، فإنَّه يجد ما يحاكمها إليه، وينصحها به، وينهي المشكلة معها، وهي مقتنعةٌ راضيةٌ.

المرأة تأتي من بيت أهلها بطباع تربَّت عليها، وعندها استعدادٌ للتغيير حسب تربية الزوج لها، فأمره الله تعالى حين مخالفتها له بأن يعظها بالحسنى، وهو داخلٌ في التربية، وأن يهجرها لو استعصت، ثم يضربها، وهذا من واجبات التربية على الزوج.

والغالب في الرجال أنهم يبحثون في المرأة عن هذه المطالب الأربعة، وأمَّا الأخلاق بدون مواصفات أخرى، فهو نادراً ما يكون في (الطلب الرجالي)؟!.

في البلاد التي أصابها الانفتاح والاختلاط، صارت الفتاة تجالس الخاطب وتعيش معه فترة زمنية، يستطيعان التعرّف على بعضهما أكثر من البلاد التي لا تبيح ذلك، ومع ذلك لم ينخفض معدل الطلاق في تلك البلاد، وبقي مقصود الشرع منتصباً شاهداً على فشل جميع الآراء التي تنزلق بالمفاهيم يمنة ويسرة،

وفشل النداءات التي ينادي بها العلمانيون ويخدعون بها شبابنا من قولهم: (كيف أتزوجها دون أن أعرف عنها شيئاً، أو أتعامل معها، هل فقط أكتفي بإرسال أهلي لخطبتها وأتفاجأ بأخلاقها بعد الزواج).

(الرجل المحيط) يفهم ذلك الحديث فهماً عميقاً، فلا يتوقع من زوجته أن تكون على خُلُق النساء الكاملات، ولا خُلُق أمهات المؤمنين، ولا خُلُق الصحابيات الجليلات رضي الله عنهنَّ جميعاً، ولا حتى على خُلُق أمه؛ بل هو واقعيٌّ في نظرته للحياة، فهو يتوقع الأسوأ، ويرضى من الغنيمة بالإيابِ، ومن القلادة ما أحاط بالعنق.

وهو يدرك الفرق بين (الخُلُق) و(الأدب)، (فالخُلُق) فطرةٌ وجبلّةٌ يجبل الله تعالى المرأة عليها، بينما (الأدب) نتاجٌ لتربيةٍ تربت عليها، فهو يُحسِن تربيتها، ويقبل اعوجاجها، وسوء خُلُقها، وسيحصل على نتاجٍ طيبٍ مع مرور الوقت، والصبر، والله يحب الصابرين.

مقياس دقيق

أكمل الأزواج الذين عرفته البشرية على الإطلاق؛ هو محمد ﷺ، ومنهجه أكمل منهج، فقد حوى جميع المواصفات التي تتمناها جميع الزوجات، إلاَّ أنه واجه من زوجاته مشكلاتٍ، وإيذاءً، وتجاوزات، فهذه الطبيعة أساسٌ في فطرة المرأة، فمهما كان زوجها كاملاً مكملاً، فإنَّها لن تستقيم له على الدوام، وحتى لو حصلت على زوج قال عنه الله تعالى: (وإنَّك لعلى خُلُقٍ عظيم)،القلم(٤) فإنَّ خطأها في حقه واجب الحدوث.

(الرجل المحيط) حبيبه هو المصطفى ﷺ، وقصصه مع زوجاته حاضرةٌ أمامه دائماً، ومستعدٌ للاقتداء قدر استطاعته، وحين يملُّ أو يبرم من زوجته لكثرة مشاكلها، فإنه يتذكر موقف الحبيب ﷺ، ويتشبه به:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبه بالكرام فلاحُ

أنت لها ؟ !

وأعرض عن بعض

(الرجل المحيط) قَوَّامٌ سيدٌ كما وصفه الله تعالى في كتابه، والقوَّام والسيد يجب أن يكون على قدر هذه المكانة الكبيرة، التي تفرض التسامح، والكرم، وغض الطرف عن العيوب، وإتقان فن التغافل، فحين يحاسب، فإنَّه يحاسب كما حاسب النبي ﷺ: (وإذ أسرّ النّبيّ إلى بعْض أزواجه حديثاً فلمّا نبّأت به وأظْهرهُ اللّه عليه؛ عرف بعْضه وأعرض عن بعض فلمّا نبّأها به؛ قالت من أنبأك هذا قال نبّأني الْعليمُ الخبير) التحريم ٣، (فالرجل المحيط) أكرم وأنبل من أن يحصي الأخطاء إحصاء المعدد الذاكر المحاسب؛ بل يحتويها في داخله، ولا يظهر منها إلاَّ ما لا يحتمل التغاضي عنه، أو ما ينفع البوح به.

❖ ❖ ❖ ❖

لست لها ؟!

نعش الرجولة

حان موعد وصول الرحلة القادمة من بلادٍ كافرةٍ غربيةٍ، وضجيج المطار يمتزج إزعاجه مع برودة الجو، وما يلفت الأنظار، وقوف الزوج في المطار، مبتسماً في حالة انتظار، ينتظر قدوم زوجته، وأولاده الصغار...

فالزوج يحمل في روحه جثتان، تعافها الأكفان؛ الأولى: جثمان الغيرة على المحارم، والثانية: رجولته التي خنقتها الدياثة.

فوالله لا أدري على أيِّ شيءٍ أراه يبتسم، فلم يعد هنالك ما يستحق الابتسام لأجله بعد هذه المصيبة، والعجب أنَّ أنفه قد استلقى تحته شاربٌ طويلٌ، غير أني على يقينٍ أنَّ بعض الحشرات أطول شارباً منه، وربما تكون الحيوانات أكثرَ غيرةً منه.

لم أرد أن أجرحه بكلامي، إلا عندما تذكرت قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليهِ   ما لجرح بميِّتٍ إيلامُ

• دقت الساعة العاشرة ليلاً؛ لتستعد الزوجة وبناتها للذهاب لحفلة زفافٍ، فنهض الزوج لإيصالهم، وشاهد ألبسةً تؤلم (القلب الحيَّ)؛ ما بين مشقوقٍ إلى (...)، وبين لباسٍ عار الـ(...)، ولباسٍ قصيرٍ لم يشاهده إلاَّ في القنوات الفضائيَّة، وشيفون يرسم لون الألبسة الداخلية التي (أستحيي من ذكرها)، ولباس ضيِّقٍ يرسم أشكال الـ(....)، ورائحة العطر تطاردهنَّ عن بُعد، ثُم كانت

❖ ❖ ❖ ❖

الخاتمة قبل إغلاق الستار أن لبسن عباءات تنافس الفساتين في الضيق، وبقي الأب صامتاً أمام تلك المظاهر التي لا يرضاها كافرٌ عربيٌ جاهليٌ من قريش، فكيف يرضى بها وهو مسلمٌ؟! (إنَّ الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه) متفق عليه

• جلب إلى بيته (سائقاً)، ثم تحولت مهمة السائق قليلاً قليلاً، من سائقٍ إلى وظيفة (ولي الأمر)، حتى إنَّه ليرى الزوجة في ملابسها المنزلية، ويشمُّ عطرها، ويضاحكها، والزوج رغم كل هذا لم ينتبه، ولا يدري بما يجري.

• ينقل زوجته في الصباح الى مقر وظيفتها، حيث المكان يزدحم بزملائها الموظفين!.

• دخل منزله ليجد المكان يعجُّ بأبناء عمومة زوجته، فقد استضافتهم للعشاء، دون إذنٍ منه، ودون خمارٍ، ولا غطاء، فابتسم لهم، وقدم لهم السلام، وبعد الترحيب والاعتذار بلباقةٍ، تركهم متجهاً صوب غرفة نومه، ليغطَّ في سباتٍ عميق.

كان للزوج تاريخٌ أسود في (العلاقات المحرَّمة)، ونال شهادة الماجستير في (معرفة النساء السيئات) من حركاتهنَّ، ولباسهنَّ، وحديثهنَّ، ولكنَّه بعد الزواج رأى زوجته تخرج للسوق بلباسٍ خليع، مضحكٍ، مؤلم، ومثيرٍ لنفوس الشباب، ومع ذلك لم ينتبه، فقد أصابته (سذاجة الطيبين)، و(فيروس الغفلة)، لقد كان لباس زوجته، هو تماماً لباس الفريسة التي كان يتلذذ باصطيادها قديماً في الأسواق.

• غضب لأنَّ زوجته لبست حجاباً ساتراً، فحياته كانت في

مجتمعاتٍ تهزأ بالعفَّة والستر، وتعيش سباقاً في التباهي باللباس العاري، وفي تفاخر الأزواج بجمال زوجاتهم حين اختلاطهم جميعاً، حتى لا يكونوا متخلفين، قرويين.

فأنزل قراراً صارماً شديد اللهجة، بأنّه لن يتنازل عن خلعها لحجابها، ولن يسير بجوار زوجته مادامت عفيفة اللباس، فليس لديه استعداد لسماع عبارات الغمز واللمز.

وبالرغم من أنَّ المثل الأسباني يقول: (الوردة التي يشمها الكثيرون تفقد رائحتها)، إلاَّ أنَّ الزوج لم يستعمل لباقته المعهودة؛ بل راح يمارس التظليل الإعلاميِّ باستخدام الألفاظ القبيحة، لوصف المعاني الجميلة؛ فصار يقول لها: (يذكرني حجابك بالكمامات التي توضع على أفواه الكلاب المفترسة)، (الكرامة تمنعني أن أسير معك وكأنك خيمةً)،(إذا رأيتك أشعر أني رجعت لزمان الخفافيش)، فأسأل الله أن يعين زوجته على ظلمه، وأنقذه الله تعالى من تلك الهوة السحيقة التي انحدر إليها بسخريته من عبادة (لبس الحجاب)؛ والتي قد تخرجه من سياج الإسلام.

• صلَّى بجواري، فرأيت صلاته أسوأ ما يكون، فتساءلت: إن كان لا يعرف كيف يصلي؛ كيف أدَّى الأمانة في تعليم زوجته، وأبنائه الصلاة، وهي ركن من أركان الإسلام؟!، أم أنَّه لم يعمل بقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة...) التحريم: ٦؟!، أو ربما أنّه قصر وظيفة الزوجة على زيادة التعداد السكاني.

• توجه الزوج صوب المطبخ، وأمسك مقبض باب الثلاجة، وسحبها بعنفٍ، ... أعتذر أخي القارئ فلن أكمل الحديث عن

الزوج؛ لأن المفاجأة والكارثة التي في الثلاجة أدهى وأعظم من الوصف الأدبي للقصة، فقد استقرت زجاجة الخمر الباردة بين الأطعمة، والمشروبات، وقد هدَّد زوجته، وأنذرها؛ أن يبطش بها لو اقتربت من هذه الزجاجة، أو نالتها بسوء.

فسلامة الزوجة مرهونة بسلامة الزجاجة، وشعارات الطلاق تتطاير في زوايا المنزل؛ من أجل أن تبقى الجريمة سليمة، قبَّح الله من لا رجولة له، ومن لا تربية عنده، ومن يجعل الحرام متوافراً لرعيته.

الزوج المجرم

بالإحسان ينبغي أن يفترق الزوجان، والطلاق في الإسلام يعقبه الخُلُق الحسن، والعطاء، والإنفاق السخيُّ، هذا في الإسلام، ولكن الزوج معنا في هذه الفقرة كان أهوج الطباع، ومندفعاً في غالب شأنه، والغريب أنه رغم اندفاعه لم يطلق زوجته، وأجزم أنه يفتقد الحكمة والرحمة، فما السر يا ترى؟!.

السر هو أنَّ بعض الأزواج يفوق الشياطين في ممارسة الضغوط على زوجاتهم قبل أن يطلقوهنَّ، يسوم زوجته سوء العذاب قبل الفسخ والخلع، فيبدأ مسيرة الابتزاز، واللهلهة، والتباطؤ، تمهيداً للسرقة المبطنة من طليقة المستقبل، فلم يكن طلاق هذا الزوج تسريحاً بإحسانٍ؛ بل تسريحاً بامتهان، كتسريح اللصوص الذين ينطبق عليهم قول النبي ﷺ: (العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه) متفق عليه.

بعض الأزواج يستخدم سلاحاً أشدُّ فتكاً، وهو سلاح الأولاد، فيحرم أمهم من رؤيتها لهم، وما يدري ذلك المجرم أنَّه يحرم

أولاده من الحضن الحنون، ويسومهم سوء العذاب، ويجرم في حقهم، قبل إجرامه في حقِّ أمهم المسكينة.

• القنوات العاهرة تملأ غرف المنزل، فلكلِّ ولدٍ وبنتٍ نصيبه الخاص في غرفته من هذه القنوات، وجميعهم رفعوا أسمى آيات الشكر والامتنان لوالدهم (ولي أمرهم)؛ حيث أشرف بنفسه على تركيبها، ما أسعد أولاده، وما أسعد الشياطين بمنزلهم، وما أقبح الخيانة الأبوية.

• الطفل يكاد يتقطع قلبه من شدة البكاء، فقد حان وقت رضاعته، والطفل الذي يكبره سناً، ينادي أمه من دورة المياه، لتصلح بقية شأنه، والطعام فوق النار يوشك أن يكتمل نضجه، وربَّة البيت تفاجأ بصوت زوجها العالي الذي يزاحم هذه الأشغال، يطلبها لتحضر له علبة المناديل فوق المكتبة التي بجواره، والويل لها إن تأخرت عن المجيء، فلماذا لم يفكر هذا الزوج في مساعدة زوجته بدلاً من صراخه الأناني، وهل يظنُّ أنَّه هو الوحيد المحتاج لزوجته في البيت؟!.

• الزوج في قلبه مرضٌ، ولسانه رطبٌ بذكر الفواحش التي يغرفها من مرض قلبه، فتراه دوما ينطلق محدثاً زوجته بحوادث الزنا، والجرائم الخلقية، وخيانة الزوجات لأزواجهنَّ، ثم زاد على ذلك أن ملأ جواله بمقاطع الدعارة، وأراها لزوجته ليثبت صحة كلامه، وأخيراً فسدت زوجته على يديه، ولم يخطر بباله يوماً من الدهر؛ أن يتوقف عن هذه السفالة، ويستبدل بها تعليم زوجته ما ينفعها في دينها ودنياها، أو تأديبها بالدين، أو أن يعلي من شأن الله تعالى في قلبها، أو على أقل تقديرٍ يحدثها بأمور العفاف في

نساء المجتمع، ونشاط الصالحات في تحفيظ القرآن الكريم حتى يستنهض همتها للخير، أو تعليمها كيف تربي أبناءها.

• روائح الاحتراق تتجاوز حدود المنزل، ولم تكن ألسنة النيران تشعل المكان وحسب؛ بل ألسنة النيران وشفاهها وأسنانها، وناقوس الخطر يدق، ويطق، ويكاد ينفلق، حتى انفلق قلب الزوج من هول المصيبة، فراح يهيم ذات اليمين وذات الشمال، لا يدري أين يجري، أيطفئ تيار الكهرباء؟، أو يحاول الاتصال بالإطفاء؟، أو يحاول بجهوده الفردية إطفاء الحريق؟.

والزوجة بذلت ما في وسعها من الصراخ والبكاء من هول الموقف، ودموعها تنهال على مرأى أولادها حين تكويهم النار، وتحرق أطراف ملابسهم، وتنال من أجسادهم، وبعد مشقة وعناءٍ، تمكنوا بحمد لله تعالى من التغلب على النيران، وانتهى الأمر.

وبعد أعوام عادت ذكرى الحريق شيئاً من أرشيف الذكريات المؤلمة، حيث لم يبق من الذكريات إلاَّ وسائل الوقاية التي صارت حاضرةً ومهمةً بعد الحريق السالف.

واشتعل البيت مرةً أخرى بحريقٍ آخر، ولكن هذه المرة لم تكن ألسنة اللهب هي بطلة القصة؛ بل كانت بطولة الحريق من نصيب الفواحش والآثام، وسيء الكلام، وسماعات الهواتف التي تعزف أوتار الغزل والخطيئة، والشاشات التي تنتهك قداسة الفضيلة، وأما الزوج هذه المرة، فلم يحرك ساكناً، وكأنه مقتنعٌ أنَّ نيران الحريق الماضية أعنف وأخطر من نار الهاوية، وما أدراك ما هيه؟ نارٌ حاميةٌ.

البحث عن الكمال

حياته لا تختلف عن بقيَّة الناس، وبإمكانه أن يعيش حياةً أكمل، وسيارته ليست أفخم السيارات؛ ، وكان بإمكانه أن يمتلك أفضل منها، لكنَّه أبداً لم يفعل، ومنزله متوسط الأثاث والبناء غير لافت للنظر، ولم يسع يوماً لتجديده، أو إكمال أناقته، ووظيفته كجميع الوظائف المعتادة، وإن كان يطمح للأفضل، إلاَّ أنه لم يبذل جهداً في ذلك، فقد مضى عليه سنوات دون أن ينضم إلى دورات تدريبيَّة، أو أن يزيد من مهاراته وقدراته؛ لكي يكون مؤهلاً للترقية، وعلاقاته ليست من أرقى العلاقات؛ بل أصحابه وزملاؤه تكونت شجرتهم من محيطه القريب الذي فرضته عليه الحياة الروتينيَّة، وهكذا تحددت شخصيته ونفسيته، فلماذا حينما رغب في الزواج وضع مواصفات زوجته التي يريدها مواصفاتٍ خياليَّةً مفرطةً في الطموح الجامح؟!، وكأنك حين تستمع لتفاصيل حديثه ووصفه لزوجة المستقبل، تتوهم أنَّ هذا الشاب يحب الكمال في كلِّ شيءٍ، وقد حصل عليه، فصار كاملاً مكملاً، ولم يبق إلاَّ الزوجة فقط، فأغمض عينيه، واسترسل في ذكر مواصفات عروسة المستقبل... عجبي.

قديماً قيل: (إذا كنت الزبير، فابحث عن أسماء) رضي الله عنهما.

فن الحصول على التعاسة

هل زوجتك سمينةٌ؟، إذا أردت أن تكون تعيساً، فتوهَّم أنَّ السعادة كلها في النحيفات.

هل زوجتك طويلةٌ؟، إذا أحببت أن تكون تعيساً فتصوَّر أنَّ السعادة كلها في القصيرات.

هل زوجتك بيضاء؟، حينما ترغب في التعاسة، أوهم نفسك أنَّ السعادة كلها في الحنطية أو السمراء، وهكذا لا تفكر فيما تملكه، ولن تشعر أنك في نعيم تحمد الله تعالى عليه، ولن ترضى بما قسمه لك، وعندها أبشرً فقد انضممت إلى سجل التعساء، وسيقف السباعي رحمه الله، ليقول لك: (السعادة في بيتك،فلا تبحث عنها في حديقة الغرباء)، وستقع عينك على قوله تعالى: ﴿ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ...﴾ طه (١٣١).

فلا تتعب قلبك بالتدقيق فيما لا يليق من رؤية النساء في الأسواق، والإعلام، والطرقات، ولا تسمح لنفسك بالتمادي في الخيال عندما ترى نساء من حولك، ودع التشهّي، فكم نظرةٍ جلبت حسرةً.

يتمنى المرء في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكرهُ
فهو لا يرضى بحالٍ واحدٍ قُتِل الإنسان ما أكفرهُ

الرجل المحيط يكشف الحقيقة

١- بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)

لا تتساوى في دين الله تعالى (حقوق الراعي على رعيته)، مع (حقوق الزوج على زوجته)، فحقوق الزوج أعظمُ، وأهمُّ، والنصوص المطالبة للزوجة بوجوب طاعتها للزوج والانقياد له، لم يعطها الشرع للحاكم، فحتى لو ساوى أولئك الناصحون بين حقوق الحاكم وحقوق الزوج؛ لكانوا ظالمين منتقصين لحقوق الزوج، فكيف بالحال التي نراها من اهتمام بحقوق الحاكم (ولي الأمر)، أكثر من الزوج (ولي الأمر)؟!.

نصيحة

ينصحنا العلماء والدعاة دوماً بطاعة (ولي الأمر)، ويربطون ذلك بعقيدة أهل السنة والجماعة؛ وأنَّ من عقيدتهم الصبر على الأمير والسلطان سواء كان عادلاً أو جائراً، ويخبروننا: بأنَّ طاعتهم هي من عبادة الله تعالى، ويفتون بتحريم التمرد على الحكام، أو محاولة انتزاع الحقوق منهم، حتى وإن أخذ الحاكم مال أحدهم، أو جلد ظهره؛ للحديث الذي ثبت في صحيح مسلم: (اسمع وأطع وإن جلد ظهرك وأخذ مالك).

سبب

فإن سألت أولئك الناصحين عن حماسهم لإيضاح هذا الأمر؛ أخبروك أنَّ طاعة ولي الأمر من الدين، وجاءت الأحاديث صريحةً وواضحةً في وجوب السمع والطاعة؛ حتى وإن كانوا ظَلَمة، أو ظهر منهم بعض الفسق، ففي طاعتهم متابعة للدين أولاً، وصلاح لأمور الدنيا، وشؤون الناس ثانياً، وبه يتحقق التلاحم بين الراعي والرعية.

نتيجة

تلافي المفاسد العظيمة التي قد تترتب على تمرُّد الناس، وخروجهم على (ولي الأمر)، من الإخلال بوحدة الصف، والإبعاد عن وحدة الكلمة، وفقدان الأمن والاستقرار.

إنَّ هذا التسلسل المنتظم المقنع عن (ولي الأمر) في المجتمع، يفقد تسلسله وانتظامه، عندما يأتي الحديث عن (ولي الأمر) في الأسرة؛ وهو الزوج، بالرغم من الفوارق الكبيرة بين (ولي الأمر) في المجتمع، و(ولي الأمر) في الأسرة، كالتالي:

١- يختلف طرح الناصحين في حديثهم عن الزوج (ولي الأمر) في الأسرة؛ حيث يلقنون الزوجة (الرعية) أنَّ لها حقوقاً، ويجب أن تطالب بها، وكثيراً ما يعودون باللوم على الزوج الظالم (ولي الأمـر)، ويطالبونه بالتوقف عن الظلم، والبطش، والتعذيب، والتنكيل، وغيره، دون أن يأمروا المرأة بالتصبر على أذى الزوج، ومداراته، واحتساب الأجر في ذلك.

فلماذا يقع التفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!.

مع أنَّ حقوق الزوج على زوجته في دين الله تعالى، أعظم وأوجب من حقوق الحاكم على رعيته.

٢- الزيادة في نصح الرعية بطاعة الحاكم (ولـي الأمـر)، لا تنسجم مع إنقاصهم لنصح الزوجة بطاعة الزوج (ولي الأمر)، وعدم ربط طاعتها لزوجها بالدين.

فما سبب بالتفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!.

٣- وجوب طاعة الزوجة لزوجها (ولي الأمر)، أعظم من وجوب طاعة الرعية للحاكم (ولـي الأمـر)، فعصيان الزوجة لزوجها، يوجب غضب الله تعالى، وغضب الملائكة، ودعاء الحور العين، وهذا لم يحصل عليه (الحاكم) حين نعصيه.

فلماذا نرى التفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

٤- لا يتشابه نصحهم بالصبر على الحاكم الظالم السيئ، مع نصحهم للزوجات بالصبر على الزوج الظالم السيئ، رغم أنَّ في

الصبر على سوء الزوج ثواباً أعظم من صبر الرعية على الأمير والسلطان الظالم.

فلماذا نجد التفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!.

٥- يطالبون الرعية بالصبر على الحاكم (ولي الأمر)؛ وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، ولا نسمع بمطالبة الزوجة بأن تصبر على الزوج (ولي الأمر)، وتحتسب إن أخذ راتبها، وجلد ظهرها.

فلماذا قاموا بالتفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!.

٦-ينصحون الناس بطاعة الحاكم (ولي الأمر)، حتى وإن كان عنده بعض الجور والفسق، دون مناصحته، وحين الحديث مع الزوجات المشتكيات من أزواجهن الذين عندهم بعض الجور والفسق، لا نجد الصيغة نفسها، فيقلبون حديثهم ونصحهم إلى (ولي الأمر)، ومناصحته العلنية أمام زوجته، ومطالبته بالتقيد بشرع الله تعالى، والرحمة برعيته.

فلماذا قاموا بالتفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!.

٧-يحق للناصحين أن يخافوا من تمرد الرعية على الحاكم؛ فيحاولوا أن يدرؤوا الفتنة، ويحق أن نطالبهم مقابل ذلك بالخوف على الأسرة، من كثرة الحديث عن حقوق المرأة، ودفعها للمطالبة العنيفة بتلك الحقوق، لأنَّ من حقنا أن نخاف على الأسرة من مثل هذه المطالبات، ومن حقنا أن نسأل: لماذا جاء التفريق بين (ولي الأمر) و (ولي الأمر)؟!.

وأجد القلم يسترسل لمناقشة بقية القضايا، التي يجري فيها الاختلاف بشأن حقوق الزوج، وأخشى أن تكون هذه الاختلافات داخلةٌ تحت مظلة (الخجل من أحكام الدين)، وأطرح الاستفهام

نفسه، حيث أجد أنَّ الميسم يستقيم عنده في شأن الحاكم (ولي الأمر)، ولا أجده يستقيم في شأن الزوج (ولي الأمر)، فعلى سبيل المثال:

١-ضرب الزوجة العاصية والنداءات التي خرجت لنا مؤخراً تحاول التفلت منه، وعدم نسبته إلى الدين، وكأنَّ قضية (ضرب الزوجة) ورطةٌ في ديننا نحتاج فيها إلى فرقة إنقاذٍ، حتى حدا الأمر بأحدهم أن يقول: إن المقصود بالضرب في الآيةٍ هو (ضرب المثل)، لا بمعناه الوارد في الأذهان، وتارةً يقول قائلٌ: المقصود هو الضرب بالسواك، وينسب هذا الرأي (خطأً) إلى حديث عن النبي ﷺ، في حين أنَّه لم يرد عن النبي ﷺ أن الضرب يكون بالسواك، وإنما هو من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

قد يضرب الحاكم امرأةً من الرعية ويجلد ظهرها، ويجب عليها آنذاك السمع والطاعة، والصبر على ظلمه لها، ومن واجب العلماء أن يأمروها بالصبر والاحتساب، حتى وإن كانت مظلومةً؛ لأنها داخلةٌ تحت عموم الحديث، فهي أحد أفراد الرعية، والحاكم ظالمٌ لها وقتذاك، ولكن حين يضربها زوجها على نشوزها وظلمها، فإنه لا يجد من كثيرٍ من الفتاوى إلاَّ المهاجمة حيناً، أو قرع الرؤوس بالنصائح المعلبةً بالأخلاق الحسنة حيناً، أو إشعار الزوجة بأنها ضحيةٌ، وأنَّ زوجها هو الباطش الظالم، دون أمر الزوجة بالصبر، والسمع، والطاعة، كتلك التي تمنحها الفتاوى للحاكم الباطش الظالم.

٢-خدمة الزوجة لزوجها؛ حيث إنَّ الخلاف في قضية وجوب خدمة الزوجة لزوجها، بدأ يطفح مؤخراً على السطح، وقد كان

قديماً يقبع في كتب الفقه، دون أن يكون له رصيد من واقع الناس، وصار أصحابه المعاصرون يفتون بأن هذه الخدمة مستحبةٌ، وليست بواجبةٍ، ثم يأخذ الشطط مداه، دون أن يراعوا العواقب الوخيمة التي ستقع على البيوت من هذه الفتاوى، حيث يقال هذا الكلام أمام ملايين الزوجات، ويثير القلاقل في الأسر، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣٢/٦٠): (في قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ النساء: ٣٤، يقتضي وجوب طاعتها لزوجها مطلقاً؛ من خدمة، وسفرٍ معه، وتمكينٍ له، وغير ذلك، كما دلت على ذلك سنة رسول الله ﷺ).

وقالٍ أيضا كما في مجموع الفتاوى (٣٢/٢٧٥): (وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله ﷺ أوجب من حق الزوج).

ومن يحتجّ بأنَّ هنالك خلافاً فقهياً في قضية الخدمة، لا نجده يلتفت للخلاف القائم في وجوب طاعة (ولي الأمر) الحاكم، ودون ذكر للفتاوى التي لا توجب طاعة ولي الأمر، فيتم الأخذ بالعزيمة دون الرخصة خشية الفتنة المترتبة على استغلال هذا الرأي، ولكن لا نجد التسابق في إيجاب طاعة الزوجة لزوجها، ولا نجد الحرص على عدم إظهار الرأي القائل بالاستحباب خشية الفتنة المترتبة على استغلال هذا الرأي.

٣-من المصلحة العامة تحريم الاتصال بالمعارضين السياسيين لولي الأمر، لوضوح المفسدة في ذلك، وعليه يفتي العلماء، والدعاة، والناصحون، ولكننا لا نجد الحماس ذاته لتحريم اتصال الزوجة بمن لا يرضاه الزوج؛ بل نجد بعض الفتاوى تقف ضدّ الزوج، وتناصحه بأنه لا يحقُّ له منع زوجته من أهلها مثلاً، حتى

لو رأى الزوج واجتهد أنَّ مصلحة أسرته في إبعاد الزوجة عن أقاربها؛ حيث تكون أمُّ الزوجة أو أخواتها يفسدن أخلاق زوجته، ويحرضنها عليه، (وقد سئل شيخ الإسلام في الفتاوى ٣٢-٢٦١: عن امرأة تزوجت وخرجت عن حكم والديها، فأيهما أفضل؛ برها لوالديها، أو مطاوعة زوجها؟.

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، المرأة إذا تزوجت كان زوجها أملك بها من أبويها، وطاعة زوجها عليها أوجب، قال الله تعالى: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله...) وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة؛ إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك) ... إلى أن قال: (فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلاَّ بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة، وإذا أراد الرجل أن ينتقل إلى مكانٍ آخر مع قيامه بما يجب عليه، وحفظ حدود الله فيها، ونهاها أبوها عن طاعته في ذلك، فعليها أن تطيع زوجها دون أبويها، فإن الأبوين هما ظالمان، ليس لهما أن ينهياها عن طاعة مثل هذا الزوج، وليس لها أن تطيع أمها فيما تأمرها به من الاختلاع منه، أو مضاجرته حتى يطلقها مثل أن تطالبه من النفقة والكسوة والصداق بما تطلبه ليطلقها، فلا يحل لها أن تطيع واحداً من أبويها في طلاقه إذا كان متقياً لله فيها، ففي السنن الأربعة وصحيح بن أبي حاتم عن ثوبان قال: قال رسول ﷺ: (أيما امرأةٍ سألت زوجها الطلاق من غير بأسٍ فحرامٌ عليها رائحة الجنة)، وفي حديثٍ آخر: (المختلعات والمنتزعات هن المنافقات).

٤- وكذلك للحاكم (ولي الأمر) تقدير المسؤوليات، وتدبير الأصلح للرعية، فهل يقبلون هذا للزوج (ولي الأمر) عندما يقدر أن الأصلح لزوجته منعها من الخروج من المنزل للعمل مثلاً؟!.

٥- وكذلك للحاكم (ولي الأمر) أن ينظم الإيرادات والمصروفات للرعية باجتهاده، فهل يقبلون هذا من الزوج (ولي الأمر) في حق زوجته (رعيته)، لو حرمها من بعض الترف والكماليات باجتهاده؟!.

٦- وكذلك (لولي الأمر) حق إصدار التشريعات، والتنظيمات، والقرارات، فتكون طاعته في هذه القرارات واجبةٌ، وعصيانه محرمٌ، ولو لم يكن عليها دليلٌ؛ لأنها من طاعة (ولي الأمر)، فهل هذا الحق مقبول لديهم في حق الزوج (ولي الأمر) لصالح أسرته؟!، إن منع أمراً، أو أوجب آخر لا يعجب الزوجة؟!.

٧- وكما أنَّ من الحماقة أن نعترض على الحكام (ولاة الأمور) لأنهم ملوكٌ، ونحن محكومون، ولا نرضى بذلك، وأن نطالب بالمساواة معهم، وننسى بأنَّ الله تعالى قسم المناصب، فكذلك من الحماقة أن نجد من الزوجات من تعارض وترفض وتنازع الزوج في حقوقه ولا ترضى بما قسمه الله تعالى بحكمته وعدله، وتمام شرعه، وتصدُّ عن حكم الله صدوداً، فكما أنَّه ليس للزوج أن يغضب لأنَّ زوجته لها ثلاثة أضعاف حقه على أولادهما، في حين أنَّه لا يستحقُّ إلاَّ الربع، رغم أنَّه يشتري لهم المنزل، وينفق عليهم طوال عمره، ويكدح سنوات حياته لأجلهم، إلا أنَّه في النهاية حقَّ الأمِّ عليهم جاء بقسمةٍ ربانية، فلا اعتراض، ولا جدالٍ، فكذلك أيضاً من حقِّ الزوج كذلك أن لا تنازعه الزوجة حقه في القوامة،

والطاعة، والانقياد، فهي قسمةٌ ربانيةٌ كذلك.

(والمتأمل للأحاديث التي تخاطب الزوجة، لا يجدها تتحدث بحقوقها تجاه زوجها؛ بل يجدها تخاطبها وتطالبها بتطويعها له، والملاينة، والخضوع، وتبيان حقوق الزوج، أما في حال مخاطبة الزوج، فإن الخطاب العام له، يطالبه بالرفق بها، وحسن تعامله معها، وجعل الخير في الترفع عن محاسبتها).

ألا إن النساء خلقن شتى فمنهنَّ الغنيمة والغرامُ
ومنهنَّ الهلال إذا تجلَّى لصاحبه ومنهنَّ الظلامُ
فمن يظفر بصالحهن يسعد ومن يُغبن فليس له انتظامُ

٢- عدِّد ولا تهدِّد

في البداية لا بدَّ من الاعتراف بأنَّ الأزواج المعددين للزوجات، هم من شجعان الرجال الذين يملكون القوة والصراحة في التعبير عن حقوقهم، واحتياجهم، ووضع رغباتهم في ما يحبه الله تعالى، وكم أزواج جبناء يرتعون في الفواحش، والعلاقات، والغزل، واتخاذ الخليلات، وحينما نطالبه بالشجاعة، واستبدال الحليلات بالخليلات، وجدته يحسن الفرار، والعيش في مستنقعات الرذيلة، والخوف من المواجهة، واستثقال العيش تحت ظلال الحلال.

شرع الإسلام للرجال تعدد الزوجات، وجعله (سنة) من السنن التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، ومن يخجل من دينه، فقد اكتسب من النفاق شعبة، حيث صرنا نسمع التنازلات، والمجاملات، والخجل من القول بأن تعدد الزوجات سنة من سنن الإسلام؛ بل إنَّ بعض العلماء كانوا يقولون باستحباب تعدد الزوجات، ثم صاروا يفتون (مؤخراً) بأن التعدد مباحٌ وحسب، وليس سنةً، ثم

تطوَّر الأمر للأسوأ، فصرنا نسمع من أولئك النفر؛ أنَّ التعدَّد ليس مباحاً على الإطلاق؛ بل لابدَّ أن يأنس الراغب من نفسه (القدرة على العدل)، مع العلم أن هذا الأمر لا يستطيع اكتشافه الرجل حتى يخوض غمار التعدد!!، فليس هناك علامةٌ فارقةٌ لذلك العادل أو المائل؛ كي يتسنى لك يا عاذل اللوم أوالتقريع!، ثم يطالبون الزوج كذلك أن يأنس من نفسه (القدرة على الإنفاق)، مع أنَّ المطالع لسيرة الصحابة رضي الله عنهم، يجدهم فعلوا سنة التعدد وهم فقراء، إيماناً بأنَّ الزواج بابٌ من أبواب الرزق، لقوله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ...) النور٣٢، وينقل القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية قول ابن مسعود رضي الله عنه: التمسوا الغنى في النكاح، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح، وقد قال الله تعالى: (...إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله...).

ولنفترض أن رجلاً آنس من نفسه القدرة على الإنفاق، وتزوج بأخرى، ثم خسرت تجارته، وكسد ماله، فهل يطلق زوجته لأنه ليس قادراً على الإنفاق تلك اللحظة؟!، وأين الإيمان بأنَّ الأرزاق من الرزاق تعالى؟!، وهل نقول بناءً عليه: يجب على المسلم أن لا ينجب أولاداً إذا كان فقيراً، لأنَّه لا يستطيع الإنفاق عليهم؟!، وما يدرينا فربما نفتح باباً من أبواب الشيطان، فنقول: لا تنجبوا أولاداً، فقد تموتون، ولا يجد الأولاد بعدكم من يعولهم، ويجلب قوتهم.

ومتى كان الحادي للعقل هو المزاج والهوى، فانتظر المهاوي والطوام، والبلاء المستطير.

وهل كان قول النبي ﷺ: (إذا أتاكم من ترضون دينه، وخلقه، فزوجوه...) رواه الترمذي وابن ماجة . وحسنه الألباني / إرواء الغليل ١٨٦٨ عامٌّ لكل طالب للزواج؟، أم أنه خاصٌّ بالشاب الأعزب الذي لم يعدد؟، فهل يجوز شرعاً أن نرد طالب التعدد لأننا لا نرضى وضعه المالي؟، وهل يسعنا أن نخالف أمر المصطفى ﷺ في التعدد، ونرد الخاطب لأجل المال؟!

وهذه سيرة الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً تدلُّ على تعدد زوجاتهم، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه تزوج بأربع، (فقد تزوج قتيلة، و أم رومان، وحبيبة بنت خارجة بن زيد . و أسماء بنت عميس) كتاب صفة الصفوة ١ / ١٠١) مكتبة ابن تيمية.

(ومجموع زوجات عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللاتي تزوجهن في الجاهلية و الإسلام ممن طلقهن، أو مات عنهن سبع) (البداية و النهاية ٧ / ١٤٣) دار الكتب العلمية.

(وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنده أربع : نائلة، و رملة، و أم البنين، و فاختة).

(البداية و النهاية ٧ / ٢٢٩)

(وقد مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أربع نسوةٍ، و تسع عشرة سرية).

(البداية و النهاية ٧ / ٣٤٤).

(وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه زوجاته: حمنة بنت جحش، خولة بنت القعقاع، و أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، و أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، و سعدى بنت عوم، والفريعة). (صفة الصفوة ١/ ١٤١)

(وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه زوجاته: أسماء بنت أبي بكر

الصديق، و أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص، و الرباب بنت أنيف بن عبيد، و زينب، و أم كلثوم بنت عقبة بن أبي سُعيط، و الحلال بنت قيس). (صفة الصفوة ١/١٤٣)

(وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه زوجاته: أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة، و بنت شيبة بن ربيعة، و أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، و سهلة بنت عاصم بن عدي، و بحرية بنت هاني، و سهلة بنت سهيل بن عمرو، و أم حكيم بنت قارظ، و بنت أبي الخشخاش، وتماضر بنت الأصبغ، و أسماء بنت سلامة، و مجد بنت يزيد، و زينب بنت الصباح، و بادية بنت غيلان). (صفة الصفوة ١ / ١٤٦)

(وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه زوجاته: بنت شهاب بن عبدالله، ومعاوية بنت قيس بن معدي كرب، و أم عامر بنت عمرو، و زبيدة، و سلمى، وخولة بنت عمرو، وأم هلال بنت ربيع بن مري، وأم حكيم بنت قارظ، و سلمى بنت حفصة، و ظبية بنت عامر، وأم حجير). (صفة الصفوة ١ / ١٤٩)

• لقد زهد الصحابة رضي الله عنهم في شهوات الدنيا الفانية مع تقربها منهم، لكنهم علموا أنها إلى زوالٍ، ولن يبقى إلا العمل الصالح، فنجح الصحابة الكرام في أن يجعلوا الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، فلو كانوا يرون أنَّ التعدد مباح من المباحات، لزهدوا فيه، وجانبوه كما زهدوا في كل أمرٍ دنيويٍّ.

• لم تنزل أحكام الإسلام لمجاملة أحدٍ مطلقاً، ولا ينبغي أن يكون لعواطف النساء أثرٌ على الفتوى؛ بل إنَّ ديننا اسمه (الإسلام)، ومعنى الإسلام: الاستسلام والانقياد لأحكامه، حتى لو لم توافق الأحكام هوانا، فالمرأة المسلمة لا بدَّ أن تستسلم، وتنقاد لأحكام

الإسلام، لا أن نعكس الأمر، فنغير إسلامنا، ونجعل أحكامه مستسلمةً منقادةً لأمزجة النساء.

وحتى لو استجبنا لأهواء النساء، فإنَّ أمواج الحيرة سترضخ برؤوسنا على صخور الشاطئ، فالتعارض عنيفٌ جداً في آراء النساء تجاه التعدد، فهنالك أصنافٌ من النساء تنادي بالتعدد، منهنَّ العاقر التي تخشى أن يطلقها زوجها، وتلك أخرى لا تمانع من التعدد بدلاً من وقوع زوجها في الحرام، وثالثة تطالب بالتعدد لأنَّها تقترب من سن العنوسة، وتلك أرملة طالت بها الليالي فصارت تشجع التعدد، وتقف معه باقتناع، ومطلقة ترغب في تحصين نفسها من الوقوع في الخطيئة، فطالبت بالتعدد، وكلهنَّ نساءٌ لهنَّ حقُّ إبداء الرأي، وأن يأخذن حقهنَّ من الاعتبار.

-ليس هنالك عيبٌ في الزوجة الأولى حين يتزوج زوجها بأخرى؛ بل ربما تكون خيراً من الزوجة الثانية، أو الثالثة، وإنما التعددُّ فطرة الرجل، وخلقته التي خلقه الله تعالى عليها.

• تعدُّد الزوجات من مصلحة النساء، أكثر من مصلحة الرجال، فهو هامشيٌّ للزوج، وأساسٌ للزوجة؛ فالخير للمرأة أن تعيش بنصف زوج، أو ثلث زوج، من أن تكون حياتها خاليةً من الذريَّة، والأسرة، وبدون زوج أصلًا، بصياغة أخرى: لو افترضنا أننا نعيش في مجتمع يحرِّم على الرجال تعدُّد الزوجات، وأعداد النساء دوماً تفوق أعداد الرجال؛ فلو افترضنا أنَّ ذلك المجتمع يزيد فيه عدد النساء على الرجال بنسبة ٢٥٪، فإنَّ رجال المجتمع المتزوجين سيعيشون بزوجةٍ واحدة، وسيأخذون نهمهم الفطريِّ، وحظهم من الذرية، وستكون مطالبهم الضرورية من الزواج متوفرةً،

ومتحققةً، والسؤال هناك: هل ستقتنع النساء في مجتمعهم بتعدُّد الزوجات؟، وهل المصلحة من وراء تعدد الزوجات ستتحقق لهنَّ أكثر، أم للرجال؟!.

من الخطأ أن ينكر عاقلٌ حال أزواجٍ يسيئون للتعدُّد، ويمارسونه بصورةٍ خاطئة، وفي الوقت ذاته مِن الظلم أيضاً أن ننكر أنَّ التعدُّدَ بصورته الفاسدة، أكثر أرباحاً للنساء، وأهنأ لبالهنَّ من عيشهنَّ بدون زواج.

ومن يمنع التعددَ، وينذر نفسه للوقوف ضده، فمثله مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات من العطش، لأنَّ قوماً شرقوا به فماتوا، أو من طالب بإلغاء مهنة الطب، لأنَّ طبيباً أفحش في العبث بالمرضى، أو من هاجم العلم وأهله، لأنَّه رأى عالماً باع دينه وأمانته للشيطان، أو من امتنع عن الإنجاب، لأنه رأى ولداً يعقُّ أباه، ومثل هذا يقال في ظلم الزوج المعدد لزوجاته قد يكون وارداً، وهو مع وجود الألم أرحم من القضاء على حياتها بدون زوج، لكن الأكيد والمتحقق من وراء التعدد هو وجود إحصانٍ لزوجةٍ أخرى، وإنجاب ذريةٍ أخرى، قد يخرج الله تعالى منها عبداً صالحاً فاعلاً و مؤثراً.

تعدُّد الزوجات ليس مشكلةً في حدِّ ذاته، فكم من زوجةٍ لم يعدِّد زوجها، وهي فاشلةٌ، وكم من زوجةٍ ناجحةٍ، وزوجها معدِّدٌ، فالمشكلة العميقة أن لا يعدد الزوج، وفي الوقت ذاته، يكون كارهاً لزوجته، لأنَّ الزوجة فاشلةٌ، ولم تنتبه لفشلها، ومع ذلك تتوهم أنَّها في غاية النجاح؛ لسببٍ مغلوط، هو أنَّ زوجها لم يتزوج من أخرى، فمقياسها على نجاحها؛ أنَّ زوجها لم يفكر في التعدُّد،

فهنيئاً لها ذلك الفشل الذريع.

• تمتنع بعض الفتيات عن الزواج برجلٍ معددٍ، ولا تخشى من فوات عمرها بدون زوج؛ لأنَّ إحدى صاحباتها، وهي كبيرةٌ في السنِّ، عاشت منتظرة فترةً طويلةً، ثم ظفرت بشابٍ أعزب، فتزوجته، فتبدأ بمقارنة نفسها بتلك الصاحبة، وبعزف قيثارة الأمل بانتظار زوجٍ مثل زوج صاحبتها، وليتها نظرت إلى كثيراتٍ كبيراتٍ لم يتزوجنَ.

• تهاجم بعض النساء التعدد، وتتهم المعددين بالحال الفاسدة، وأنهم أنانيون، لا يفهمون معنى التضحية، ولا يرعون مشاعر الزوجة المحبة وشريكة الحياة، ويمتدحن النساء أنهنَّ رمز التضحية والحب.

ولا أدري ما قولهنَّ في زوجات يطالبن أزواجهنَّ بالطلاق؛ لأنَّ الزوج عقيمٌ لا ينجب، فتطلب الواحدة منهنَّ الطلاق، وتلقي بالحب في غيابة الجب، وفعلاً يتم الطلاق، وتتزوج من غيره، من أجل رغبتها الفطرية في رؤيتها للذرية.

وتنسى رغبة زوجها الفطرية في تعدد الزوجات، فهل هنالك فارقٌ بين مراعاة الرغبة الفطرية لديها ولديه؟!:

أحرامٌ على بلابله الدوحُ حلالٌ للطير من كلِّ جنس

• تنادي بعض الزوجات بأنّ رفضها للتعدُّد جبلةٌ، وفطرةٌ في المرأة، وتستدلُّ بحوادث الغيرة التي حصلت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ، فهي تستدلُّ بغيرتهنَّ، وما استدلت برضاهن بالتعدُّد، فهي تحتال بإيهام نفسها، وإيهام من حولها؛ بأنَّ موقفها له نصيبٌ من الدين، وما علمت أنَّ موقفها يشابه موقف المنافقين،

حين يطلبون التحاكم إلى الشرع إذا كان الحقُّ معهم، ويرفضونه إذا لم يعجبهم، يقول الله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم معرضون● وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ●أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾النور: ٤٨-٥٠.

بل إنَّ الله تعالى ينفي الإيمان عن الذين يفعلون ذلك بقوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ النساء:٦٥.

وإن كان انطلاق هؤلاء الزوجات من دافع الدين، فما العمل إذا كان النبي ﷺ يقول كما عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه إلاَّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريضٌ) حسنه الألباني.

المعاناة من العنوسة تكبر في مجتمعنا من بناتٍ لنا، وأخواتٍ لنا، فعلينا أن نعيد التفكير في مثال أصحاب السَّفينة، لأنّ الَخطر يهددنا جميعاً، فبقاء هذا المجتمع هو بقاءٌ لنا، وانهياره سيهلكنا معاً.

• بعض الرجال يعارض التعدُّد، وما سبب معارضته؛ إلا الجبن الرجوليُّ وهو الغالب، أو العجز الجنسيُّ، أو القناعة الخاطئة لديه، أو لعجزه الماديِّ، أو لتوافر البديل الحرام الرخيص في تكاليفه.

• حين نفترض جدلاً أنَّ (تعدُّد الزوجات جريمةٌ لا تُغتفر)، فإنَّ أكبر مجرمٍ في قضية التعدُّد هو المرأة، حيث إنَّ قبولها بالتعدد،

وبالزواج من رجلٍ متزوج، هو الذي ساهم في انتشار التعدُّد.

فإن رغبت النساء فيً اللوم، والعتب، ومهاجمة التعدُّد، فليكن لومهنَّ، واستياؤهن، وعتبهنَّ موجهاً للنساء، فلولا موافقتهنَّ على التعدُّد؛ لعجز الرجال عن الحصول عليه، واختفت ظاهرة التعدد تماماً، فيا معشر النساء توقفن عن التعدُّد، ليتحقق لكنَّ الراحة منه.

وتكون النساء سبباً في التعدد، والمساهمة في انتشاره، وعندما لا يتوقفن عن إيذاء للزوج، أو عند الامتناع عن فراشه، أو الإهمال لشؤونه؛ أو الامتناع عن الإنجاب، أو الانشغال بالوظيفة عن إعطاء الزوج حقوقه كاملةً، فيصل الزوج إلى القناعة بالتعدُّد، والرجال يعانون من الفتيات اللواتي يظهرن محاسنهنَّ بهدف (العرض التسويقي) لدى زبائنهنَّ من الرجال، (فلعل) و(عسى) و(يا ليت) أن رجلاً يرى (جمالهنَّ)، فيقع في غرامهنَّ، وحبال هواهنَّ، فيتبع إحداهنَّ، ويخطبها زوجة له، وهذا محالٌ، وخيالٌ، وضعف تصور وخبرة، وضربٌ من السخف، ولم يجعل الله تعالى الحرام سبيلاً للسعادة.

أطالب النساء عموماً بالتوقف عن الألبسة المغرية المثيرة جنسياً، حيث يراها الرجال في الطرقات، والقنوات، والوظائف، فهذا من أشدِّ أسباب التعدد، وهي صادرةٌ منكنَّ معشر النساء.

وبمعادلة حسابية يكون الشأن أوضح، فهذا الزوج المعدد يمنح زوجاته الأربع مكسباً في الدنيا وفي الآخرة؛ ففي الدنيا يطعم أرواحهنَّ حلاوة الذرية والنسل، ويضرب مثلاً في البذل، فيخلط الليل بالنهار؛ لينفق عليهنَّ، ويسكنهنَّ، ويمنحهن الاستقرار

النفسي، ويمنحهنَّ العفاف في زمان العهر والخلاعة، وفي ختام الحياة تنال الزوجات الأربع الدخول للجنة برضاه عنهنَّ.

أخذت على نفسها ميثاقاً خفيَّاً أن تدعو على كلِّ رجلٍ قام بالتعدُّد، فهي تقولها بصوتٍ مرتفع أمام النساء: (الله لا يوفقه ولا يرزقه، لو كنت مكان زوجته لرميت أولاده في بيته حتى يعرف جريمته في حقي)، ومن المصادفات أن تسمع بحوارٍ حول تعدد الزوجات، أو أنَّ فلاناً خطب امرأةً أخرى، فتدع ما في يدها؛ لتتبرع بالحوار العنيد المتصلب، فلا تدع للمحاور مجالاً ليقول رأيه؛ بل الأدهى أنَّها تتصل هاتفياً بزوجة الرجل؛ لتحرِّضها على زوجها، وتتبرع بكيل النصائح والإرشادات المجانية لهذه الزوجة، فينتج عن نصائحها الشر والمشكلات.

في صبيحة يوم باردٍ يغمره الروتين، قامت لتقطع ورقة التقويم الهجري لتتأمل ذلك الانجذاب الغامض صوب هذه الورقة، فيزول الغموض لتشعر بأنَّها في هذا اليوم تنهي ٣٠ من عمرها، وتدخل في العقد الرابع، صفعة متوحشة لم تشعر بها قبل اليوم، هل أنا (عا... نس) فعلاً؟! وبدأت منذ ذلك الموقف مراجعة الحسابات، وحياة الحيرة فكلُّ شيءٍ عندي محتملٌ، فهل عاقبني ربي بهذا التأخير لاعتراضي على دينه وشرعه؟!..ربما، أم أنني لست جميلة؟! ..لا بالطبع لا، فأنا أجمل من صواحبي اللواتي تزوجن...، أم أنَّني ..؟! أم أنني ..؟! مللت ولكنِّي لا أستطيع التوقف عن التفكير، ولدي رغبةٌ عنيفةٌ أن أصرخ (أريد أن أتزوج)، أريد كينونةً ومنزلاً و...(كلمة ماما)، لكن ماذا سيقول الناس عني؟!، ليس بيدي إلاَّ الانتظار، وإخفاء الألم و(إحباط الحسرة):

قد تضحك العين بقلبٍ يبكي و(الأخذ) قد يجري بمعنى (الترك

دخل أخي يوماً، وقال لي: خطبك اليوم رجلٌ فرددته، قلت ل وقلبي تتغرس فيه أشواك الألم: ما السبب؟!، فقال بابتسام بريئة: معه زوجتان، وأرادك الثالثة، فتحاملت على نفسي وتظاهرت بالضحك، ودموعي تسيل في شراييني، وكدت أن أستغل الفرصة، وأقول له: لم أعد كما كنت، فعمري غيَّر كل قناعاتي، فأنا أريد زوجاً، حتى لو كانت لديه أسرةٌ وأولادٌ، ولكن منعني (الخجل الكسيح)، ولسان حالي يقول: الأعور خيرٌ من الأعمى.

قبل أن أختم أجزم وأقسم أن النبي ﷺ لو طلَّق نساءه جميعاً لتزوج بعدهنَّ وعدَّد الزوجات، لقوله تعالى: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنَّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم ٥.

فالذين يرون إباحة التعدد، يفسرون تعدد زواج النبي ﷺ بأن وراءه أغراضاً سياسية، واجتماعية، ومصالح، وما إلى ذلك، ولكن الآية تبين أنه لو طلق جميع زوجاته، لأبدله الله تعالى زوجاتٍ وليس زوجةً واحدةً وحسب، فأين المصالح والأغراض، أم سينشئ الله تعالى أغراضاً سياسيةً، واجتماعيةً لكي يعدد؟!.

• كان هنالك رجلٌ يحمل أفكاراً ضد المرأة، ويطرح آراءً لاسعةً للنساء، وكان أعزب يتكبر عن الزواج بأي واحدةٍ منهنَّ، ولكنَّ الأيام قلبت قناعاته، وقامت بتغيير مفاهيمه، واهتدى للحق، وصار من أنصار النساء، ومن فرط محبته لهنَّ، تزوج أربعاً منهنَّ، فمن يحب الصدقات، وتكوين العلاقات، يثري من الأصدقاء، ومن يأنس

بالأولاد، ويحب شمَّهم وضمَّهم، يحرص على زيادة الإنجاب، ومن يغرم بالخيول، يربي الكثير من الخيول، ومن يحب القصص يقتني المجموعات من القصص، ومن يهوى السفر والسياحة، لا يبقى ساكناً في بلده، وكذلك من يحب النساء، يتزوج منهن ويكثر، وأكثر البشر محبة للنساء هم الأزواج الذين يعددون، ولا أدري لماذا تكره النساء إنساناً يحبهنَّ، ويناصرهنَّ؟!؛ بل أغرب من ذلك أن تعادي النساء الزوج المعدد أكثر من عداوتهنَّ للأعزب الذي ترك الزواج منهنَّ هجراً وهروباً؟!.

• طرقت باب الفساد والعلاقات مع رجالٍ لعلَّ هذا هو الحلّ لمجيء زوج المستقبل، فأيام الانتظار قد امتلأت ساعاتها بالموت، والأب الجاهل يقابل الخاطبين، ويتفاوض معهم ويقرر باسم بناته إما (الرفض)، أو (الرفض)، العذر مقبولٌ منه في الرجل السيئ، ولكن ما العذر في الرجل الصالح إذا رفضه؟!، وذلك الزوج المناسب، ولكنه ليس من القبيلة لماذا رفضه؟!، وابن القبيلة المتعلم براتب قليل لماذا رفضه؟!، ولماذا (حبسها) على ابن عمِّها؟!، ولماذا لا يشعر بأَنَّ بناته صامتاتٌ منعهن الحياء؟!، ولماذا يتزوج ويعدد حين تعبث به أصابع الجنس، وينسى أن ما يغتلي في داخله، أيضاً يغتلي فيهن؟!، وأنَّه ظالمٌ لبناته، وأنه راعٍ استرعاه الله رعية فظلمها، والويل للظالمين:

ليخش عبدٌ دعوة المظلـوم   وحكمـةَ الحـيِّ بها القيـومِ
ويحك يا مغتصب المسكينِ   ويحك من ديان يوم الدينِ

الإيمان بالقضاء والقدر، كالماء البارد يسكب على يقين الفتاة العانس، فإيمانها أنها (الآن) قضى عليها الرحمن بأن تكون بلا

زوج، يبتليها: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا...) طه ١٣١.

لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه

حين تتصل الزوجات على العلماء والمفتين، يقابلون مشكلتها بتعاطف، فينطلق بعضهم بمجازفة جريئة، ليقفوا في صف هذه الزوجة، ويحاكموا زوجها الذي لم يحضر تلك المحاكمة، فلا يقيدون الحادثة ضد مجهول؛ بل ضد معروف، ولكنه غائبٌ، لا يدري بما يجري، فتحاكمه زوجته بثقة، وبرفع صوتٍ، وجموح؛ لأنها استمدت حقها من كلام الشيخ الفلاني، ولنفترض أنَّها صادقةٌ، فهل يجوز شرعاً أن يحكم القاضي لأحد الخصمين دون حضور خصمه؟!، فكيف إذا كان الخصمان ليسا متساويين في المكانة.؟!

بعض المجلات الإسلامية، ربما تمارس الخطيئة نفسها؛ لتنشر في صفحاتها وصايا وحلولاً للزوجة، كأن تقوم تلك المجلات بتحميل الزوج المشكلة كاملةً، أو الجزء الأكبر من المشكلات، وبالمقابل تقوم بتدليل الزوجة عبر صفحاتها، وأجوبتها على الأسئلة الواردة إليها، وتوحي أغلب حلولها أنَّ الزوجة دوماً مظلومة، فتظن الزوجات أنَّ هذه الحلول شرعية، مادامت من مجلة (إسلامية) ومحلُّ ثقة وارتياح، وأنَّ كلَّ ما تقوله المجلة صوابٌ لا يحتمل الخطأ، وأنَّ الزوجةَ اكتشفت مؤخراً أنّها كانت تعيش مخدوعة، وهي لا تدري، وأنَّها مظلومة ولم تنتبه، فتبدأ بإظهار سلوكيات الاستياء، والامتعاض، ونقصان الرضا، فتعكر مزاج الزوج، وصفاء الأسرة، دون أن تعي شرور تصرفاتها.

لا أدري كيف تبعث الزوجة مشكلتها لمجلة، أو لبرنامج إعلاميٍّ، أو لجهة إفتاء، فتسترسل بكلام ينزف بالحسرات، وتصف نفسها بأنَّها مسكينةٌ مضطهدةٌ، ولا تنسى أن تقول عن نفسها: مع أني جميلةٌ، وربما كان البرنامج مباشراً مسموعاً على الهواء، فيتحوَّل البرنامج مع بكائها إلى مراسم عزاء، ولحظات حداد، وطقوس تسهم في إنجاح البرنامج؛ ومن الذكاء الإعلامي؛ أن يتيح صاحب البرنامج مجالاً أطول لبكائها ونشيجها؛ ليكون برنامجه مثيراً خارجاً عن المألوف، فيتضاعف عدد المشاهدين، ويزداد البرنامج شهرة وانتشاراً، ولكنه يهدم المنازل، ويفسد الأسر، وتقع المصيبة حينما يخطئ المستضاف، فيفتي متضامناً معها، أو يطرح حلولاً للسائلة المتباكية المجروحة، وهو لم يستمع للطرف الآخر؛ وهو الزوج.

لا أدري كيف غاب عن هؤلاء، أو تناسوا أنَّ النساء اللواتي تدافعون عنهن ضد أزواجهنَّ، وتناصرونهنَّ، قال فيهن الرسول ﷺ: (... فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار تكفرن، قلن: يا رسول الله أنكفر بالله؟ قال: بل تكفرن العشير، لو أحسن إلى إحداكن الدهر ثم رأت منه ما يسوء، قالت: ما رأيت منك خيراً قط) رواه البخاري، فسبب دخولهنَّ النار، وكثرتهنِّ هناك؛ أمران أحدهما؛ هو نكران فضل الزوج، وسوء التعامل معه، والتجاوز باللفظ الغليظ الجاحد، فهذا أصلٌ متأصلٌ فيهنَّ، وطبعٌ مكينٌ راسخٌ، حتى أوصلهن للنسبة العليا في جهنم؛ لكفران جميل الزوج.

ذلك الزوج الذي نرى جهات عدَّةً، ظهرت مؤخراً لتنقذ الزوجة منه، ولتحرضها عليه تحريضاً بالإيماء أحياناً، أو بالتدين المنقوص أحياناً، وأقسم بالله ما رأينا الدين إلاَّ يخوفها من إغضاب زوجها،

ويرغبها في الطواعية له، فلو كان الزوج كله قيحة تنبجس، فلعقته لم تؤدِّ حقه، ولو جاز لبشرٍ أن يسجد لبشرٍ؛ لأمرها الإسلام بأن تسجد لزوجها، فهو جنتها ونارها.

(اضربوهن)

أنا لا أتاجر في العصي، ولا أملك نظريةً حديثةً عن ضرب الزوجات؛ ولكني أحاول إرجاع الحق الغائب إلى المفاهيم المتغيرة حديثاً.

بعض الزوجات تخالف شرع رب السموات تعالى، وتظهر تلك المخالفات في صورٍ، لعل أبرزها: ١-معاقبتها لزوجها بأن تهجره في الفراش، وتمتنع عن تلبية حاجته للجماع؛ وهذا من أعظم أنواع النشوز خطورة، ٢-رفضها أن يكون الزوج ولياً عليها، ٣-مخالفة أوامره علانية أحياناً، وفي السر أحياناً أخرى، ٤-التعالي بنفسها عليه، ساعية للإمساك بمقاليد القوامة بدلاً منه، ٥-الخروج من بيته بدون إذنه، ٦-إقامة العلاقات المحرَّمة في الغرام مع رجلٍ أجنبيٍّ، ٧-إدخال من لا يرضى الزوج دخوله إلى بيته؛ حاضراً أو غائباً، ٨-الامتناع عن خدمته في بيته، ٩-العبث بأمواله، وإنفاقها في غير المعروف، ١٠-إيذاء الزوج، بالكلام أو بالأفعال؛ بل قد يتفاقم الأمر من بعض الزوجات، فتشتم زوجها أمام أبنائه، أو محاولة ضربه، ١١-إفشاء أسراره.

يقول الله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ...﴾ النساء: ٣٤، والآية تبين أنَّ للضرب مفعولاً مناسباً في تأديب الزوجة، والآية في الوقت ذاته لا تجعل الضرب خطوة أولى للنشوز؛ بل الآية تأمر بالتدرُّج في

علاج مشكلة النشوز الصادر من الزوجة على المراحل التالية:

المرحلة الأولى: وهي مرحلةٌ تصطبغ بالوعظ، وله نفعٌ واضحٌ، وأثرٌ بالغٌ، خصوصاً مع الزوجة الصالحة ذات الدين خصوصاً، وغالبية الزوجات عموماً؛ فالتذكير بالله تعالى، والتحذير من عقابه، والحديث الرفيق عن حق الزوج عليها، والكلمة الخاشعة، واللفظة الروحانية، بهذا الطريقة يصلح قطاعٌ كبيرٌ من الزوجات، يقول ابن الجوزي رحمه الله: (وليعلم الإنسان أنَّ من لا ينفع فيه الوعيد والتهديد لا يردعه السوط، وربما كان اللطف أنجح من الضرب فإنه يزيد القلب المعرض إعراضاً)، فإذا انتهت خطوات الزوج في هذا الطريق، ولم يأت الوعظ بثماره، فعليه أن ينتقل في علاج زوجته إلى الخطوة الثانية.

المرحلة الثانية: للمرأة تقلبات تطرأ عليها؛ فقد يجدي معها اللين تارةً، وربما يكون الهجر خيرٌ من الملاينة، فبعض الزوجات لا يبالين بالوعظ والتذكير، فربما يجدي معهنَّ العقاب الثاني وهو: الهجر في المضجع، وعزلها من عرش الأنوثة، وقتل أقوى سلاح لديها وهو (لفت الانتباه)، أو مفعول (جاذبيتها الناعمة)، فيستدير بوجهه عنها في المضجع، متدرجاً في الصلابة شيئاً فشيئاً، حسب عنادها وجموحها، فإن لانت، وتأنثت، وأطاعت، عاد لها وترقَّق وتحنَّن، وإن زادت حماقةً، وواصلت النشوز والصمود المتعالي، فإنَّ على الزوج أن يواصل من زيادة الحرمان الذي يخلطه بخشونة الحديث، وجفاف الألفاظ، وهذا العقاب القاسي لغةٌ لا يفهم ترجمتها إلاَّ الأنثى، فكأن الزوج بهذا التصرُّف يصرخ في ثقتها معلناً أنها كائنٌ عديم القبول، وما ذلك إلاَّ لأنَّها صلبةٌ وعنيدةٌ على

التذكير والوعظ، فالهجران دواءٌ ناجعٌ لاعوجاجها، وتعديل ميلها، وهنا تنتهي مشكلة أكثر القطاع الباقي من الزوجات.

المرحلة الثالثة: ربما بعض الزوجات لا يجدي معهنَّ الهجر؛ فالهجر يجثو على ركبتيه أمام عصيان الجبَّارات العاتيات، وهنَّ الفئة الأقلُّ، فيضطر الزوج مع إحداهنَّ في التدرج إلى مرحلة العقاب الثالث: وهو الضرب، وأدع الحديث بين يدي (الرجل المحيط)؛ ليقدم في هذا الموضوع بعض التفاصيل

الرجل المحيط يقدِّم علاجاً للنشوز

أولاً: إنَّ التدرج في علاج النشوز بمراحله الثلاث يهدف إلى إرجاع الزوجة إلى (نقطة العوز)، والاحتياج إلى الزوج بالذات، فمن طبيعة المرأة أنها تحتاج إلى ابتسامة الإعجاب من ثغر زوجها، وإلى احمرار يديه تصفيقاً وتشجيعاً، وإلى انبهاره من جودة عقلها وحنكتها، وإيماض نباهتها، وإلى دراسة تاريخها وإنجازاتها، ومهارة إعداد الأولاد النجباء من غراسها، فهم (المشتقات البتروليِّة الحقيقيِّة من نفطها الحقيقي للحياة).

فالله تعالى خلقها بفطرةٍ وخلقةٍ لا تحيى مستغنيةً عن الزوج، وصدق من قال: (لو كان المال يُغني عن الرجال، لما تزوجت بنات الملوك)، وهذا يوضح ما في فطرة المرأة من شدة العوز، وقوة التعلق بالزوج؛ حتى لو اضطرت الخمسون امرأة كلهنَّ للارتباط بزوجٍ واحدٍ فقط، فإنَّهن ساعياتٌ موافقاتٌ، وغير قادراتٍ على العيش بدونه مادام متوافر الوجود، ففي صحيح البخاري: (لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون للخمسين

امرأةً القيم الواحد)، فالزوجة في (حالة عوز) دائمة للزوج.

وهذه الحقيقة تدفع الزوج إلى الرحمة والإنصاف، وأن يقدم أفضل الأخلاق لأهل بيته، فإن رأى من زوجته نشوزاً أو إعراضاً، وعظها وذكرها بالله تعالى، والدار الآخرة، فإن تابت وأطاعت فحسنٌ، وإلاَّ على الزوج أن يرجعها إلى نقطة العوز، بسحب الثقة، وسحب الألقاب، وعبارات الدلال، ودفء المعاملة إلى جفافها، فإن توقفت عن النشوز والتعالي فجميلٌ، وإلاَّ انتقل إلى مرحلة العوز القصوى؛ وهي الضرب؛ حيث يبدو الزوج في عيني زوجته بصورةٍ هي الأشدُّ في اضطرارها للعوز الفطري إليه، وحثها على التراجع عن العصيان، وإنَّ للضرب مفعولاً، عجيباً، حسناً، نافعاً، إذا صنع الزوج كلَّ ما في يديه، وتدرج فيه التدرج الشرعي، ومن جرب يدرك مدى التأثير النافع له.

ثانياً: يقول الإمام القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿..واضربوهن..﴾: نزلت في سعد بن الربيع نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن خارجة بن أبي زهير، فلطمها، فقال أبوها: يا رسول الله أفرشته كريمتي، فلطمها، فقال ﷺ: لتقتص من زوجها، فانصرفت مع أبيها؛ لتقتص منه، فقال ﷺ: ارجعوا: هذا جبريل أتاني، فأنزل الله هذه الآية، فقال ﷺ: أردنا أمراً وأراد الله غيره) ص١٦٨، ج ٥.

ثالثاً: يقال: (يا صبر أيوب) على لسان المبتلى، أيوب عليه السلام نبيٌّ من الأنبياء كان نبراساً في الصبر على البلاء، وآيةً من آيات الله تعالى في تحمُّل الشدائد، ولكنه بالرغم من صبره العملاق، وتحمله النادر، نذر على نفسه أن يضرب زوجته مائة سوطٍ،

لأنَّها أغضبته، وخالفت أوامره؛ بأن قامت بقصِّ شعرها، وقد كان يستعين بجدائلها للقيام، ولم يكن ضرب أيوب عليه السلام لزوجته، لأنَّها كانت ترتكب معصية لله تعالى، كلا، ولم تصل إلى حدِّ النشوز، ومع ذلك أمره الله تعالى أن يضربها، ويوفي بنذره، وأمره بأن يجمع بين الوفاء بنذره، وبين التخفيف في الضرب؛ بأن يضربها بشماريخ النخل، فيكون كل جزءٍ من أجزاء الشماريخ عن ضربة سوطٍ، والنبي ﷺ يقول: (علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم). حسّن إسنادَه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٠٦) وقال الألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٢): حسن.

رابعاً: الضرب مرحلةٌ شديدةٌ على نفس الزوجة، فهي مرحلةٌ شديدةٌ في معناها، وليست شديدة في نوع الضرب، أو في التفنُّن في الإيذاء، واستغلال صلاحياته بتنفيس انتقام الزوج من زوجته. والقرآن الكريم يوضح أنَّ هدف الضرب يتضح في (أثره النفسي)، وليس في (ضرره الجسدي)، فيكفي أن تفهم الزوجة؛ أنَّ زوجها وصل إلى مرحلة من الغضب لا تمنعه من ضربها، ولا يبالي.

خامساً: يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (وإذا ثبت هذا فاعلم أنَّ الله تعالى لم يأمر في شيءٍ من كتابه بالضرب صراحاً إلاَّ هنا، وفي الحدود العظام، فساوى معصيتهنَّ لأزواجهن بمعصية الكبائر، وولَّى الأزواج ذلك دون الأئمة، وجعله لهم دون القضاة، والشهود، ولا بيِّنات ائتماناً من الله تعالى للأزواج على النساء، قال المهلب: إنما جوَّز ضرب النساء من أجل امتناعهنَّ على أزواجهنَّ في المباضعة. واختلف في وجوب ضربها في الخدمة، والقياس يوجب أنه إذا جاز ضربها في المباضعة جاز ضربها في الخدمة

الواجبة للزوج عليها بالمعروف) ص١٧٣ ج ٥.

وقد ورد عن مالك ﷺ: أن الزبير بن العوام كان كثير الضرب لزوجته أسماء بنت أبي بكر، فضربها يوماً حين خرجت بغير إذنه، بعد أن عقد شعرها بشعر ضرتها، وكانت الضرة أحسن اتقاء منها، وكانت أسماء لا تتقي، فكان الضرب بها أكثر، فشكت أسماء إلى أبيها أبي بكر رضي الله عنهما، فقال لها: أي بنية اصبري فإن الزبير رجل صالح، ولعله يكون زوجك في الجنة.

وقد كان الزبير بن العوام ﷺ شديداً، وكان متزوجاً بامرأتين، فإذا أراد أن يضربهما ربط ظفائرهما في بعض حتى لا تهربان، فكانت المرأة الأخرى تتقي الضرب بيديها، أما أسماء فما كانت تحسن ذلك، فكان يظهر أثر الضرب عليها وينتفخ وجهها، فتذهب وتشتكي الزبير، فيقول أبو بكر لها: (ارجعي يا ابنتي فإن الزبير رجل صالح)، حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك: (... وعتب عليها وعلى ضرتها، فعقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضرباً شديداً، وكانت الضرة أحسن اتقاءً، وكانت أسماء لا تتقي، فكان الضرب بها أكثر؛ فشكت إلى أبيها أبي بكر ﷺ فقال لها: (أي بنية اصبري فإن الزبير رجل صالح، ولعله أن يكون زوجك في الجنة؛ ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بامرأة تزوجها في الجنة) ذكره القرطبي في كتاب التذكرة في أحكام الموتى وأمور الآخرة / باب إذا تزوج الرجل امرأة في الدنيا كانت زوجته في الآخرة.

وقد نُقِل عن أسماء بنت أبي بكر رابعة زوجات الزبير بن العوام (وهو واحد من صحابة النبي العشرة الأوائل)، أنّها قالت: (كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فإذا غضب على إحدانا

ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها).

سادساً: ضرب الأدب هو الضرب غير المبرح؛ ذلك الذي يؤلم، ولا يكسر، أو يجرح، ولا يشين جارحةً، ويتجنب فيه الزوج ضرب الوجه، ولا يُقبِّح، لقول النبي ﷺ: (... لا تضرب الوجه، ولا تقبِّح...)

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، قال الألباني : صحيح / إرواء الغليل ٢٠٣٣.

سابعاً: أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، ونحن عنده فقالت: يا رسول الله ! إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت؟، فقال: يا رسول الله أما قولها: يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، قال: فقال: (لو كانت سورة واحدة لكفت الناس)، وأما قولها: يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: (لا تصوم المرأة إلا بإذن زوجها)، وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنَّا أهل بيت قد عُرِف لنا ذلك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: (فإذا استيقظت فصل). قال الحاكم: (صحيح الإسناد على شرط الشيخين)، وأقره الذهبي، وصححه الألباني / صحيح أبي داود ٢٤٥٩.

فأقرّه النبي ﷺ على ضربه لزوجته، ولم يطالبه بالتدرج بالوعظ، ثم الهجر، ثم الضرب؛ في حين أنه أقرَّ صفوان ﷺ على ضرب زوجته، ولم تكن زوجته مرتكبةً لجريمة، أو مقارفةً لخطيئة؛ بل لم تزد على أن انشغلت بالعبادة عن توفير المعاشرة الزوجية لزوجها، فلا تجوز العبادة التي تضيع حقَّ الزوج إلاَّ برضاه، فهنالك أمورٌ لا

تحتمل التدرج المذكور في الآية؛ لضرورة البت والفصل فيها.

ثامناً: إذا استدعى الأمر ضرب الزوجة، فلا يحل للزوج أن يضربها أمام الأطفال بصفة خاصة، أو غيرهم بصفة عامة، لما يترتب على ذلك من سقوط مهابة الأم من عين أبنائها، ولمخالفة الهدف الأساس من الضرب وهو (التأديب والإصلاح)، وليس (الإهانة والفضيحة).

تاسعاً: كذلك لا بدَّ أن يراعي الزوج تأخير الضرب عن وقت الغضب، فالغضب جالبٌ لما هو غير مأذونٍ به، وربما قاد إلى التعسف، وتجاوز الحد في التأديب.

عاشراً: من غرائب واقعنا في موضوع الضرب؛ أن يطول الجدال والنقاش فيه، ويمتدُّ بطول الأمل، وهو في الأصل مباحٌ إذا كانت الزوجة ظالمة، ومحرمٌ إذا كانت مظلومةً، ومع طول هذا الجدل، لا نجد حماس المستنكرين للضرب، يوازي حماسهم البارد في تبيان معصية الزوجة لزوجها، فشتان بين حماسهم لقضية الضرب، وبين حماسهم لتخويف الزوجة من معصية زوجها.

الحادي عشر: بعض الأزواج حينما تطرح عليه حق الزوج في ضرب زوجته، يحلو له أن يردُّ كلامك بقوله: قدوتي النبي ﷺ، فهو لم يضرب أبداً، فإن قلت له: إنَّ الاقتداء هو الأصل، ولكن هنالك من الصحابة من ضرب زوجته، كما ورد عن عمر بن الخطاب، والزبير بن العوام، وصفوان بن أمية، وغيرهم رضي الله عنهم، قال لك: لا تحدثني في غير الرسول ﷺ، وهذا أمرٌ طيبٌ أن يكون المسلم على هذا القدر من الاقتداء، فهو لا يعجبه نسبة ٩٩٪ من الاقتداء ... كلا؛ بل يريد أن تكون نسبة تطبيقه للسنة ١٠٠٪، ولكن الحقيقة أنك لو فتشت الأمر؛ لوجدت أنه يداري ضعفه

بهذه الحجة، وأنه لا يمتثل سنة النبي ﷺ، في أمور الزواج، فلم يطبق سنة التعدد، ولم يطبق سنة (إيقاظ أهله للصلاة)، ولم يطبق سنة الحياة الزاهدة، والسكن في بيت متواضع كما صنع النبي ﷺ، ولم ينفق من وقته لتعليم زوجته وتربيتها، ولم يعلمها قيام الليل، ولم ، ولم ، ولم، وإنما جاء تشبثه العنيف في نقطة الضرب بالذات، ليخفي عجزه عن تطبيق هذا الأمر، أو لعدم سيطرته على القوامة، وقدرته على التأديب، أو لأيِّ أمرٍ آخر، ويلبس هذا الأمر لباس الاقتداء، وتطبيق السنة.

الثاني عشر: كلامي السابق عنيت به (الضرب)، وليس (الجلد)، وهناك ترتيب في الآية ينبغي الاهتمام به، فبعد الوعظ يأتي الهجر، ثم بعد الهجر في المضجع، يأتي الضرب، وبعد الضرب يبقى الهجر دون إرجاع المياه إلى مجاريها، فقد ورد عن النبي ﷺ: (يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه) يقول ابن عثيمين: يعني يجلدها جلد شخص كأنه لا علاقة بينه وبينها، وكأنها عنده عبدٌ أسيرٌ عانٍ، وهذا لا يليق، لأنَّ علاقة الرجل مع أهله علاقةٌ خاصةٌ، ينبغي أن تكون مبنية على المحبة، والألفة، والبعد عن الفحشاء؛ القولية والفعلية.

لا أن يجلدها جلد العبد، ثم في آخر الليل يضاجعها، كيف تضاجعها في آخر اليوم، وتستمتع بها محبةً، وتلذذاً، وشهوةً، وأنت قد جلدتها جلد العبد؟!، فهذا تناقضٌ، ولهذا عتب النبي ﷺ على هذا العمل، فإنه لا ينبغي أن يقع هذا الشيء من الإنسان، وصدق النبي ﷺ، فإن هذا لا يليق بالعاقل فضلاً عن المؤمن.

الرجل المحبط

مجمع البحرین

فلسفة الجنس

الصورة المائلة

الخاتمة

المراجع

أول خطوةٍ خطيئةٌ

الفقير المحتاج لعطاء الناس، يلتزم الأدب، وأقصى درجات الطاعة، والتعامل اللبق؛ من أجل أن يتمكن من الحصول على ما يريد، ولو افترضنا أنَّ المحتاج استهتر بصاحب المال وأساء في عباراته، وسخر في تعامله معه، ثم طلب منه ما يريد، لكان في منتهى الصفاقة، والبجاحة، وقلة الأدب، ولن يلام صاحب المال لو امتنع عن عطاياه، وهذا ليس بغريب.

فكيف بزوجين محتاجين إلى الله تعالى أن يمنَّ عليهما (بالتوفيق والسعادة)، ومع ذلك نراهما يبدآن حياتهما الزوجية بقرضٍ من الربا؛ يحارب الله ورسوله، ثم من أول ليلة في الزواج يعصيان صاحب النعمة عليهما، فنرى أنَّ الزواج يجلب لهما فُجوراً في فجورٍ في فجور، وهكذا يبتدئ مشروع الزواج أحياناً، فالزوجة تكونُ عند الكوافير من العصر وحتى العشاء دون صلاة، وربما جاءت لتسأل في برنامج الفتاوى عن جواز الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء في تلك الليلة، ناهيك عن التجاوزات في كشف العورة أمام الكوافير، حتى إنَّ الحياء يتلاشى عند بعض النساء، لتصل إحداهن إلى أن تعري الغصن كاملاً دون ورقة التوت، فتزيل الشعر من الأفخاذ وما حولها، وربما كان الكوافير رجلاً، تسلمه نفسها، فيعبث بما شاء، وليس هذا من الفجور؛ بل من الدياثة في الزوج، وأهل الزوجة.

والعريس يشاركها الفكرة في ترك صلاة الفجر يوم الزفاف. ويتفق الزوج مع (فرقةٍ موسيقيةٍ) لإحياء تلك الليلة؛ حتى تكون صارخةً بأنغام اللوعة، والحرمان، وكلمات لزجة من شدة الميعة،

والإفساد تفتك بأعصاب النساء الحاضرات، وتلهب قلوب الفتيات، وربما تمتنع بعضهنَّ عن الصلاة تلك الليلة حتى لا يفسد الماكياج، ويقع الزوج أيضاً في الإسراف الزائد الفاحش في قيمة (صالة الأفراح)، وفي الطعام، وانقلب حفل الزواج عصياناً وقلة أدبٍ مع الله تعالى، وهو الذي بيده التوفيق، فلو كان التوفيق، والإسعاد، والبركة بيد (آدميٍّ)، وعصوه، وتمرَّدوا عليه، واستهتروا بأوامره، ثم جاءوا يطلبونه؛ لكانوا في غاية الصفاقة والبجاحة، ولو ردَّهم، ورفض طلبهم، لما كان الردُّ غريباً، فكيف بهم وقد استهانوا بجلال الله تعالى، وتفننوا بالفجور، فهل نتوقع أن يكون الزواج موفقاً مسدداً سعيداً، أليس الله بعزيزٍ ذي انتقام؟!

❖ ❖ ❖ ❖

معنى القوامة

لا نستطيع القول بأنَّ الأسرة تتذوق (حلاوة القوامة)، ما لم يتبين ذلك بأمورٍ:

١-يقول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وقوله: (الرجال قوامون على النساء ...) النساء: ٣٤ ، يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنةً إلى أهله، حافظةً لماله، وفضله عليها بنفقته وسعيه.

٢-وعن السدي قال: (الرجال قوامون على النساء...) ، قال: يأخذون على أيديهن ويؤدبونهن. ج٥ ص ١٦٨ تفسير القرطبي

٣- إنَّ من قوامة الرجل في بيته؛ توجيه زوجته، وإرشادها إلى الحق بدلاً من إهمالها، وتركها عرضة لوسائل الإعلام الهدَّامة، ولنا في الجيل الأول من رجال الأنصار في سلوكهم مع نسائهم

أسوةٌ حسنةٌ، روى أبو داود عن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة رضي الله عنها ذكرنا نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها: (إنَّ لنساء قريش لفضلاً، وإنِّي والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...﴾، فانقلب رجالهنَّ إليهنَّ يتلون عليهنَّ ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابة، فما منهم امرأة إلا قامت إلى مِرْطِها المُرحّل - وهو كساءٌ من صوف نقشت فيه تصاوير الرحال - فاعتجرت به - أي: تلفّفت به - تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله معتجراتٍ كأنَّ على رؤوسهن الغربان)، وفي صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن ...)، شققن مروطهن، فاختمرن بها).

تواجه القوامة في الأسرة خللاً مجهداً، يتمثل في أمرين:

١- المفاهيم الدخيلة المتعانقة مع الفتاوى الهزيلة.

٢- المرأة المتسلطة، ذات الطبيعة القيادية.

و شأن الأسر كشأن الحكومات، لا يكون لها رئيسان، والسيارة لا يقودها سائقان، والزوجة التي تنازع زوجها القوامة، كالذي ينازع السائق مقود السيارة.

وقد يظن قوم أن في تنازل الرجل عن قوامته لزوجته إسعاداً لها، وهذا الظن خاطئٌ، ذلك لأن المرأة بفطرتها تحب أن تأوي إلى ركن تلجأ إليه، حتى وإن تحدثت بعض الزوجات أمام

صويحباتها بفخرٍ عن تصغيرها لشأن زوجها، وأنه يطيعها، ولا يعصي لها أمـرًا، مما يوحي بضعف قوامته عليها، فإنها في قرارة نفسها تشعر بضعفٍ وخللٍ في بنية الأسرة، وعلى العكس تلك الزوجة التي تظهر الشكوى من زوجها صاحب الشخصية القوية، والقوامة التامة، فإنها وإن باحت وناحت لذلك، فهي في حقيقة الأمر تشعر براحةٍ توائم فطرتها، وسعادة تناسب ما جبلت عليه، و(المرأة البحر) تطالب زوجها (المحيط) بالقيام بقوامته على الأسرة، من أجل استقرار الحياة الأسرية.

إن سلب قوامة الزوج، وتسليمها للزوجة، له عيوبٌ كثيرةٌ، لعل من أهمها:

١-تسلط الزوجة على زوجها، وهو ما يضرُّها في الحياة، وبعد الممات.

٢-انتشار المنكرات المتعلقة بانفلات النساء، حال غياب الولي الراشد؛ مثل التبرج، والسفر بلا محرم، والاختلاط، وما يدور في هذا الفلك.

٣-إنتاج جيلٍ فاسدٍ مختلٍ، فالبنات في أسرة تستولي على قوامتها الزوجة، يتربين على التسلط على أزواجهن في المستقبل، وهو ما تشبعت به نفوسهنَّ من الصغر، والأبناء يرضعون التهرب من المسؤولية، وضعف الشخصية، والرجولة الرخوة، وما رضي وتنازل رجلٌ عن قوامته، وانتزعتها زوجته منه، إلاَّ دليلٌ على أنه عاش في أسرته سابقاً، وهو يرى أمه تستعلي على أبيه، وأبوه يخاف ويجبن عن انتزاع القوامة منها، فصار مطأطئ الجبين.

وفي بعض الحالات تكون الزوجة أعقل، وأحكم، وأجدر على إدارة شؤون الأسرة والأولاد من الزوج الذي فقد مقومات القوامة، وإن حدث هذا فبسبب سوء الاختيار، وعدم التكافؤ، وهذا خلاف القاعدة، والشاذ لا حكم له.

رأيت فيما يرى الحالم

هموم موظفة

كانت المديرة ذات طرازٍ حادٍّ، وطبيعةٍ عدوانيَّة، تحمل في عقليتها تهوراً، واندفاعات غير حذرة من عواقبها، وكان تعاملها مع النظام أعور، يظلم بعض الموظفات، ويغفل عن حقوق بعضهنَّ، ويتعاطف بتحيّز مع بعضهنَّ، وكانت الموظفة البطلة صاحبة القصة، تبذل كلَّ ما في وسعها، وتقوم بدورها بكفاءة، وتتلافى الأخطاء قدر المستطاع، وذات مرَّةٍ أعطتها المديرة عملاً زائداً وكثيراً لا يخصُّها، فما كان منها إلاَّ أن قبلت حتى لا تقع في مصادمات ونقاشاتٍ لا فائدة من ورائها، وحدَّثت نفسها أنَّ الصبر هو الحلُّ الصائب في مثل هذه المواقف، وبما أنَّها مديرة فإنَّها (ولية الأمر) فطاعتها مهمةٌ، وعبادةٌ مادام العمل مما يخص الوظيفة.

حين تتحدث موظفتنا عن مديرتها، تحاول أن تقلب الكلام إلى حنكتها في تعاملها مع تلك المديرة، وكيف استطاعت أن تتميز في عينها بالرغم من صفاقة هذه المديرة، وسوء تعاملها، فهي تحرص على إرضاء هذه المديرة بشتى الطرق؛ مروراً بابتسامةٍ مشرقة مع الصباح، أو طرفة جميلة، أو كلمة لطيفة تعبر عن أسلوبٍ متحضر، وتعتبر هذا أسلوباً حكيماً، و دبلوماسيَّةً تنتقي فيها الألفاظ قبل استعمالها مع المديرة، لكي تتقي شرَّها، وتكسب أفضل ما لديها، وتستخلص العسل من خليَّة مليئة بالدبابير، فالسلطة التي تحكمها في الوظيفة مهما كانت ظالمةً، فإنَّ موظفتنا استطاعت بمهارةٍ أن تتعامل معها بتفوُّق.

في زاوية من زوايا المنزل الذي تعيش فيه موظفتنا مع أسرتها،

ترى الحياة مستقرَّةً، والسعادة تملأ أرجاء المنزل، وزوجها في أغلب حالاته سماؤه صافيةٌ، خاليةٌ من الغيوم والبرق والرعود، ولكلِّ جوادٍ كبوةٌ، ومع ذلك فتعاملها مع سلطة البيت (زوجها) مختلفة تماماً عن تعاملها مع (سلطة الوظيفة)، فغاية اللطف تجاه مديرتها، يقابله غاية التدقيق والانفعال تجاه زوجها، وغاية المداراة لحماقة المديرة، يقابلها استياء من بعض واجباتها تجاه الزوج، والنكات واللطائف التي تتقي بها شرور المديرة، يقابلها مطالبات مستمرَّة من زوجها بالحديث معها، ومحاسبةٌ وأسئلة: لماذا تظل صامتاً؟! ولماذا أبدأ أنا دوماً بالحديث والحوار؟!، ولماذا أنا أتحمل وحدي مسؤولية الأولاد؟!.

ولو أساء زوجها ذات يوم في تعامله معها، أقامت الدنيا ولم تقعدها، لا كما تصنعه مع ظُلم مديرتها في الأعمال التي تطلبها منها، وحينما تكون في مجالسها العامة تتبرع بالنقد، وإظهار التذمر من زوجها، وكثرة الأنين والشكوى من أوامره التي لا تنتهي، وعلى العكس من ذلك عندما تصف مديرتها الهوجاء، فإنها لا تغرق في مستنقع التشكي والتظلم؛ بل تكفُّ عن الوصف السيئ لمديرتها، وتبسط القول في أنَّها تعاملت معها بحكمةٍ ومداراة، واستطاعت التخلص من الصعاب، وتجاوز المنعطفات الخطرة في وظيفتها.

ربما تقوم هذه الموظفة بتقديم أوامر المديرة على متطلبات زوجها وأولادها، فتراها تقدم عملها أحياناً على بيتها وزوجها، فلو احتاجها زوجها ذات يوم شيئاً، وطلب منها أن تبقى في البيت، قامت قيامتها والناس أحياءُ، والأغرب في القصة أن مديرتها

استدانت منها مبالغ ليست بالقليلة، ولم ترجعها، ومع ذلك لم تهمس هذه الموظفة بذكراها، حفاظاً على الصداقة، واحتراماً للعشرة، تناست الأموال، وأحسنت مع الأفعال الأقوال، ولكنَّها مع زوجها تغلي مراجلها حنقاً ودقةً، من كثرة محاسبته على أموالها، فهي تحاسبه محاسبة الشريك الشحيح.

فلماذا لا تحاول النجاح في البيت كما نجحت في الوظيفة؟!، وقضية النجاح في البيت أسهل بكثيرٍ مما نجحت فيه.

قبل أن أغادر الفقرة، أعجبني سؤالٌ من إحدى المعلمات ذوات الورع حول (شحن الجوال) بكهرباء المدرسة: هل هو حلال، أم أنَّه من مال الحكومة؟، وقد نامت البارحة وزوجها عليها غضبان، في منزل أهلها؛ لأنها على خصومة معه.

هروب إلى الجحيم

أشد فتنة خافها رسول الله ﷺ على الرجال هي فتنة النساء، كما قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه، لما في المرأة من الإغراء، والإثارة، والجاذبية الخطيرة، فالهلع جبَّارٌ من الأنوثة المتفجِّرة التي تشعشع بدون ضوابط، وقد جاءت العقوبات الإلهية مخيفةً ورادعةً، فالمرأة التي تتعطر ليشم الرجال عطرها تكون زانيةً، والمرأة التي ضربت الأرض بخلخالها، فظهر صوته في قدميها، بادرها الوحي بنزول القرآن يُتلى إلى يومٍ القيامة، وآيات تتوالى في الحجاب، والنواهي عن الاختلاط كلٌّ ذلك لقوة المفعول.

جميع النساء يملكن هذه الأنوثة العنيفة على روح الرجال، ولكن الزوجة قد تفقد هذه الهبة الربانية، فتصبح عديمة الطعم، عديمة

اللون، عديمة الأنوثة، بسبب ما تحدثه لدى زوجها من (النكد) الذي تحطم به روح الزوج الشفافة، فتحترق جميع مؤهلاتها، وأوراقها لتتحول إلى امرأةٍ بلا أنوثة، حتى ولو كانت تفيض بالجمال والدلال، فرغم كل هذه المواصفات الأنثوية التي يمتلكها بداخل المنزل، وأيضاً بإشارة منه يستطيع أن ينال منها كلَّ رغباته الفطرية؛ والتي كان محروماً منها، يتقلب الليالي الطوال مشتاقاً إليها، تتقاذفه الأحلام، والأماني، وتنهبه الهواجس في انتظار أن يكون معها في بيتٍ واحدٍ، ها هو (الآن) يجدها عنده، وبين يديه، يستطيع أن (يدفن) ما حفرته الآهات والأمنيات قديماً، وأن يروي من مائها كلَّ عطشه، وأشواقه الفطرية، ورغباته الخاصة، ومع ذلك هرب ذلك الزوج من البيت، وجميع ما كان يتمناه، ها هو عنده في بيته؛ إلاَّ أنَّه إذا أراد أن يدخل المفتاح في باب المنزل، ووقعت عينه على عقارب الساعة، أحس أنها تقرصه مشيرةً إلى الساعة العاشرة مساءً، فشعوره الباطن يتمنَّى أن لو كانت الساعة بعد الثانية عشرة، من أجل أن تتناقص مدَّة مكوثه في المنزل.

وفي وقت الظهيرة تقارب الساعة الواحدة تماماً، ويتمنى لو كانت الساعة الثالثة، من أجل أن يأكل وجبته وينام، ولا تسل عن فرحته عندما يأتيه اتصال يداهم هاتفه من أيِّ صديقٍ كان، فيقفز برشاقةٍ؛ ليلبس معطف (حاتم الطائيّ)، ويشتد إصراره، ويتوالى إلحاحه طالباً أن يزوره؛ لكي يتمتع بالسمر لديه، لسببٍ خفي يكمن في أنه يرغب في الجلوس في بيته، وبعيداً عن زوجته، وربما إذا وضعها في بيت أقاربها، ينقلب إلى بيته؛ لكي يتلذذ بالمكث لوحده، والجلوس منفرداً في بيته، فسبحان

من جعل أنسه ولذته في انتزاع تلك الزوجة من بيته.

يهرب الزوج من بيته عندما تثقل الزوجة طلباتها، ويهرب عندما ينظر إلى (وجه الأنوثة) عابساً متجهماً في منزله، ويهرب عندما يسمع ثرثرة من (فم الأنوثة) عن أخطاء أهله وتقصيرهم، أو عن النعيم الذي تعيش فيه الزوجات الأخريات، وهي تعيش الطنطنة الفارغة؛ لتقول له: أنا معك محرومةٌ من ذلك النعيم كله.

إنَّ المرأة العاقلة تعيد نظرها في سلوكها مراعية الله تعالى وحده، ومتذكرةً الواجبات التي عليها القيام بها، كما أن الزوج عليه مراجعة نفسه، وأن يسلك الطرق المختلفة لتأديب زوجته، وتربيتها بالطرق الحكيمة؛ التي تجعلها تندفع نحو تلبية رغباته واحتياجاته، كما أن على الزوج تربيتها، لتظهر بالصورة التي يحبها ويرضاها.

محسن وغافل

كان هنالك صديقان، أحدهما اسمه (محسن)، والآخر اسمه (غافل)، يبادر محسن دوماً بإكرام رفيقه غافل، ويلبِّي طلباته ما استطاع، وفوق ذلك يسكنه منزله، ويطعمه ألوان المآكل، وصنوف المشارب.

عندما تطلُّ برأسك على حياتهما، تصيبك الدهشة لسوء معاملة غافل الباردة، وقلة اهتمامه، وانعدام المراعاة لشعور محسن؛ والأغرب من ذلك أن تراهما وقت الحوار، وتجاذب أطراف الحديث؛ يتعالى صوت غافل على صاحبه محسن، ولا يكتفي غافل بهذا وحسب؛ بل ربما تعامل بانفعال متلفظاً بألفاظ قاسية، وأطلق بصراحة متناهية: إنَّ تاريخك معي سيءٌ جداً، وعلاقتي بك من قبيل تضييع الوقت.

أبدى (محسن) استياءه مرات عديدةً، وطلب من (غافل) التوقف عن ممارسة بعض الأمور التي يكرهها، فردَّ عليه (غافل) منفعلاً: أتمنَّى أن تستوعب أن علاقتنا مبنيَّة على التفاهم والنقاش، ولا أسمح لك بإعطاء الأوامر، ثمَّ مطالبتي بالتنفيذ!.

نسي (غافل) كلَّ الإنعام والكرم الذي أسبغه عليه (محسن)، وصار كأنَّه هو المنعم المتفضلُ، وبالرغم من أنَّ الجحود طبعٌ في بني آدم، إلاَّ أنَّ هذه القصة أوضحت سوء أخلاق (غافل)، ونكرانه للجميل، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

وللمرأة مع زوجها شأنٌ أشد، وأنكى، وأسوأ، فالزوج يقدم لزوجته أكثر من ذلك، حيث يقدِّم لها (الجنَّة) في آخرتها، فهو جنَّتها ونارها، ومع ذلك لم تتوقف عند الحِّد الذي وصل إليه (غافل) مع رفيقه؛ بل راحت تطلق كلمةً لم تستوعب معناها، ولا ضخامة حجمها، فقالت: (طلِّقني)!، واستدبرت بيت زوجها إلى بيت أهلها، تاركةً زوجها غاضباً عليها، والملائكة تلعنها حتى تصبح، ناسية أنَّ هذا الزوج الذي احتقرته، وزهدت فيه، وأهملته، له حوريةٌ في الجنَّة تدافع عنه وقت خصامها معه، وتقول تلك الحورية لزوجته: (لا تؤذيه قاتلك الله، فإنَّه عندك دخيلٌ يوشك أن يفارقك إلينا)، وهذا الزوج الذي أرخصته، وهاجمته، هو مخلوقٌ غالٍ عند الملائكة، ولقد ربح زوجٌ تدافع عنه الملائكة في السماء، وتدافع عنه الحوريّة في الجنَّة، وخسرت زوجةٌ خصمها زوجها والملائكة والحوريِّة.

❖ ❖ ❖ ❖

أعداء الأسرة

الشريك الملعون

إنَّ كثافة أعداد الشياطين المنتشرين من حولنا، تستعدي مراجعة حالنا مع هذه المخلوقات، والإسلام أوضح لنا بعضاً من هذا العالم الغيبي؛ وأرشدنا أنَّ من دخل منزله دون أن يذكر الله تعالى، قال الشيطان: أدركتم المبيت، ومن أكل دون (بسم الله)، أكل معه الشيطان، وقال للشياطين: أدركتم العشاء، ومن دخل الخلاء، فعليه الاستعاذة من (الخبث والخبائث)، وهم ذكور الجن وإناثهم، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، والدعاء عند المعاشرة (اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)، والحلم من الشيطان، وإرشاداتٌ ربانيةٌ كثيرةٌ تستدعي مراجعة حياتنا دون أن نغفل العالم الآخر، فبلاء الأسرة لا يأتي دوماً من شياطين الأنس؛ بل كذلك شياطين الجن المنتشرون حتى في بيوتنا، لهم صولاتٌ وجولاتٌ، وكلُّ شيطانٍ هو للشياطين تابعٌ ومؤيدٌ، فنرى الشياطين يجنون على الناس بأمورٍ منها، المسُّ، والسحر، والعين، وغيرها مما سيأتي تفصيله، يقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ الإسراء (٦٤)، يقول النبي ﷺ: (العين حق ولو كان شيءٌ سابقٌ القدر سبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا) رواه مسلم، ومن يؤمن بالشرع لا يمكن أن يغفل جهود الشياطين الحثيثة لإفساد الأسرة، والإضرار بها، وانتهاز المعاصي الواقعة تحت سقف البيت لإيذاء أهله، وتظهر آثار الشياطين فيما نلحظه من:

•الحرمان من الذرية: ويبدو في صور عديدة منها: عدم الإنجاب بالرغم من سلامة الزوجين صحياً، أو ربما يتحول الأثر الشيطاني إلى التوقف عن الإنجاب إلى مرض طبي؛ كالتفاف الرحم مثلاً، أو التوقف المفاجئ عن الإنجاب بدون سببٍ واضح، أو توالي الإجهاض، وأحياناً يكون الإجهاض متكرراً في شهرٍ محددٍ من أشهر الحمل.

•التقبيح والاستبشاع: كأن يرى أحد الزوجين صورة الآخر قبيحةً، أو يكون بصورةٍ غير متناسقة جسدياً؛ كأن يكبر الجزء الأعلى من جسده، ويكون الجزء الأسفل نحيلاً، فتبشع صورته، أو أن يراه بعينٍ واحدةٍ، أو أن يجعل صوته قبيحاً، فيشعر الآخر باشمئزازٍ مفرطٍ بشعٍ من سماع صوته.

•قتل الرغبة في المعاشرة الزوجية: لدى أحد الزوجين أو كليهما، فيبيتان الأشهر، أو السنوات بلا معرفةٍ للسبب، أو يحصل مع تلك اللحظات آلامٌ مفرطةٌ، تجلب الكراهية، أو أن يصحب ذلك رغبةٌ في الاستفراغ والغثيان، أو يشعر الزوج بضعف الانتصاب، أو التنويم الكامل للقضيب، أو أن تؤذيه سرعة القذف، أو يصيبهما تلاشي الرغبة تماماً، فتكون مشاعره تجاه زوجته، كمشاعره تجاه بقية الرجال؛ وربما يجدان نفسيهما ينامان مع أولادهما الأشهر والسنوات، بعيداً عن الحياة الأسرية في الغرفة الخاصة بهما، لوجود شللٍ يقتل رغبتهما في بعضهما، أو تشعر الزوجة بتضايق، واختناق وقت الجماع، وتطلب من زوجها الإسراع والعجلة حتى يبتعد عنها، والحياة سائرةٌ، ولم ينتبها للخلل المذهل بينهما، والليالي تمرُّ تلو الليالي، وكلاهما عن المصيبة سالٍ.

•**خروج الرائحة العفنة الكريهة:** بأن يشمَّ أحدهما أو كلاهما من الآخر روائح مستقبحةً؛ كروائح الحيوانات الميتة المتعفنة، أو البخر النفَّاث المتسلِّط، فيظنَّان أنَّها رائحةٌ ناتجةٌ من سوء الطعام، أو قلة الاهتمام بنظافة الفم، وربما يخجل أحدهما من إظهار الاستياء من صاحبه، ويسود الصمت، ومهما سعيا للخلاص من تلك الروائح طبياً، فإنهما يعجزان لا محالة، فقد لا يكون البلاء من اللثة، أو تسوس الأسنان، أو خلل في المعدة؛ بل مصدره شيطانيٌّ، لا عضويٌّ.

•**استثقال أحدهما للآخر:** بأن يثقل كلام أحدهما، وحديثه على نفس صاحبه، فيصبح كأنه قطعة جبلٍ، دون مبررٍ أو تفسيرٍ.

•**إثارة المشكلات:** دون أسبابٍ واضحةٍ، فعلى أتفه سببٍ، تقوم الحروب؛ حيث تكون النفوسُ مستعدةً متأهبةً لأيِّ خصومةٍ، فيحصل التضخيم للتافه من المشكلات؛ بسبب استغلال الشيطان لها.

•**التنافر الغامض:** فيكون الزوجان راغبين في بعضهما، محبين راضيين، ولكن بمجرد اقترابهما، وجلوسهما في بيتهما، يبدأ النفور والتباعد، فلا يستريحان حتى يذهب كل واحدٍ منهما في شأنه، وحين يفترقان، ترجع لهما المودة والرغبة في القرب، وحين يقتربان يتنافران.

•**نسج الأوهام:** كالتلبيس على عين أحد الزوجين، ليريه شيئاً لم يحدث، من أجل إثارة المشكلات، فيجعل عينيه ترى أمراً ليس حقيقياً، بل من تلبيس إبليس مثل أن يرى الخيانة الزوجية، أو تصوير مواقف تجلب الضرر.

•الفتنة: ومن بلاء الشياطين تزيين النساء في الحرام، وجعل الزوج يراهنَّ أجمل وأفتن من زوجته، فتعافها نفسه، فيقعد حينها زاهداً في زوجته، محسوراً على فوات غيرها، ويقاس على ذلك فتنة الزوجة بوجوه الرجال، وتناسق أجسادهم، فتصبح ذواقةً، محبةً لتأملهم، والتطلع لصورهم.

بعض علامات المصاب بالسحر، والعين، والمس:

•التألم عند قراءة القرآن عليه، أو استثقال قراءة سورة البقرة، فتجد أنَّ المصاب يعزم ويجزم أنَّ سيقرأها حتماً، فتمرُّ الأيام والشهور، وشيطانه يصرفه عن قراءتها بألوان التفاهات، أوالتكاسل عن أداء الصلاة، وخصوصاً الفجر، حتى لا يكون في ذمة الله تعالى، فيضعف عنه الشيطان.

•رؤية الكلاب في المنام، أو الفئران، أو القطط، أو الحيات، أو العقارب، أو الأوزاغ، أو القردة، أو الخنافس، أو الإبل، وغيرها.

•رؤية أشخاص يطاردونه، أو يعتدون عليه.

•الصرع.

•غزارةٌ في التبوُّل، أو كثرة التعرُّق، وخصوصاً باطن اليدين على غير المألوف.

•الصداع المتنقل، أو صفرة الوجه، وقلة النوم أو كثرته، أو الأرق بالليل.

•التنمُّل في الرجلين واليدين.

•ألم في المعدة.

•الخوف المفرط الطارئ، والهلع المستجد في حياة المصاب بالعين بصورةٍ ليست من سجاياه، فقد يأنس المرء من نفسه شجاعةً وإقداماً

يشتهر بها، ولكنه ينقلب فجأةً إلى جبانٍ مرعوبٍ حتى من إقفال باب غرفته، أو البقاء في الظلام، أو الجزعٍ لأيِّ صوتٍ يباغت خلوته.

•الحزن المتكرر، وضيق الصدر، أو الغضب، والانفعال الشديد، وتقلب في المزاج.

•البكاء دونما سبب.

•العواطف تكون مفرطةً، بصورةٍ غير طبيعيةٍ كالغضب السريع الشديد.

•ظهور ألم في أسفل الظهر، أو بين الكتفين دون وجود سببٍ معروفٍ لذلك الألم.

•التعب، والإجهاد، والخمول.

•عدم انتظام الدورة الشهرية.

•برودة أو حرارة أطراف القدمين، أو اليدين.

•التثاؤب عند قراءة القرآن الكريم، أو عندما يُقرأ عليه القرآن الكريم.

(مع التنبيه إلى أنَّه وإن كان وجود بعض هذه العلامات لا يعني بالضرورة الإصابة بأحد آثار الشياطين، إلاَّ أنَّ يجب على من يشعر ببعضها التأكد؛ بأن يتعبد الله تعالى بالعلاج، ولو لفترةٍ محدودةٍ حتى يزيل الشك باليقين).

العلاج:

•أن يقرأ المريض القرآن الكريم، خصوصاً سورة البقرة، أو تُقرأ عليه.

• الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى، بمعنى: (كم تساوي عافيتك عندك؟!)، فتصدق بها بنية العلاج والشفاء، فمن الناس

من يسرف في المبالغ المدفوعة للطبيب والدواء، وربما سافر من قارةٍ إلى قارةٍ طلباً للعلاج، ولكنه لم يرفع عينيه إلى الكافي الشافي تعالى، ليقول له: اللهم خذ اليوم من مالي حتى ترضى.

•الشرب والاغتسال بماء زمزم.

•كثرة الاستغفار، والدعاء بأن يكشف الله تعالى له مكان السحر؛ لإبطاله.

•الاستفراغ إذا كان السحر مشروباً، أو مأكولاً، وذلك بإخراجه عن طريق القيء، أو الإسهال عن طريق شرب المسهلات؛ التي قرئ فيها آيات الرقية الشرعية من السحر.

•ذكر الله تعالى عند دخول المنزل.

•ذكر الله تعالى عند المعاشرة الزوجية.

•ذكر الله تعالى عند طلوع الشمس، وعند غروبها.

•دهن الجسم بزيت الزيتون المقروء فيه آيات القرآن الكريم وشربه، أو شرب الماء المقروء فيه.

•الشرب، أو الاغتسال من ماءٍ قد اغتسل به العائن، أو توضأ به، أو أخذ أثر من آثاره؛ كمسح مقبض الباب الذي لمسه العائن، أو بوابة قصور الأفراح التي حضرها، أو مقابض حنفيات المياه، أو مكائن الصرافة، أو أخذ بقايا طعامه، أو ملابسه.

•كتابة آيات الرقية الشرعية بالزعفران، ووضعها في الماء، وشرب المريض لها.

أسباب الإصابة بالسحر، والعين، والمس:

•ترك الصلوات، وارتكاب المحرمات.

•ترك الأذكار، وإهمال أوراد الصباح والمساء.

•الذهاب للسحرة، والمشعوذين.

•وجود الملاهي، كالقنوات الفضائية، ووسائل الفساد، وقد سبق الحديث عنها.

•احتفالات الزواج وغيرها من المناسبات الصاخبة التي تظهر فيها النساء في صورة مبالغة من التجمل، والموسيقى التي هي معزوفة الشيطان، ولو علمت النساء ما تجلبه هذه الأجواء من البلاء، لامتنعن عن حضورها.

•التباهي الكاذب للمكايدة، والاستعراض أمام الناس، أو لمكايدة الضرات، فيصاب الكاذب بالعين دون أن ينال التنعم أصلاً.

•الغضب والانفعال الشديد، فهو يضعف التحصين، فيكون منفذاً للشياطين، حتى لو كان الإنسان متحصناً بالأذكار.

•التكشف والعري أمام الآخرين؛ سواءٌ كان تعرياً من اللباس تماماً، أو كالتعري الذي تصنعه بعض النساء في لباس التزين لها، أو لأطفالها، وبناتها، كما وصفهنَّ النبي ﷺ بالكاسيات العاريات، فهذا التعري من أسباب الإصابة بالعين من الشياطين، أو من الناظرين، وخصوصاً في الاحتفالات، والمناسبات، والزواج، يقول ابن القيم: (فسهل بن حنيف لولا أنه نزع جبةً كانت عليه، وكان رجلاً أبيض حسن الجلد، وعامر بن ربيعة ينظر، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا جلد عذراء، ما تمكن من النظر إلى محاسنه، وإصابته بالعين، فالسبب الرئيس في ذلك، تكشف سهل أمامه، وعندما ركب سعد بن أبي وقاص يوماً، فانكشف بطنه، فنظرت إليه امرأةٌ، فقالت: إن أميركم هذا ليعلم أنه أهضم الكشحين، فرجع إلى منزله، فسقط)

فأر المجتمع

العلمانيون (فأر المجتمع) الساعي إلى إغراق السفينة، وهم الخطر الداهم المرعب؛ حيث يبثون في المسلسلات والأفلام شراستهم خصوصاً في الآونة الأخيرة، التي ظهرت بطريقةٍ منذرةٍ بخطرٍ داهم ضد الأسرة.

ابتداءً من التلفاز الذي هو اللص السارق لأوقات الأسرة، فيجلسون أمامه كالبلهاء، ولو توقف الأمر على سرقة الأوقات، والحرمان من لذة اللقاء العائلي، لكان جريمةً لا تغتفر، ولكنه يزيد في الإضرار؛ بأن يخدعهم بتقبيح المليح، وتمليح القبيح، وذلك في أمور كثيرةٍ، لعلي أذكر منها: أنَّه يصور الزوج الدبلوماسي أنه ذلك الزوج الذي لا يقسو مهما وصلت أسرته من الانحدار، ولا يغار ولا يشتط غيظاً لو اعتدي على محارمه، ويقومون بتكثيف حالات الخيانة الزوجية، حتى يوصلوا القناعة الكاذبة الخاطئة؛ أن هذا الأمر هو الأصل في البيوت، ولا داعي للتذمر والاستياء منه.

القائمون على الإعلام يقدمون أنموذج الأسرة المثالية تلك الأسرة المكونة من عدد قليلٍ، فكثرة النسل تخلفٌ، والأم متساهلةٌ في حجابها، ولا ذكرٍ للصلاة مطلقاً إلا على سجادة الأجداد وكبار السن، وتعدد الزوجات مصيبةٌ كبرى، ويربون الناس على (كفران النعمة)، والتلهف لمعيشة البطر والبذخ، فتعرض الشاشة حال الأسر في غاية الغنى والرفاهية، في نمط البيوت، وفي أثاثها، وفي سياراتها، وفي طعامها؛ بل حين يعرضون حال الأسرة الفقيرة المتهالكة، نراها في الشاشة تسكن في بيتٍ هو أفضل من بيوت الأسر المتوسطة الحال في الحقيقة، وهذا ما يزرع في

قلوب الناس السخط، وعدم الرضا بما رزقهم الله تعالى، وحتى الأسرة الفقيرة تظهر عبر الشاشة بصورةٍ متذمرةٍ منزعجةٍ، وكأنَّ في الأمر إيحاءً خفياً للفقراء بأن يرفضوا معيشتهم، وأنْ يقنعوا البقية بأن الفقر عيبٌ، ومنقصةٌ، ومهانةٌ، وهم في الحقيقة أغنى مالاً وحالاً من محمد ﷺ.

وتكون الزوجة المثالية، بمواصفاتٍ غير نافعة للزواج، فهو أنموذج المرأة الغارقة في التجمل، فحتى لو كانت في حالةٍ مرضيةٍ خطرةٍ، ينقلونها على سرير الإسعاف، فإنهم ينقلونها، وهي في غايةٍ الزينة كمثل العروس تتقدم لعريس العمر، وليس إلى غرفة العمليات، ويصورن الزوجة المثالية أيضاً؛ بأنها ذات المهارات في التمرد على الزوج، وصاحبة الإتقان في العبث، والمبدعة في الرقص والغناء، فانقلبت مفاهيم النساء، حتى صار هذا الأنموذج هو المطلوب، والمتلهف عليه، والمقتدى به عند الزوجات، ولا يفوتني أن أذكر بأنَّ أهم خصلةٍ علمانيةٍ إعلاميةٍ تميزها، هو الخواء الداخلي، فلا حياة فيها ولا روح، ولا هدفَ تصبو إليه.

فجعلت الزوجات يجرين المقارنات الدائمة بين حالهنَّ مع أزواجهنَّ، وحال ما يرينه في الشاشة، أو يقرأنه في الروايات، من ظاهرة (الحب الغادر)، بصورته الخيالية، وعند إجراء المقارنة بين الأزواج في القناة، وبين الأزواج في الحياة، يظهر في أعين الزوجات؛ أن أزواجهنَّ أنانيون، لا يفهمون معنى الحب، أو لا يحبون زوجاتهم أصلاً، ولعل (الفيديو كليب) خير دليلٍ على عدم الاعتراف بالحب بين الزوجين، وتعميم الحب على الحالات الحرام، المقربة للفاحشة، فجميع الأغاني التي نراها في (الفيديو كليب)

بلا استثناء، تحبب في الفاحشة، وإشاعتها في الذين آمنوا، ولم نر يوماً أغنيةً (تحبب) في الأزواج أو الزوجات، أو تجميل المشاعر بينهم، وإنما سعيهم حرامٌ في حرام.

تحريض الزوجة بالنشوز على زوًجها وعدم الطاعة والانقياد له، والعبث بعقول بعض النساء؛ حيث يقنعونها بأنَّ كرامتها تمنعها من الخضوع والطاعة لزوجها، ويشجعونها على (النفور الخاطئ)، ولكنَّهم بالمقابل يشجعون انتشار الأغاني والسينما والأفلام التي تغصُّ بالحب، والهيام، والغرام، واللوعة، والانفتاحية في العلاقات، وجميعها بلا استثناء تشجع على التذلل للحبيب والتلذذ بالخضوع للمعشوق، والشفقة، عليه من النسمة الطائرة، ومن أشعة الشمس، وهدوء القمر، والتباهي بالسماح، والعفو، والتغاضي عن أخطاء المحبوب، فلماذا تكون (الكرامة المزعومة) مع الزوج، وتكون (المهانة المدعومة) من أجل العاشق؟!.

ونتج عن ذلك أن نرى سرعة التضجر والضيق بين الأزواج من بعضهم في ظل هذا الزخم الإعلامي المهيج لأحدهما على الآخر، مما سبب كثرة الشكاوى والاستياء من شخصين هما أقرب اثنين دينياً، وروحياً، وجسدياً، واجتماعياً، فصارت نسبةٌ عاليةٌ من البيوت لها أنين، مما يدلُّ على نجاح إفسادهم.

وبالمقابل نرى نسبة عاليةً من الذين يقيمون (العلاقات المحرَّمة) قد تلقَّوا تدريباتٍ مكثَّفةً من الأفلام والمسلسلات في (فنون الرذيلة) أو العيشٍ في كنف (الخيانة الزوجية)، وإتقان مهارات دفن الضمير، وتجاهل الوعيد الرباني للزانية والزاني، (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) الحجر ٧٢، فترى من الأعاجيب أن موضوع

الغزل، لم يتوقف عند الشاب الذي يسكن في المدينة والمدنية، بل حتى المحافظات؛ بل حتى الفتى القروي البدائي، حينما يحدو بك التطواف في إحدى القرى أو المحافظات، تجده يخرج في أنصاف الليل، ممسكاً بهاتفه الجوال، يهمس ويوشوش، وتتراقص على شفتيه الابتسامات، يسير ولا يدري إلى أين المسير؟!، وهذا المستوى من الإبداع في تطبيق دور العاشق في الحرام، لا يتناغم حتى مع ملابسه البدائية، ولا مع بشرته المكتوية المحمَّصة بلهيب الشمس، وترى أنَّ لديه من الصبر على المرأة المعشوقة في (دلالها الأنثوي المسرف) بروحٍ مرنةٍ طويلة النفس، لأنَّ المنهج المفسد في الإعلام استطاع أن يعلِّمه ويجعله يرى بعينيه أنَّ من طبيعة الأنثى أنَّها تظهر خلاف ما تخفي من مشاعرها، وبالصبر وطول النفس تكسب المرأة في الحرام، وتجعلها رهن طاعتك.

والمرأة في (العشق المحرَّم) أو (علاقات الظل) تستحمل المعشوق وتصبر على كبريائه، وغطرسته، وحماقاته؛ بل وترى في (طموحاتها الهشَّة المريضة) أنَّها تهدف إلى أن تحدث شرخاً في حياته، لا ينساه مهما تطاول به السن، وتؤمن أنَّ طبيعة الرجل فيها حب الهيمنة، والسيطرة، والغيرة العاصفة، فهي تعطيه مساحة من الحرية للتعبير عن مشاعره بانطلاق، حتى ولو على حساب حقٍ من حقوقها، وكلُّ هذه المرونة والمثالية في الأخلاق؛ لأنَّ الدروسَ العلمانية في المسلسلات أفرطت في رسم (لحظات الغرام)، والتضحية للوصول إليها.

بينما إذا تزوجا انتقل عقلهما من التفكير في طبيعة الرجل والمرأة الذي برعا فيه، والذي هو موجود لديهما في (جو الخطيئة)، إلى

الدورات التدريبيَّة المكثَّفة في المسلسلات عن (الزواج البارد) ومهارة السيطرة على شريك العمر، أو التخلُّص من هيمنة الزوج، أو ضيق النفس في الصبر على الزوجة، أو اللجوء إلى أجواء تروي العطش العاطفي المزعوم، أو المبادرة للطلاق تحت أيِّ ظرفٍ مهما بدا ساذجاً، أو الفرار إلى بيت الأهل؛ في حين أنَّهما لم يفكرا في أنَّ الرجل هو الرجل، والمرأة هي المرأة، ولكنَّ القناعات عبث بها العابثون.

وللإعلام بأطرافه الأخطبوطية شنقٌ، وخنقٌ، وحرقٌ للغيرة على المحارم، حيث ينال الزوج المسلم الغيور هجومٌ، واستحقارٌ، واسترذالٌ.

بينما في جانب الغيرة نفسها يصمتون على غيرة الزوجة على زوجها، أو عشيقها في الفاحشة صمتاً ملفتاً، وربما راحوا يشجعون فجاجتها في الغيرة الذميمة، تحت مبرر (مراعاة الخواطر)، أو أنها كائن رقيقٌ، وأنَّ من طبيعتها أنها (تغار)، فيقع في عقلك لغزٌ يجوع في جوفه الحلّ، ذلك الحلّ الذي يفضح ذرية الإعلام اليهودي.

أو تربية الزوجات على كراهية الرجوع للدين، كما يجري في الحرب على تعدد الزوجات، أو الاحتفال بالأعياد المحرمة، أو التقصير في جوانب العبادات، أو التحاكم إلى شرع الله.

ولذلك فإنَّ الزوج الطاهر العفيف سوف تعتبره النساء، زوجاً قروياً متخلفاً، لأنه وقع في كارثةٍ يستحق بها أن تعافه النساء، تتمثل هذه الكارثة في أنه لا يفقه فنون الغزل، ولم يجرب أبجديات الفاحشة، ولم ير هذه المحرمات الإعلامية، ولم يتثقف بثقافة

الرذيلة، ولا يعرف الروايات الماجنة، وبقي على رجولته وفطرته، فهو لم يتحدث مع امرأةٍ، ولا يتقن فنون البصبصة.

ويقابله ذلك الزوج الألعبان، بارعٌ في الاحتيال، يتقن اللباقة مع النساء، يعاشر هذه، ويغامر مع تلك، ويسلب مال فلانةٍ، لينفقه على فلانة، فهو زوج (طائش)، لكنه غير متخلف، (ومصيره أن يتوب)، وإن كان في شرع الله تعالى مستحقٌ للرجم في الدنيا، ولجهنم في الدار الآخرة.

فنصل في النهاية إلى أن الزوج أو الزوجة، يجدان في الإعلام ما لا يجدانه في المنزل، الثياب غير الثياب، والشكل غير الشكل، والطبيعة غير الطبيعة، والحياة غير الحياة، والخطورة أكبر من أن تحتضنها هذه الأسطر، ولا حلول إلاَّ بالتقيد بالإسلام، فهو يحمي من هذا كله.

مهازل يزعجنا بها الإعلام

مصطلحاتٌ فضفاضةٌ، وألوانٌ براقةٌ، وشعاراتٌ خفاقةٌ، يحمل لوائها الزاعمون إنصاف المرأة، فيرددون قضية الكفاءات وتفاوتها مع تفاهتها؛ ليزيدوا التفاتتها عن زوجها وأسرتها، ويعيقوا مسيرتها وارتقاءها في عليائها، ومن تلك الكفاءات المثارة:

١-الكفاءة التعليمية، فلا يناسب زواج الجامعية من زوجٍ يملك الشهادة الابتدائية.

٢-الكفاءة المالية،

٣-الكفاءة في النسب.

أو استعمال شعارات الرجولة والكرامة في عدم الأخذ من مال الزوجة، وغيرها مما يخالف نصوص الشرع، أو التحاكم في نجاح

الأسرة إلى الكتب المترجمة، والاستدلال بما جاء فيها.

وإليك مهزلةٌ أخرى تتمثل في ذلك السؤال البارد: هل أنت (ضد المرأة) أم (مع المرأة)؟!.

وحقٌّ لك أن تعجب حينما يواجهك بهذا السؤال عقلاء القوم، والصالحون منهم، وكأن هذا السؤال يشطر الناس إلى قسمين؛ أنصارٍ للمرأة، وأعداءٍ لها، دون أن يدركوا أن هذا السؤال وافدٌ لنا من بلاد الغرب، بسببِ الثورة الفرنسية، ومطالبة المرأة بالمساواة مع الرجل، فمن وافق على مساواة المرأة بالرجل وقتها، وصفوه بأنه من أنصار المرأة، ومن اعترض على المساواة وصفوه بأنه (ضد المرأة)، وعلى ذلك فليس لهذا المصطلح ارتباطٌ بديننا، أو مجتمعنا.

يفلق رأسك القوم بهذا السؤال حين تتحدث عن التعدد، أو حين توصي في علاج المرأة بالهجر أو الضرب، أو حينما تأمر بنزع القوامة من الزوجة وإعطائها لزوجها، أو حين تنصحهم بالحزم في غيرتهم على محارمهم، والتدقيق في شأن تربية الزوجات ولباسهنَّ، فتفاجأ بشفتي محدثك ترتسم عليها ابتسامة الصياد، حين يصطاد فريسته، وكأنما وقع على كنزٍ من بقايا ثروة بني ساسان، وما أقبح الجهل المركب.

أوصانا الله تعالى في معالجة نشوز الزوجة بمراحل ثلاث؛ الوعظ، ثم الهجر، ثم آخرها الضرب، فهل يحقُّ لمسلم أن يصف ديننا بأنه ضد المرأة؟!، ووصف القرآن الكريم النساء بأن كيدهنَّ عظيمٌ، أو وصفه بأنَّ من طبيعة المرأة أنها في الخصام غير مبينٍ، أو بأنَّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم تكريماً خاصاً، دون أن يكون السجود لحواء عليهما السلام.

أخبرنا النبي ﷺ بأنَّ النساء أكثر أهل النار؛ بسبب كفرانهنَّ لإحسان أزواجهنَّ، فهل يحق لمسلم أن يصف نبينا ﷺ بهذا الوصف القبيح تحت وطأة هذه التقسيمات؟!، فكيف بوصفه ﷺ بأنه لا يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأةً، وكأنَّ يداً ترتسم من بعيدٍ، تومئ إيماءً بأن الدين ضد المرأة، وهذه الإيماءة لا تملك الجسارة على الظهور، لكن أصحابها يكتفون بانتقاد التفاصيل، ووجدوا من بيننا من يقتحم الحمى، دون أن يعلم أبعاد هذه الفكرة.

ويكثر الحديث والنصح في مطالبة الزوج بمشاورة الزوجة في أمور الحياة، وأن هذه المشاورة من دأب النبي ﷺ؛ حيث شاور أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية، وأم سلمة هي التي روت حديث: (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد ومالك، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنع النساء بذيولهن، قال: يرخينه شبرًا، قالت : إذن تنكشف أقدامهن، قال: يرخينه ذراعًا لا يزدن عليه) الترمذي وصحح الألباني / صحيح الترمذي ١٧٣١، فأين الحماسة المفرطة، والتكرار المفرط لحديثها في الاستشارة، ولم يقابله الاهتمام الموازي بحديثها التي روته عن الستر، مع كثرة ما نراه من التكشف المحرم، والتهاون الجريء في ألبسة النساء، فلماذا جاء الاهتمام وشقه مائلٌ؟!.

الأزواج والإنتاج

يقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥)﴾ التغابن.

الزوج والزوجة بوابة إلى الجنة حينما يخالط الإيمان قلبهما، وهما أيضاً طريقٌ إلى النار حينما يخالط الكفر، أو المعاصي حياتهما.

فالزوجة تكون عدوة للزوج عندما تقوده إلى قطع الرحم؛ كقطعه عن أمه وأخواته، أو تكثر مطالبته بالمال، حتى تفتنه في صبره، فتضطره إلى جمع المال من الحلال والحرام.

يقول مجاهد رحمه الله: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم...) قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم، أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبِّه إلا أن يطيعها).

وقد تكون الزوجة عدواً حينما تقعد زوجها عن الجهاد، وتحبب إليه الامتناع عن البذل في سبيل الله تعالى، من أجل توفير الراحة والطمأنينة لها، فيستجيب لطلبها، فيكون في إبعادها له عن الجهاد، مشابهةٌ لفعل العدو، والحذر من الأعداء ومكائدهم محبوبٌ شرعاً.

يقول ابن العربي رحمه الله: (إن العدو لم يكن عدواً لذاته، وإنما عدواً بفعله، فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد والطاعة) القرطبي ج ١٨ ص ١٤٨

ومن العداوة أن تجبره على الظلم والجور بين أولاده، كأن يمنح أحد أبنائه ما يزيد على بقية أولاده، يقول النبي ﷺ لبشير بن سعيد عندما أراد أن يمنح ابنه النعمان حديقة: (ألك ولد سواه؟، قال: نعم، قال: لا تشهدني شهادة جور) رواه البخاري.

وعداوة الزوجة تأخذ نمطاً سيئاً حينما تجعل زوجها يسافر لفعل الفواحش، فتنام راضيةً قريرة العين، ولكنَّ طبول الحرب

تدقُّ فوق رأسها لو فكَّر زوجها في أن يعدد الزوجات، وتتجاهل سفره في الحرام، أو مقارفته للزنا، وترى أن الحرام أرحم.

والزوجة عدوٌّ من الأعداء حينما تجعل زوجها يميل تجاهها، على حساب زوجاته الباقيات، فتعينه على المجيء يوم القيامة بشقٍّ مائلٍ.

وربما ارتكبت الفاحشة، فجلبت له أولاداً في الحرام، فيتربى الولد الحرام من المال الحلال، ويلحق النسب الحرام بالنسب الحلال، وينفق المال الحلال على الولد الآتي من الحرام، بسبب عداوة زوجته.

ويكون الولد عدواً لأبيه عندما يلتهي به عن العمل الصالح، أو يحمله حبه لأولاده على معصية الله تعالى فيسرق، وينهب، ويتعامل بالربا، كل ذلك قد يستبيحه بدعوى أنه يريد إطعام بنيه، وكسوتهم، وينسى أن الرزق بيد الله تعالى، وما عليه إلا أن يجمل في الطلب.

وقد تغلبه العواطف أمام مطالبة زوجته، فيقدم لهم المحرمات، وفي الوقت ذاته يقصِّر في أوجب الواجبات؛ كأن يقدم لهم القنوات المحرمة، فيستحيل الحرام في قلبه إلى ضرورةٍ، ويتدحرج ذلك الزوج في سلسلة من التنازلات، وهل جهنم إلاَّ هاويةٌ ودركات؟!، وكثير من الرجال لا يقبل ألبتة دخول القنوات منزله، لكن رضيه بعد الزواج لزوجته المصون!، ومثله الذي يمنع أهله من استقدام الخادمة، أو ارتداء الألبسة المحرمة، ولكنه بعد الزواج تنازل عن كل ذلك.

ومن العداوة التي يفعلها الزوج ضدَّ زوجته وأولاده أن يترك

تعليمهم شؤون الآخرة، ولم يعلم بيته، ولم يقم بالقوامة بأمانة، فيصبح غاشاً لرعيته، فيتربى من تحت يده بدون دينٍ أو هدىً، فلا تجدهم يحفظون القرآن الكريم، ولا يعرفون كيف يصلون، ولا يفقهون للذكر أهميته؛ بل حتى لو بلغ الابن الحلم، فإن الأب يهمل تعليمه ما أوجبه الله تعالى عليه تجاه ولده.

ومن العداوة أن يرحمهم من العبادة، وإيقاظهم للصلوات، وهي رحمةٌ مغلوطةٌ، مخالفةٌ للشرع حين يفعلها الأب الصالح، أو أن يستجيب لإلحاح الزوجة، وخصومتها حتى يتنازل ويأذن لبناته بالملابس المحرمة شرعاً، أو السماح لهم بمخالفة أوامر الله تعالى.

ومن عداوة الزوج أن يجبر زوجته على مشاهدة القنوات العاهرة وما هوإلا عدوٌّ يمهد لرعيته طريقاً إلى النار.

والزوج عدوٌّ حينما يدعو زوجته إلى شرب الحرام، أو يروضها على خلع الحياء، بأن يسافر بها إلى بلاد الكفر والانحلال، أو يعالجها حين مرضها عند طبيبٍ رجلٍ، مع توفر الطبيبة.

فكما توجد في المجتمعات زوجاتٌ مثل زوجة نوح ولوط عليهما السلام، يكون في الأزواج زوج مثل فرعون.

إنَّ القوم استضعفوني

نظرة المجتمع عندما لا يرحم، فحتماً سوف لن يُرحم، فالزوجان يخضعان لقوانين المجتمع، وكلما ازدادت مفاهيم المجتمع الخاطئة، وقوانينه الجائرة، ازداد شقاء الأسرة التي تنتمي إليه، فالأسر الصالحة التي تمنع القنوات الإعلامية السيئة من التسلل لبيوتها، لا يمكنها الخلاص من إفساد تلك القنوات؛ لأنَّ الأسرة لا بدَّ أن

تخالط المجتمع الذي يحذو حذو الإعلام، ومهما حاولت الأسرة التمرد على فساد المجتمع، فإنَّها ستضعف وترضخ له ولو في بعض الأمر، فمن أراد تزويج ابنه أو ابنته بعد البلوغ، فلا مناص له من أن يزوجها من بنات المجتمع، ومن دعته غيرته ورجولته إلى أن يتقرب إلى الله تعالى بأن يبالغ في حجاب محارمه، انبرى له من المجتمع كلُّ همزةٍ لمزةٍ يسخرون منه، وربما اتهموه بالمبالغة والتشدُّد، في حين أنهم لم ينبروا لمن بالغ في تعرية نسائه، وأهمل حشمتهنَّ، فينطق القانون العتيد بقوله: (كلُّ منْ أراد أنْ (...) فالمجتمع لنْ (...)، حتى ولو أمر به القرآن والسنن).

مستشارات الشيطان

(مستشارات الشيطان) فئةٌ من النساء، يرفضن النطق بالحقيقة، وينصحن بالتمرد على الزوج، وعدم الطواعية له، ويرسمن صورة المرأة المثاليَّة، والزوجة الحضارية القديرة؛ أنَّها تلك المرأة التي يضرب لها الزوج ألف حساب.

كعادة الملوك ينفخ إبليس نفسه، صانعاً له عرشاً كعروشهم، ويحيط ذلك العرش حشدٌ من الشياطين؛ الذين يتسابقون لرضاه بتقديم قرابين الخطايا والإفساد، وأقربهم مجلساً، وأحبُّهم مكانة وقربة له؛ ذلك الشيطان الذي أفسد بين الزوج وزوجته، حتى أوقع بينهما الطلاق، فيبتسم إبليس إعجاباً له وتشجيعاً فيقول له: (أنت أنت)؛ (كلمة ثناءٍ ومديحٍ؛ لأنَّه بلغ قمة الإفساد أكثر من الباقين).

لم يكن في مجلس إبليس إلاَّ شياطين وأبالسة، ويبدو أنَّ بعض شياطين الإنس ينافسون الجمع الشيطاني في مهمة التفريق بين

الزوجين، غير أنَّ شياطين الإنس هؤلاء تغيبوا عن اجتماع شياطين الجن أولئك؛ وذهبوا ليحضروا اجتماعات الزوجات؛ فيمنحوهنَّ النصائح المزرية، ويثيروا حماسهنَّ ضد أزواجهنَّ، وينسجوا القصص التي تحتقر الزوج، وتصوره بحالٍ كريهةٍ؛ وليبرهنوا للزوجات الحاضرات أنَّ كلَّ واحدةٍ منهنَّ، تعيش مع زوج جبار، يريد أن يستعبدها، ويضللوا مفاهيم الزوجات الحاضرات بأنَّ الزوجة ساذجةٌ غبيةٌ، عندما تكون كتلك الزوجة المنكسرة المطيعة لزوجها.

إنَّ بعض شياطين الإنس نساءٌ متبرعاتٌ بدون مقابلٍ؛ لا يرتجين جزاءً ولا شكوراً، ولا ينلنَّ حتى كلمة ثناءٍ من إبليس كما أعطاها إبليس لذلك الشيطان، وإن كان إبليس يفرح بهؤلاء النسوة، ويبتهج لوظيفتهن المجانيَّة، ويأنس إبليس لازدياد أتباعه من (مستشاراته المتطوعات).

والزوجات أحد نمطين؛ فالنمط الأول: المتحدثات بالقصص الصحيحة المفعمة بقلة الأدب مع الزوج، أو الخالقات للقصص المكذوبة؛ بل يحدث خلافها تماماً، فترى إحداهنَّ يكتنز فمها بعشرات النصائح المفسدة، ونفايات الوصايا التي تهدم البيوت وتفسد الزوجة على زوجها.

حتى إنَّ الزوج ليأتي إلى زوجته ليجدها إنساناً آخر؛ خطراً، سريع الاشتعال، تبتعد عنه ٩٩ قدم، وقد تركها في ارتياح قريرة العين بحياتها، فإذ بها متغيِّرة، نافرة، ناقمة، فتتسع حدقة عينه اندهاشاً واستغراباً، ماذا دهاها؟!.

النمط الثاني: الزوجات المتلقيات المستمعات، عديمات

الشخصيَّة؛ فترى إحداهنَّ في مجالس النساء، من شدة الذهول نسيت فمها مفتوحاً، واسترخت ملامح وجهها غارقة في دوَّامة الضوضاء والصرخات الإرشاديَّة، تشرب وتنهل من غثائهنَّ بغير تمحيص، ويلبسنها ما يخطن من التنبيهات والمحاذير ما لا يناسب مقاسها، أو ما يناسب، فهي بلا عقلٍ، ولا رأيٍ رشيدٍ.

وبعضهنَّ تستقبل النصائح بكبرياءٍ واستعلاءٍ، فهي لا تبدو أمامهنَّ بمظهر المستمعة؛ بل المعترضة، الرافضة، كثيرة الجدل، والردود، والاحتمالات المخالفة، مما يزيدهنَّ حماساً لإقناعها، فتستثيرك إعجاباً وأملاً بها، ولكنها تغادر ذلك المكان، لتطبِّق كلَّ ما قيل بحذافيره دون أن تخبر أحداً، فتراها صامدةً مستقلَّة ظاهرياً، ولكنها منهارة عديمة الشخصيَّة روحياً.

(لمستشارات الشيطان) أتباعٌ آخرون؛ فالأمُّ غير الحكيمة تقتحم إلى قداسة البيت عبر سماعة الهاتف؛ لتهمس لابنتها (بخريطة العصيان)، وأختها، أو رفيقتها تتسلل في أوقات الصباح حال غياب الزوج، ومجتمع الموظفات قد يضمُّ العديد من المستشارات، وفي وسائل الإعلام حدِّث ولا حرج؛ مسلسلاتٌ وأفلامٌ تقدِّم نماذج ودورات تدريبية ضد الزوج، وترسم قناعات ثابتةً، ومسلَّمات يقينيةً في عقل الزوجة؛ بأنَّ هذا هو الصواب والأصلح ولن تكوني سعيدة إلاَّ بهذا التمرد.

و(المرأة البحر) تهمس في أذن كل زوجةٍ، تحرص على سعادتها دنيا وآخرة: احذري كلَّ من يزيد غضبك على زوجك، أو يقلل من مكانته، أو يفسد حالة الرضا في بيتك، وما قدَّمتهنَّ لك هنا إلا لترقبي من حولك، وتتنبهي من الوقوع في الخطأ.

وإن كنتِ مستشيرة ولا بدَّ، فاستشيري الزوجة التي نجحت في زواجها، دون الزوجة التي بلغت مشاكلها المشرقين، أو مطلقة فشلت في حياتها الزوجية، فتغيرت مهمتها إلى موجهة أسرية، ومن عجز أن يكون شاعراً أو ناثراً؛ فليصبح ناقداً.

غرفة النوم الزجاجية

الزواج سرٌّ عظيمٌ يبقى بين اثنين لا ثالث لهما إلاَّ الله تعالى، وأقرب شخصين في الوجود على الإطلاق، هما الزوجان (الرجل المحيط) و(المرأة البحر)، وكلاهما صندوق أسرارٍ للآخر، إن جمعتهم الأيام، أو فرَّقتهم الدروب، فإنَّ السر يبقى سراً، يقول الله تعالى: (... وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ...) يذكرهم الله تعالى: (بلحظة المكاشفة)، وهي دلالة على القرب، ويعتب عليهم في المحاسبة على قنطارٍ وهو المهر، فكيف تفضون إلى بعض، وتصلون إلى مرحلة الدنوِّ الخطيرة، ثم بعد ذلك تدققون، وتتحاسبون على مالٍ ونقودٍ؟!.

(المحيط والبحر) يفقهان أنَّ المطلوب كتمه بين الأزواج، ينطوي تحت أمور منها:

• لحظات المعاشرة، فقد نهى الشرع عن الحديث علانيةً بما يدور بين الزوجين في تلك اللحظة، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: (إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته أو تفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه)، وفي رواية أخرى: (من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها).

وبعض المجالس كالمستنقعات المليئة بالأمراض والأوبئة، تلك المجالس التي تضمُّ الأخوات أحياناً، أو الموظفات، والجارات؛ حيث تتكشف فيه السوءات، ويجرهم السفه إلى التفكُّه بكشف ما لا يسرُّ كشفه، صدقاً، أو كذباً، أو تخيُّلاً.

سألت إحداهنَّ، وهي بكرٌ لم تتزوج قائلةً: إن صاحبتي لها زوجٌ قبيح الخصال، عسير الوصال، فما الحلُّ معه؟، أجابها الحكيم: تلك مشكلة صاحبتك، وسرٌّ من أسرار بيتها، فما دخلك أنتِ؟!.

• وأيضاً ما يتحدث به بعض الوقحين في المجالس عن مواعيد الدورة الشهرية لزوجاتهم، من باب الطرافة (نقص رجولةٍ مخلوطٌ بقلة أدب).

• كما أنَّ كتم المشاكل الزوجية غاية في الأهمية؛ بل هو عين العقل، وقمة الحكمة، خصوصاً كتمها عن الأهالي إلاَّ في حالة دخول طرفٍ ثالثٍ، مرشدٍ، حكيمٍ، عاقلٍ يلم شتات النفوس، ويصلح ذات البين، يقول عليّ الطنطاوي رحمه الله: (وفي كثير من الحالات كنت أوفق إلى الإصلاح بين الزوجين، وأول شروط الإصلاح أن أرفع أيدي الأهل عن الزوجين، كنت أجد الزوج يدخل ومعه جماعة من أهله ومن أقربائه (فزعة، يفزعون له)، وتدخل المرأة ومعها فزعة من أهلها، هؤلاء الذين يوقدون نار الخلاف كلما أوشكت أن تنطفئ، مع أن الله جعل بين الزوجين مودةً ورحمةً، فإذا انفردا تصالحا.

فكنت أصنع شيئا عجيباً، أؤخر الدعوى ساعة أو نصف ساعة، وأدخل الزوجين إلى غرفة منفردة، وأدعهما ينتظران موعد المحاكمة والنداء عليهما باسميهما، فإذا انفردا بدآ بالخلاف

والسباب، ثم تدرجا إلى العتاب، ثم اقتربا إلى المصالحة، فلا يخرجان غالباً، إلاَّ وهما مصطلحان.

فأنا أنصح القراء ثمرةً لتجاربي الطويلة في المحكمة، وتجاربي التي هي أطول منها في الحياة ألاَّ يدخل (أهل الزوج) و(أهل الزوجة) بينهما إلاَّ في حالات الخلاف الشديد أو لدفع ظلمٍ لا يجوز السكوت عن مثله) ذكريات ج ٤، ص ٢١٧.

ومن هؤلاء الأزواج الذين يتنقلون في المجالس تنقل الذباب، ينشرون أسرار بيوتهم تحت مظلة (الفضفضة)، وما أقبح أنين العذارى عندما تسمعه من أفواهٍ تعلوها الشوارب، يخرج أحدهم من مجلسٍ عامرٍ بالرجال الأغراب، وقد علم جميع من حضر بمشكلته مع زوجته، ثم يضع معطفه على كتفه متجهاً صوب مجلسٍ آخر؛ ليعطي نبذةً مجانيةً موجزةً، أو مطولةً عن مشكلته مع زوجته لكلِّ داخلٍ.

وفي الختام يطيب المقام بحكمةٍ تقول: (خصام المحبين تجديد المحبَّة).

• (العيوب) أيضاً مما يجب ستره، فقد تم إعلان الرضا ببعضنا رغم كل العيوب، فلا مبرر للتهكم، أو الحماقة، وإفشاء المعايب والمقابح، ولكن بعض المغفلين يجعل من بيته، وحياته الزوجية (فاكهة للمجالس)، وهذا على سبيل المثال، وليس الحصر و(الرجل المحيط) يعطينا النصيحة بالإشارة، والحر تكفيه الإشارة.

❖ ❖ ❖ ❖

الطلاق الرحيم

مهما تشنج المتشنجون، وبالغ الحريصون، فإن الأمور تقاس بمقياس الرب تعالى؛ حيث لم يجعل الطلاق كفراً، ولا كبيرةً، ولا محرماً، بل حينما يعجز الزوجان عجزاً تاماً عن العيش مع بعضهما، يبقى أمامهما الطلاق، وهو ما يحتاج المزيد من الإيضاح في النقاط التالية:

١-لم تنزل آيات في أحكام الطلاق وحسب، بل نزلت سورة الطلاق كاملة نظرا لأهمية الموضوع.

٢- الإسلام يجعل خروج المرأة من بيتها بعد إتمام عدة الطلاق، وليس بعد الطلاق، يقول الله تعالى: ﴿لا تخرجوهنَّ من بيوتهن، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة...﴾الطلاق، وواقعنا المتخم بالمفاهيم الخاطئة، يجعل الزوجة تهدد بالخروج من البيت؛ بل وتخرج من البيت قبل حدوث الطلاق.

٣-المطلقات لسن سيئات، ولا معيبات، ونجد أن الله تعالى خاطبهنَّ باحترام، فمن الخطأ الفادح أن يحتقرهنَّ جاهلٌ، أو يزدريهنَّ، والرسول ﷺ تزوج من زينب بنت جحش، وهي مطلَّقة زيد بن حارثة رضي الله عنهما، وطلَّق النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها.

٤-الله في علاه هدد زوجات النبي ﷺ بالطلاق حينما أكثرن من مطالبته بالنفقة، هددهنَّ الله تعالى وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً(٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم

أجراً عظيماً﴾ الأحزاب ٢٩، فهل يعامل الله تعالى أمهات المؤمنين بأمرٍ لا يليق؟!.

٥-شرع الله تعالى الطلاق حلاً، ولم يجعله مشكلةً، وللأسف أننا في مجتمعاتٍ تنظر للطلاق بصورةٍ منكوسة؛ حيث ترى الحلَّ مشكلةً، والمشكلة حلاً، ولزاماً نحتاج إلى وقفةٍ حازمةٍ من العلماء، والعقلاء، وأهل الرأي، وأولياء الأمور؛ لتغيير القناعات التي تسبب في غرسها العلمانيون عبر الإنتاج الإعلامي الذي أفسدوا به الأسرة، فالعلمانيون يطلقون شعار (الزواج رباطٌ مقدَّسٌ)، والهدف هو أن يلقوا بالتبعات، والتكاليف المتعبة، على الزوجين؛ من أجل إرغامهما على البقاء مع بعضهما تحت أيِّ ظرف، حتى ساد الوهم بأنَّ (الطلاق) مشكلةٌ، وليس حلاً.

٦-الطلاق ليس أمراً مخيفاً ولا مرعباً، فهو في أقصى حالاته (حلالٌ بغيضٌ)، ولكنه ليس محرماً، ولا كبيرة من كبائر الذنوب، فمن حق الزوجة أن تطلبه إذا كان هنالك أمورٌ شرعيَّةٌ تستدعي الطلاق مثل: (الإفراط في الضرب- شرب السكر والخمرة-عدم النفقة-عدم الإرضاء الجنسي)، فكيف يكون من حقها شرعاً أن تطالب بالطلاق، ثم يعاقبها المجتمع بنظرات الازدراء والاتهام؟!.

٧-الإسلام جعل الطلاق تسريحاً (بإحسانٍ)، والعلمانية تجعله تسريحاً (بإهلاكٍ).

٨-قديماً كان زواج الصغيرات هو الأصل، فكان الطلاق متضائلاً إلى حدٍّ مذهلٍ، وحديثاً أصبح زواج الكبيرات بعد النضج هو الأصل، فتكاثر الطلاق حتى تفاقم، فلعنة الله على المفسدين.

٩-الأرياف والأماكن البعيدة عن المناطق الحضارية أكثر راحةً

من الطلاق، والمشكلات الأسرية، وفي هذا شاهدٌ معاصرٌ على ما يوفره الدين والمحافظة من السعادة للحياة والمجتمع.

١٠-وفي الدول التي حكمتها العلمانية وصلت تلك المجتمعات إلى الجحيم الدنيوي، والإرهاق الروحي، والضوضاء الجنسية، و(أزمة الزواج)، و(تفشي العنوسة)، و(الإسراف في الطلاق)، والجرأة على قداسته.

١١-ربما يحدث الطلاق بسبب سوء الزوجة، وربما يحدث بسبب سوء الزوج، وربما يحدث لسوء الزوجين، وربما يحدث ولا سوء في أحدهما، فالزبير طلق أسماء رضي الله عنهما، وذلك لعدم انسجام الطباع، فالقيادي متى تزوج قيادية، فالنجاح في زواجهما يكون ضعيفاً، والمزاج الحاد لا يعيش مع مزاج مثله، والغضوب لا يطيق الزواج إلاَّ من زوجة ذات دم باردٍ، وهكذا دواليك.

١٢-من أخطاء المجتمع أن تتركَ المطلقة بلا زوج، وهذا يعتبر من نقص الرجولة في المجتمع، وقصة حفصة رضي الله عنها خير شاهد، فالمجتمع ليس ظالماً للمطلقة فقط، بل وللمطلق كذلك.

• كثيرة الشكوى من حياتها مع زوجها لدرجة الاعتياد، تجيد (فن التذمر)، و(إيقاعات التشكّي)، فهي (خنساء القرن العشرين)، ولكنها لا ترثي أخاها صخراً؛ بل ترثي حياتها التي تحسدها عليها كثيراتٌ من النساء، ولكنَّها (عمياء القناعة)، فهي لا ترى النعمة التي تحياها؛ ومثل هذه تستحق الطلاق بشهادة نبينا وأبينا (إبراهيم) عليه السلام؛ حيث إنَّ إسماعيل عليه السلام حينما جاء إلى زوجته كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟، قالت: نعم؛ جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني: كيف عيشنا؟،

فأخبرته: أننا في جهدٍ وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم؛ أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك: غيّر عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها وتزوج من أخرى) رواه البخاري.

أنماط الخيانة

• إنَّ فعل الفاحشة هو الأبرز والأفظع في مظاهر خيانة الزوجة لأعظم حقوق زوجها على الإطلاق؛ بل من أعظم الخيانة على الإطلاق، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: (ألا أخبركم بالثلاث الفواقر؟)، قيل: وما هنَّ؟،... وذكر منهم: وامرأة السوء: إن شَهِدْتَها غاضبتك، وإن غبت عنها خانتك) أثر صحيح،أخرجه ابن أبي شيبة ٣٠٩/٤ بسند صحيح، ولا يحق أن تهين عرضها، تنفيساً، وانتقاماً من زوجها، فالعرض ملك لله تعالى، وليس لها، وإن نجت من (حد الرجم) في الحياة، فلن يغفر لها الله تعالى يوم الدين؛ من أجل هذا المبرر السخيف، وإنما دخلت علينا مثل هذه المقابح من القصص الغربية العالمية في هذا المجال، لأنهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم.

والفواقر: هي الدواهي لأنها تحطم فقار الظهر.

• ومن خيانة المرأة للزوج؛ أن تتبرج حال غيابه، وتلتزم بالأخلاق حين حضوره، وذهابها معه، كما يحصل في الأسواق من التساهل، والعبث، والمماجنة، ومضاحكة الرجال، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثلاثةٌ لا يُسأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعة، وعصى إمامه، فمات عاصياً، فلا يُسأل عنه، وأمةٌ أو عبدٌ أبق من سيده، وامرأةٌ غاب زوجها، وكفاها مُؤْنَة الدنيا، فتبرَّجت،

وتمرَّجت بعده) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو حديث صحيح / صحيح الجامع ٣٠٥٨.

• يقول عبدالله الجديع: (ومن خيانة المرأة زوجها في نفسها، وهو لا يعلم ما يفعله بعض النساء من الامتناع عن الحمل والإنجاب، باستعمال الأدوية أو غيرها من غير إذن الزوج، فإنَّ إنجاب الأولاد من حق الزوج لا يسقط إلاَّ بإذنه.

والثاني: حفظها لما خلَّف زوجها من بيت، ومتاع، وأموال، وأبناء، فلا تُدخل بيته من يكره، ولا تفرط بمتاعه وأثاثه، ولا تصرف أمواله في غير وجوهها، ولا تُهمل أبناءه فيضيعون بعده، .... إلى أن قال: فتفريط المرأة في حق زوجها في غيبته أو غفلته من المخالفة له، التي تخرج الزوجة من الصالحات القانتات، إلى كونها من الخائنات المخادعات، فيا خسارة من كان هذا وصفها) صفة الزوجة الصالحة ص: ٦٤.

ويذكرني المقام بطوارئ ينبغي للزوجة أن تراعي أنها من حقوق الزوج:

١-عند وقوع المرأة عامةً، أو الزوجة خاصةً في حالة من التحرش الجنسي بها، فإنَّ الخيار الأوحد هو أن تبلغ وليها، مهما كانت الظروف، وتحت أيِّ عواقب، وهذا مما يدل على رجاحة عقلها، لتفويت الفرصة أمام هذا العابث، ولأنَّها (عرضٌ) لرجلٍ، وليست سيدة نفسها؛ بل من حقِّ صاحب الملك والرعاية أن يحاط علماً بمثل هذه المصائب للوقوف لها، وانتزاع حقه المعتدى عليه، ومن الخطأ المستشري لدى النساء أن تصمت عندما تقع فريسة لابتزازٍ جنسيٍّ، أو لمسةٍ غادرةٍ في أماكن الوظيفة، أو محلات

البيع، أو في أماكن التجمعات؛ بل ربما يكون التحرُّش من أحد أقارب الزوج؛ كأخيه مثلاً، فتستند بعض الزوجات إلى حكمتها البعيدة عن الحكمة والتجربة، وتتوهم أنَّ الأمر يسيرٌ جداً، ولا داعي لإثارة المشاكل، وتصعيدها لزوجها، أو أبيها، أو أخيها.

٢-باتصالٍ هاتفيٍّ عن طريق الخطأ (احذري) من زائر المساء، فبتكراره الاتصال يهدف أن يسرق منك حياءك، ويرتكب معك الفاحشة، فهو يحاول أن يرتبط بأيِّ أنثى باسم الأخوة، أو الصداقة، أو أنَّ صوتها سحره، وعصف بكيانه.

والحلُّ الناجح لدى (المرأة البحر) أن تسارع بإخبار زوجها بشأن هذا اللصّ، لتحظى في النهاية بثقة الزوج، وتهنأ براحة البال من الشوشرة، وتنهي المشكلة في أسرع وقتٍ، وتكون بذلك قد ألقمت ذلك الحقير قطعة من الحجر.

وتعال لننظر إلى الأساليب الخاطئة التي تمارسها بعض الزوجات أمام هذه المشكلة:

١-قد تستعرض بعض الزوجات عضلاتها في مثل هذه المواقف، فتلبس جلد النمر، وتقوم بإظهار مخالبها، لتقف في وجه هذا القذر، فتبدأ بتراشق العبارات الهجومية معه، ومثل هذا الأسلوب لا يطرده؛ بل يجعله يؤوب، ويتلذذ بالمواصلة.

٢-قد تتكتم على أمره، وتتجاهله على مبدأ التعامل مع السفهاء، وربما لا يجدي هذا الأسلوب مع هؤلاء الأنذال، لأنهم يتحلون بالنفس الطويل، والصبر لوجه إبليس، فيشعر أحدهم بالأمان إزاء صمتها، فيواصل مشواره الخسيس.

٣-قد تنفرد لوحدها لحل المشكلة، فتبدأ تجعل الهاتف على

(الوضع الصامت)، متوهمةً أن يصيبه الملل، فيبحث عن غيرها، ولكن الأمر يتفاقم، وبراكينه تنفجر، وسوف لن تستطيع أن تسيطر على زمام البلاء المنفرط، ولو رأى الزوج مثل هذه المظاهر المريبة، فسيقع في (ورطة الشك) في زوجته، بسبب تصرفها الذي يثير غبار الريبة.

الماضي يهدد الحاضر

كانت قصتها أنّها ...

أو لنترك القصة، فالقصص الخاطئة متكررة، ولا جديد فيها إلاَّ الأسماء كما يقوله علي الطنطاوي رحمه الله، ولكن كما اتفقنا على أن نترك الماضي، تعالوا لأول أيام الزواج، فها هي تكتمل زينتها في زواجها بشاب تتمناه العديد من بنات جنسها، ولكن المصيبة والصفعة القاسيةً أنَّها بمجرد أن وجدت وقت فراغ حين غياب زوجها، توجَّهت صوب الهاتف؛ لتداعب أناملها أرقام (عًشيق الخطيئة)؛ الذي لم يتقدم لخطبتها، ولم يشرِّفه الزواج منها؛ فراحت تتواصل معه بعد أن تمت النعمة عليها بزوج الاستقرار وهدوء البال ... فأين الله؟! ألا بالشكر تدوم النعم.

من حقها

عندما يكون الزوج ظالماً، معتدياً، تاركاً للصلاة، معاقراً للخمور، أو زوجاً عابثاً يتفنن بالهجران الطويل بدون مبرِّر شرعي، أو كان مفرطاً في الضرب والإيذاء ظلماً وحماقةً، أوً يطالبهًا بكبائر تحارب الله تعالى فيها؛ كالتبرُّج، أو فعل الفاحشة، أو شرب الدخان، أو مشاركته في مطالعة القنوات الداعرة، أو الفاسقة،

أو السفر إلى بلاد الكفر، أو ارتكاب الحرام معها، فهنا تلجأ إلى الراشد العاقل من أهلها، ولاسيما إذا بلغت نهاية الطريق معه، ولم تنفع معه حيلةٌ، فإنها تؤاخذ بعدم بذل الجهد، ولكن لا تؤاخذ بالذهاب إلى أهلها، ودفاعها عن نفسها، فمطالبتها بحقِّها شيءٌ مشروعٌ بالطرق الصحيحة.

حوار مع زوجةٍ عازمةٍ على الطلاق

كانت الزوجة منفعلةً يعلوها صخب الغضب والطيش، وتصرخ في وجه زوجها؛ طالبةً الطلاق، لاقتناعها تلك اللحظة أنَّ الطلاق هو الراحة من العناء، وهو السعادة المنتظرة، ولم يعد بينها وبين السعادة والراحة إلاَّ أن تقوم بإدخال كلمة السر (طالق)، لتدخل بعدها عالم السعادة بحريتها المزعومة فخاطبتها (المرأة البحر) قائلة:

المرأة البحر: عزيزتي لن أمنعكِ من الطلاق، لكن ليتك تسمحين بالحوار معك في (ثمان قضايا)، لعلها تفيدكِ قبل الطلاق:

قالت: مشكلتي مع زوجي أوضح من واضحةٍ، ونقاطك الثمان كثيرةٌ، ولكن لا أجد ما يمنع من الإنصاتً لك، فما الوقفة الأولى؟.

الوقفة الأولى

المرأة البحر: قبل عزيمتك على الطلاق أسألك: أين الله تعالى؟!

قالت: في السماء!.

المرأة البحر: عفواً... لم أكن أقصد ذلك، وإنما أردت أن أسألك بصيغةٍ أخرى: لماذا تعاملين والديكِ بالبر والحسنى؟.

قالت: لأنَّ الله تعالى أمرني بالبر بالوالدين، فأمي عند قدميها جنتي، وأبي باب من أبواب الجنة.

المرأة البحر: ولو تعامل الوالدان معك تعاملاً قبيحاً سيئاً، فماذا سوف تفعلين حينها؟.

قالت: مهما حصل منهما، فهما الوالدان، يجب برُّهما، والإحسان إليهما.

المرأة البحر: فإنَّ الزوج أعظم شأناً من شأن الوالدين، وحقه أعظم من حقهما، وهو يأخذ المثال نفسه؛ فهو جنة الزوجة ونارها، ورضاه وغضبه في الحق، هو الذي يحدد مصير الزوجة في الآخرة.

قالت: ولكن الله تعالى أمر الزوج بالإحسان لزوجته، وزوجي خشن التعامل، فظ الطباع، حتى مللته، وكرهت الحياة معه.

المرأة البحر: مع الوالدين كان عقلك يفكر في الجنَّة والأجر، وحينما جاء الحديث عن الزوج، أصبحت تحاسبين وتدققين دون أن تفكري في الجنَّة والثواب، فليتك عاملتي زوجك الخشن مثل تعاملك مع أمكِ عندما كانت خشنة التعامل، فظة غليظة الطباع سواءً بسواء، مع الاتفاق أنَّ الله تعالى جعل حقَّ الزوج على زوجته، أعظم من حَقِّ الوالدين عليها، وهنا انتهت الوقفة الأولى تقريباً، فهل توافقين بالانتقال للوقفة التي تليها؟.

قالت: ولماذا قلت كلمة (تقريباً)؟، هل بقي في حديثك شيءٌ لم تقوليه؟.

المرأة البحر: لم أنته تماماً من هذه النقطة، لأنّي أحببت أن أجري مقارنةً سريعةً، حتى أبين مدى الجهل المنتشر بحقوق

الزوج.

قالت: تريدين أن تجري مقارنة بين ماذا وماذا؟.

المرأة البحر: بين حق الزوج، وحق الوالدين.

قالت: إذن اجعليها هي الوقفة الثانية.

المرأة البحر: وهو كذلك.

الوقفة الثانية

المرأة البحر: من المظاهر المرفوضة عندنا؛ أن ينتقد الابن والديه أمام الناس، أو يذمهما بأيِّ حديثٍ لا يليق، والناس يستحقرون من يفعل مثل ذلك.

قالت: صدقت، فحتى لو كان الابن صادقاً في انتقاده، فإنَّه ناكرٌ للجميل، ولن ينظر الناس إلى صدقه من كذبه، ولكن سينظرون إلى سوء أدبه.

المرأة البحر: وهذا الوصف الذي قلتيه، ينطبق على الزوجة أيضاً عندما تنتقد زوجها أمام الآخرين، وتنثر الشكوى والتذمُّر منه، فإذا كان انتقاد الوالدين أمراً قبيحاً مرذولاً، فإنَّ انتقاد الزوجة لزوجها في المجالس أقبح، وأشنع، وأبشع.

قالت: ربما قالت الزوجة ما قالت؛ لأنَّها تبحث عمن تشتكي إليه.

المرأة البحر: لا تأخذي الأمر بهذه السهولة، فالزوجة بشكواها أمام الناس لا تفعل شيئاً محرماً وحسب؛ بل الشكوى هنا كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأنَّها تغتاب زوجها، وتذكره في غيبته بما يكره، ثم إنَّ الله تعالى مدح خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، وذكرها في القرآن الكريم؛ لأنَّها اشتكت زوجها وظلمه إلى الله تعالى:

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ).

قالت: أتوقع أيضاً أنك ستذكريني ببيت الشعر المشهور:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما   تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ

المرأة البحر: لا ... بل أذكرك بأنَّه كما أوصانا الله تعالى بأن نصاحب الوالدين في الدنيا معروفاً وإحساناً، حتى ولو طالبونا بالكفر؛ بل حتى لو جاهدونا لأجل الإشـراك، فإنَّ المعروف والإحسان يكون من باب أولى مع الزوج الذي لم يصل إلى ذلك الحد الخطير من السوء، وهذه آسية بنت مزاحم رضي الله عنها، وهي من أكمل النساء؛ ضرب الله تعالى بها مثلاً للزوجات ممتدحاً موقفها الحكيم السليم، تجاه الزوج الذي يأمرها بالكفر، ويعذبها، ويظلمها، ويشمت بها، وهي تشتكي من زوجها، ولكن قدمت شكواها إلى الله تعالى حيث قالت: (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) التحريم :١١.

قالت: هل انتهت الوقفة الثانية؟.

المرأة البحر: نعم .. تنتهي الوقفة الثانية مع اقتناعك أنَّ آسية رضي الله عنها صارت من أكمل نساء التاريخ؛ بسبب تمسُّكها بدينها، وصبرها على سوء زوجها، وحسن تعاملها معه، وبالمقابل تهبط الزوجة إلى مستوى (الخيانة الزوجية)، وإلى الوعيد بدخول النار، إذا ساءت طباعها مع الزوج الصالح، كما ضرب الله تعالى في ذلك مثلاً آخر محذراً الزوجات: ﴿ضرب الله مثلاً

للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ التحريم: ١٠.

قالت: قبل أن تنهي هذه الوقفة، أودُّ أن أسألك: هل فعلاً وقعت منهما الخيانة الزوجية؟.

المرأة البحر: فما معنى الخيانة الزوجية في نظرك؟.

قالت: الخيانة الزوجية معروفةٌ ومشهورةٌ؛ كأن يزني أحد الزوجين، أو يكون له علاقةٌ جنسيةٌ محرمةٌ؛ أو علاقات بالهاتف، أو في محادثات الإنترنت، فهذا من الخيانة.

المرأة البحر: وهذا المفهوم مختلف عما تدلُّ عليه الآية، وقد استقاه الناس من المسلسلات التي أفسد بها العلمانيون مفاهيمنا، ومفاهيم الزوجات بالذات، حتى أصبحت بعض الزوجات تقول عن زوجها: (إنَّه خائن للعشرة، حينما تزوج من امرأةٍ ثانيةٍ).

قالت: فما المقصود بالخيانة الزوجية في الآية؟.

المرأة البحر: لم تفعل زوجات الأنبياء عليهم السلام أيَّ فاحشة أبداً، وما بغت زوجة نبي قطُّ على أنبياء الله صلاته وسلامه، وإنما المقصود بالخيانة، قال ابن كثير: أي في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، وليس المراد فخانتاهما في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أما خيانة امرأة نوح، فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه، وقال: ما بغت امرأة نبيٍّ قطُّ، إنما كانت خيانتهما في

الدين). تفسير ابن كثير ٤ /٦١٤، وبهذا تكون الوقفة انتهت.

قالت: أشكرك على تصحيح هذا المفهوم الخطير لدي.

الوقفة الثالثة

المرأة البحر: هل سمعتِ عن الملايين من البنات اللواتي يصارعن (شبح العنوسة)؟، وكيف يعشن بين الألم والمعاناة؟.

قالت: نعم، رزقهنَّ الله الستر والزوج الصالح.

المرأة البحر: هل معيشتهنَّ أحسن حالاً منكِ؟، أم أنَّ حياتك التي مللتِ منها أفضل؟.

قالت: لماذا تبحثين عن الأسوأ للمقارنة؟، فتقارني حياتي المملَّة بحالٍ أسوأ منها كحال العوانس، ولم تقارنيها بحياة الزوجات السعيدات؟!.

المرأة البحر: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) رواه مسلم، والنظر إلى من دوننا يجعل النفوس تفرح وترضى بنصيبها من قسمة القضاء والقدر، وهنا انتهت الوقفة الثالثة، والوقفة التالية مرتبطةٌ بها، فتكرمي بالانتقال معي إليها.

الوقفة الرابعة

المرأة البحر: أحضري ورقتين، اكتبي في الأولى محاسن زوجك، واكتبي في الثانية مساوئ زوجك، مع شرط أن تكوني في حالة هدوء، وإنصاف، ونزاهة.

قالت: هل تقصدين أنَّي لن أكون نزيهةً؟!.

المرأة البحر: نعم، فمن طبيعة البشر أنَّهم حينما يغضبون

يظلمون، وحتى القاضي يحرم عليه القضاء، إذا كان غضبان، أو جائعاً، أو حاقناً، أو غيرها من الحالات.

قالت: سمعاً وطاعةً، ما المطلوب بعد الورقتين؟.

المرأة البحر: فكري بجدِّية؛ هل الزوج الذي يحمل هذه المواصفات؛ حسنها وسيئها، لو عرضناه زوجاً للنساء العوانس، هل سيقبلن الزواج منه؟، أم سيرفضنه؟.

قالت: فهمت المغزى، والغيرة تمنعني من الجواب!.

الوقفة الخامسة

قالت: الحياة شاقَّةٌ بهذه المعيشة.

المرأة البحر: ماذا تقصدين بقولك هذا؟.

قالت: أقصد حياة التعب، والشقاء، والمشكلات.

المرأة البحر: لنجعل هذه النقطة هي الوقفة الخامسة، وهي الحديث عن (قانون الحياة).

قالت: ما قصدك بقانون الحياة؟.

المرأة البحر: من الضروري للزوجين؛ وأنت بالذات أن تعرفي أنَّ للحياة قوانينها، وأنَّ من أهمَّ بنود هذه القوانين أنَّ حياة الإنسان مخلوقةٌ على الشقاء والكدر، فالله تعالى يقول: (لقد خلقنا الإنسان في كَبَدٍ) البلد: ٤، فهذا حال الدنيا.

ما زالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى

قالت: لا أجد هذا الكلام الذي تقولينه عند بعض الأسر التي تحيا في سعادةٍ ونعيم.

المرأة البحر: كذبٍ مَنْ قال: (إنَّ هنالك أسرةً ليس فيها مشكلات)، فمن المستحيل أن تعيش على وجه الأرض أسرةٌ لا تكابد المصائب

والاختلافات؛ لأنَّ الله تعالى أقسم بالبلد، وبوالدٍ وما ولد، أنَّه خلقنا في شدة، وعناء، وكبد.

قالت: وما لنا نرى بعض الأسر تعيش بدون مشكلات؟، أحتاج تفسيرك.

المرأة البحر: السبب هو حكمة الزوجين، ونجاحهما، فالبيوت السعيدة لا صوت لها، والزوجان الناجحان، لا تخرج مشكلاتهما مع النوافذ، أو من تحت الأبواب، حتى وإن كانت لديهما مشكلاتٌ عظيمةٌ، فإن اتضحت الفقرة، فأرجو أن تقبلي أن ننتقل للوقفة السادسة.

قالت: تحليلك للظاهرة جيدٌ، ولا بأس أن ننتقل.

الوقفة السادسة

المرأة البحر: للمرة الثانية، أراك تعقدين مقارناتٍ مع الأسر الأخرى؛ تلك التي ترين أنَّها ناجحة في زواجها.

قالت: وهل في هذا عيبٌ، فنحن نعيش مع من حولنا، وبالرغم عنَّا نطمح ونتمنى.

المرأة البحر: ليس صواباً أن نتمنى كل ما نسمع، لأنَّ بعض النساء حينما تتحدَّث عن زوجها لا تنقل للناس إلاَّ أحسن ما فيه، فهي تنقل الأحسن من أخلاقه، وتهمل الأقبح.

قالت: هل تقصدين أنَّ زوجي ربما يكون أفضل من غيره في بعض النواحي؟.

المرأة البحر: أحسنتِ فهذا ما قصدته بالضبط؛ بل إنَّني أحذرك من تصديق ما تقوله النساء عن أزواجهنَّ، لأنَّ بعضهنَّ تمتدح زوجها كذباً، وزوراً، ومبالغةً.

قالت: وما الذي يجبرها على الكذب؟.

المرأة البحر: ربما يكون زوجها من أقبح الرجال ديناً، وخُلُقاً، وشكلاً، ولكنها تكذب في مديحه عند النساء، من (باب التعويض)، فهي تشعر بالنقص، فتكذب بإفراطٍ من أجل تعويض ذلك النقص، والغبن الأسري الذي تشعر به.

أو ربما تكذب الزوجة نكايةً بالنساء الحاضرات، فتأتي بالمديح الغليظ الكاذب لتستعلي عليهنَّ، وتكيدهنَّ بهذا الدجل.

أو ربما تحضر الزوجة مجلساً نسائياً، تمتدح الزوجات فيه أزواجهنَّ بالحق وبالباطل، فتشعر برغبة في المشاركة، فتفاجأ بأن الصدق الذي لديها قد انتهى، فتنتقل للكذب والمبالغة، فتتورط بعض الحاضرات بتصديق بعضهنَّ، فترجع الواحدة منهنَّ إلى زوجها كارهةً له، محتقرةً لعيشتها معه، ولا ترى أنَّه يستحق الشكر.

وهؤلاء مفسداتٌ للبيوت، هادماتٌ للأسر، مندوباتٌ لإبليس، بدون رواتب أو أجور، سواءٌ شعرن بذلك، أو لم يشعرن.

قالت: هل أفهم من كلامك أنَّك تطالبين الزوجة بأن لا تمدح زوجها؟.

المرأة البحر: حديث النساء في أزواجهنَّ بلاءٌ منتشرٌ، وأغلب المجالس النسائية خصوصاً الموظفات ليس لديها إلاَّ الحديث المعاد المتكرر في الزوج واغتيابه، ولكنَّ السؤال الأهم ماذا تستفيد الحاضرات من حديث المرأة عن زوجها، مديحاً أو ذمّاً؟، فإن كان هنالك مناسبةٌ اقتضاها المقام، فإنَّها تثني عليه باعتدالٍ كالملح في الطعام، وإن كان حديثها عنه ذمَّاً وقدحاً، فهذا من كبائر

الذنوب الذي تأثم فيه الزوجة، وتأثم فيها المستمعات كذلك، وربما أصابتها (العين)؛ بسبب النفوس التي تحركت، أثناء مديحها الزائد، وللوقفة السابعة تكرمي بالانتقال.

الوقفة السابعة

المرأة البحر: هل لديك أبناء؟.

قالت: الحمد لله عندي أربعة أبناء.

المرأة البحر: هل تظنين أنَّه بعد طلاقك، سيتقدَّم لخطبتك زوجٌ أفضل من زوجك، وأنتِ معك أربعة أبناء؟، وقد مضى من العمر ما مضى.

قالت: هنالك من أقاربي مطلقاتٌ، تزوجن بأفضل من أزواجهنّ السابقين.

المرأة البحر: أتمنى أن لا تشقي في الحياة مرتين، لأنَّ إحصائيات الواقع تخالف كلامك تماماً، وملايين الأبكار يملأن الديار، ومن سيتقدَّم إلى خطبتك حتماً سيفكر في أولادك الأربعة، وعبء مسؤوليتهم، وهذا ما يجعل بقاءك مع زوجك أرحم، وأكثر حفاظاً على ذريتك، دعيني أختم معك حديثي بهذه الوقفة الأخيرة.

الوقفة الأخيرة

قالت: لا أكتمك سراً، بعد كل ما سبق، أريد أن أراجع قرار الطلاق.

المرأة البحر: هذه نتيجةٌ مفرحةٌ، وحتى تراجعي الأمر بصورةٍ أدقّ، أسألك سؤالاً جوهرياً: عندما تصرخين بطلب الطلاق؛ من سترضين بطلبك هذا؛ الله تعالى، أم الشيطان عندما ينصب عرشه على الماء في الحديث المعروف؟، أو بعبارة أخرى؛ من

ستغضبين الله تعالى، أم الشيطان؟

قالت: وهل يغضب الله تعالى عندما أطلب الطلاق من زوجي؟!.

المرأة البحر: أبغض الحلال عند الله الطلاق، والنبي ﷺ يقول: (أيُّما امرأةٍ سألت زوجها الطلاق من غير بأسٍ، فحرامٌ عليها رائحة الجنَّةِ) أخرجه أبو داود بسندٍ صحيحٍ. وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢٧٠٦).

قالت: إذن متى يحقُّ لي طلب الطلاق، دون أن أكون تحت هذا التهديد الرباني؟.

المرأة البحر: لك الأعذار الشرعية، إذا خشيت على دينك من فسق زوجك وفجوره، أو كان لا يصلي مطلقاً، أو كان ساخراً من الدين وأهل الخير، أو كان عنيفاً في ضربه بلا سببٍ، أو لا يقوم بحقكِ الشرعي في المعاشرة الزوجية، أو لا ينفق عليكِ النفقة الشرعية، وهو قادرٌ على ذلك، أو غير ذلك من الحقوق التي تستحق طلب الطلاق.

ربَّة مكتب

من حجج المنادين بإفساد المرأة؛ أنَّها أكرم من أن نختصر وظيفتها في الحياة بين جدران البيت، وأنَّ عملها في بيتها، ومعيشتها بين أربعة جدران للخدمة؛ ما بين تنظيفٍ وطبخٍ وتربيةٍ لأولادها، هو احتقارٌ لها ونقصانٌ من قدرها، ويصفون بقاء المرأة في بيتها: (بأنَّه تجنٍ وظلمٌ لها)، وتنتشر مثل هذه الدعوى، ثم تتلقفها النساء بألسنتهن وأيديهن.

في البلاد التي انخدعت بمثل هذه الدعاوى خرجت المرأة من (المطبخ المنزلي)، الذي مساحته (٤×٤) حين كانت تخدم فيه نفسها وبيتها فقط، لتنتقل إلى مطعمٍ مساحته (١٠×١٠)،

فصارت تخدم كلَّ الناس، فاستبدلنا المطبخ بمطبخ أكبر مساحةً وأسوأ حالاً ومنزلةً، وأخرجناها من نظراتٍ أخلاقيَّة من زوجها إلى نظراتٍ غير أخلاقيَّة من مرضى القلوب، ونقلناها من زوج يحترمها ويجلّها ويحبُّها ويخدمها، إلى المتاجرة الماديَّة من جمالها وجسدها، فمن شروط توظيف (النادلات) أن يكنَّ جميلات.

بل إنَّ بعض الزبائن لا يأتون لجودة الخدمات المقدَّمة؛ بل لتسريح العيون في جمال تلك النادلة أو تأمل جسدها، يقول محمد عفيفي: (حين تنظر إلى وجوه الجالسين على المقهى، أثناء مرور أنثى جميلة، تدرك أنَّ (قراءة الأفكار) ليست من الأمور المستحيلة).

وحين انخدعت تلك البلاد بدعوى أنَّ خدمة المرأة في بيتها صورة غير متحضرةٍ، جعلتهم (الحضارة الموهومة) يرمون بها في المطارات، والفنادق، والمطاعم، و أعمال الشرطة، وسيارات الأجرة، والمحلات التجارية، وفي المقاهي لتخدم هناك، فبدلاً من أن تكون خادمةً في بيتها، وسيدةً عليه في وقتٍ واحد، وتنال حقها من التعزيز والتكريم، سلَّموها لمن يطالب بتحريرها، فألقاها في أماكن الرجال لتكون في خدمة الناس جميعاً بلا استثناء؛ محترمهم و سافلهم، سيدهم وخادمهم، عزيزهم وسقيمهم، جميعهم يتأملونها ويطالعون جمالها، لأنَّ التجمل مطلوبٌ في (مقابلة الجمهور)، كي تبدو بمظهر جذَّاب للزبائن، ولما تمليه طبيعة المرأة وكياستها الاجتماعية، خصوصاً بحضرة الرجال، ولن تسلم من (همساتٍ سخيفةٍ) و(تعليقاتٍ تافهةٍ)، و(تدقيق فيما لا يليق مما لا يحسن ذكره في جسد المرأة)، من أجل ماذا؟!.

ولنفترض جدلاً أن المرأة تخلّصت من الخدمة في بيتها، (أو ما يقال عنه الظلم الذي هي فيه)، فإنَّ البيت -حتماً- سيحتاج إلى امرأةٍ أخرى ترعى شؤونه، وهي (الخادمة)، فما ذنب هذه الخادمة حتى تعيش في ظلم (القرار في البيت) الذي هربت منه صاحبته؟، أوليست الخادمة امرأةً؟!، فنحتاج مرةً أخرى إلى تحرير هذه الخادمة من هذا الظلم الجديد، أم أنَّ تحرير المرأة لا يُقصَد به كلُّ النساء؛ بل المقصود به (فئة مصطفاة من النساء)؟!، وأحيل القارئ الكريم إلى مزيد من التفاصيل المزودة بالوثائق والصور، حول هذا الموضوع في كتابي (هل يكذب التاريخ؟!) ص٢٨٥.

تغيير العتبة

قد يتوهم أنَّ التشكي خصلةٌ من خصال المرأة، فيتعامل مع هذا السلوك على أنَّه حتمٌ وقدرٌ مقدورٌ، ولكن الواقع أن الإعلام هو الزارع، والمحرض الأساس، وباعترافهم أنَّ هذا ليس هو الأصل؛ بل هو الطارئ، فتراهم يصفون الزوجات المطيعات الصالحات بأنهنَّ زوجات من (عصر الحريم).

نبي الله إبراهيم عليه السلام، خليل الرحمن، يأمر ابنه إسماعيل عليه السلام بطلاق زوجته، بسبب شكواها، علماً أنَّ تضجرها لم يكن افتراءً وبهتاناً على معيشتها مع زوجها؛ بل كانت تصف حالتها الأسرية بوضوحٍ وشفافيةٍ، ومع ذلك استحقت الطلاق بحكم نبيٍّ من أولي العزم من الرسل.

والجدير بالتأمل أنه أمر بطلاقها، ولم تكن مرتكبةً لجريمةٍ، أو كبيرةٍ، أو تتطلع للعلاقات الغرامية مع الرجال على الإنترنت، أو تتفلت من قوامة زوجها من أجل وظيفةٍ تخالط فيها الرجال،

وإنما (شكت) حالها لرجلٍ لا تعرفه، وما ذاك إلاَّ أنَّ إبراهيم عليه السلام يلفت نظر التاريخ وأهله إلى قضية مهمة، وهي إكرام الحياة الزوجية، وعدمِ اختصارها في نكاح واغتسال؛ بل يجب أن يكون الزواج مشروعاً بجناحين؛ يجمع الأعفاف وإنتاج الجيل الصالح، ومصنعاً للرجال، وعرين الأسود، فكان لزاماً أن يبدأ من الزوجة الصالحة، فمتى كانت الزوجة بهذا الصورة المتذمرة لنقصان النعيم والترف، والجزع من الفقر، والغرق في الجهل، فليست مؤهلةً لتربية الجيل، وليست صانعةً لرجالٍ يعطون للحياة ثمنها الحقيقي، وبالطبع لن تنجب أبناءً يقنعون بما رزقهم الله تعالى.

وإبراهيم عليه السلام يعطينا درساً غير مألوفٍ لعصرنا الذي انتكست فيه المفاهيم، فيأمر بطلاق الزوجة المتشكية، ولعل المتأمل يستشف الملامح التي دفعت نبي الله عليه السلام بوحي من الله تعالى أن يحكم بتطليق زوجة ابنه، وإن كان في القصة اقتضابٌ شديدٌ إلاَّ أن الفوائد من ورائها جمةٌ، لعل من أهمها:

١-الإنسان المتشكي لا يؤمن بقضاء الله وقدره، ولا يرضى بهما؛ فهو باختصارٍ شديدٍ يشتكي من قضاء الله تعالى وقدره للناس، ويشحذ تعاطف الناس، ويطلب تسلية الناس له في مصيبته التي كتبها الله تعالى عليه، ومن كان هذا طبعها مع خالقها، فكيف ستكون مع زوجها؟!.

تنفرد سورةٌ في القرآن الكريم باسم (المجادلة)، تبتدئ بالثناء على زوجةٍ تبث شكواها إلى الله تعالى، وليس إلى مخلوقٍ لا حول له ولا قوة، والثناء على قوم تنطق أفواههم: (الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) البقرة ١٥٦، ونبي الله

يعقوب عليه السلام يلهج في قمة مصيبته بقوله: ﴿... قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون﴾ يوسف ١٨، وأيوب عليه السلام يبوح وينادي: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذابٍ﴾ ص ٤١، ولا يوجد لهذه القاعدة استثناء مطلقاً.

٢-إبراهيم عليه السلام يريد لابنه أنموذجاً كأمه هاجر عليها السلام، حيث يستحيل أن يخرج إسماعيل عليه السلام إلاّ من رحم امرأةٍ كهاجر عليها السلام، فالولد الذي يقول لأبيه حين أراد أن يذبحه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات ١٠٢، لابدّ أن تكون أمه، هي تلك التي تقول لزوجها حينما تركها في وادٍ غير ذي زرع: (آلله أمرك بهذا؟!، إذن اذهب فلن يضيعنا)، فالزوجة المثالية، يخرج من إنتاجها الابن البار المثالي.

ومزيداً من الأهمية لطلب الولد الصالح، دعا زكريا عليه السلام: ﴿واجعله رب رضياً﴾، في وقت قد وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيباً، ومع ذلك لم يطلب ولداً ذكراً وكفى؛ بل قال: (رضياً)، وفي موضع آخر قال: ﴿رب هب لي من لدنك ذريةً طيبةً﴾.

٣-الزوجة المتشكية تنجب للمجتمع (جيلاً متشكياً)، والملل والمذاهب اتفقت على مهاجمة التشكي، ففي المثل: (أن توقد شمعة خيرٌ من أن تلعن الظلام)، فالزوجات الجاهلات أمهاتٌ جاهلاتٌ، وسوف يخرجن جيلاً جاهلاً، والزوجات السطحيات موردٌ زلالٌ للجيل الساذج، والزوجات العاكفات على مكياج وجوههنَّ، سيخرجن جيلاً يؤمن أنّه لا قيمة له إلاَّ بجمال وجهه، ولن يكون لروحه أدنى قيمةٍ، ولن يعطي للبشر قدراً إلا على

حسب الوجوه، لا على حسب الأخلاق وسلامة القلوب، والأمهات الأسيرات للأسواق، وملاحقة الموضات، يخرجن جيلاً أسيراً لبريق الماركات، وهؤلاء الزوجات أكبر صانعٍ للجهلة، وهنَّ أضخم حجرٍ في طريق العلم، فالنكاح ليس الهدفُ منه إحصاناً للفروج وكفى؛ بل هو اختيارٌ للأم؛ التي هي المحضن لقادة الدنيا، ورجال الآخرة.

٤-الزوجة المتشكية تفتت عزيمة زوجها المتصبر، وتقوده للتشكي، والزوجة الصابرة تخجل زوجها المتشكي، فيرعوي عن الشكوى، ويتصبر ويصبر، فالزوجة المتحسرة تضعف زوجها عن التصبر، والزوجة المتصبرة تضعف زوجها عن التحسر.

٥-المتشكي يرى إيجابيات الحياة، فيعيش حالةً مستدامةً من النكد، فيعود على نفسه أولاً بالضرر، وعبئاً على غيره أخيراً، فالزوجة المتشكية تؤذي نفسها، وزوجها، وأولادها، والمجتمع.

٦-أصحاب السنارات الغزلية، وأهل القلوب المريضة، والعابثون بالأعراض، يجدون المرأة المتشكية أسهل شيءٍ للاصطياد من المرأة الصابرة، والزوجة التي تستهويها دروب الخنا والزنا، تمتطي دابة الأنين والتحسر.

٧-القابضون على زمام الإعلام، والممسكون بخطام الأقلام ينتجون للمجتمع أنموذج (زوجة إسماعيل) بجدارةٍ، الزوجة المتذمرة، المتضجرة، الساخطة على عيشها مع زوجها، الكافرة للنعم، وسرِّح البصر إن شئت في الأفلام، والمسلسلات، والأغاني (الفيديو كليب)، والروايات.

٨- إنَّ الأب الصالح غير قادرٍ على تربية أولاده، مادامت هنالك

قوةٌ سيئةٌ للأم، حتى ولو كان الأب الصالح نبياً من الأنبياء عليهم السلام، فخيوط التربية لا يملكها جميعاً، ومتى حصل الجيل الصالح دون الإعفاف، فلا يسوغ الطلاق حينها؛ بل ينتقل الزوج إلى التعدد إن شاء، فقد لا توفر الزوجة لزوجها الإعفاف؛ لقبح شكلها، أو دمامتها، أو نحافتها، أو إفراطٍ في الفحولة عنده، ولكنَّ هذه الزوجة هي خير من يربي أبناءه، وخير من ينشئ الجيل الصالح، فلا مجال للطلاق وقتها، ولا مساغ للتفاوض.

❖ ❖ ❖ ❖

تديرونها بينكم

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت، فقال أين ابن عمك؟، قالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني، فخرج، فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟، فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقدٌ، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: (قم أبا تراب قم أبا تراب).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: دخل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يُؤذن لأحدٍ منهم قال: فأذن لأبي بكر رضي الله عنه، فدخل ثم أقبل عمر رضي الله عنه، فاستأذن، فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا، قال: فقال: لأقولن شيئًا أُضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها، فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: (هن حولي كما ترى

يسألنني النفقة)، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟!، قلن: (والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبدًا ليس عنده...). رواه مسلم، الحديث ٢٧٠٣.

(أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديداً عليها، فأتت أباها فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوجٌ صالحٌ، ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة) السلسلة الصحيحة ٣ /١٢٨١.

قال عمر بن الخطاب لابنته حفصة رضي الله عنهما: (أي بنية! أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟، قالت: نعم. فقال لها: أو أمنتِ أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ ولا تسأليه شيئاً، ولا تهجريه، وسليني ما بدا لكِ، ولا يغرنكِ أن كانت جارتكِ -يعني عائشة - أوضأ وأحب إلى النبي ﷺ منكِ) متفق عليه.

❖ ❖ ❖ ❖

دكتوراه في الجهل

عشرات الألوف أو تزيد، تستحقها المرأة (مهراً) لها، فتبدأ بالاستعداد للحياة الزوجية الجديدة، تراها تندفع مبالغة في شراء الملابس، وأصناف الذهب، والعطورات ومساحيق التجميل، والشنط، والأحذية، والساعات، والكريمات، وكل ما يضفي زينةً على مظهرها الخارجي.

لم يبق في الحقيبة شيءٌ من المهر، ولم يخطر ببالها أن تشتري (كتاباً واحداً) عن مهارات التعامل مع الزوج، أو فنون كسبه

ورضاه، أو ميزات الزوجة المثالية.

فكأنَّها أتلفت المهر كاملاً؛ لتجميل شكلها وجسدها، ثم أخذت هذا الجسد، وألقته على الزوج، وأهملت الروح دون أن تتزين بأيِّ زينةٍ، فهي علبة الهدايا الفارغة التي تبدو جميلةً جذابة في ديكورها، ولكن لو أدخلت يدك في جوفها لم تجد شيئاً، فلمن ياترى كانت تتجمل؟!.

تزعم أنَّها تجملت لزوجها، فهو الرجل الأول في حياتها، وأهمُّ إنسانٍ عندها، ومن ستبدأ بالحياة معه، فهي تحرص أن لا يشمَّ منها إلاَّ كل طيبٍ، ولا يرى منها إلاَّ كلَّ جميل، فإذا لم يكن اهتمامها لزوجها، فلمن يكون الاهتمام؟!، وترى أنَّها زوجةٌ عصريةٌ، وإنسانةٌ واعيةٌ.

ولو سألتها عن حقوق الزوج، أو طلبت منها أن تحدثك عن مهارات التعامل مع المشاكل الأسرية، وكيفية احتوائها، أو تربية الأبناء، أو فن التعامل مع أهل الزوج، لوجدتها معتمدةً في خبرتها على الطرق البدائية، التي تستقيها من (عصر الكهوف)، أو (تجارب الجاهلات)، فهي حاذقةٌ في كل شيءٍ إلاَّ أن تكون أمَّاً صالحةً، وزوجةً ناجحةً، واكتفت بأن تكون إمبراطورة في (ديكور القشور).

فإن كانت تحترم التراث، والتقاليد، والعادات لهذه الدرجة، فلتحاول إذن تطبيق التراث في مجال التجمُّل، والعطور، وغيرها.

ويمتدُّ الاستغراب فاضحاً الاهتمام بالمظاهر الجوفاء، حين تطالع الهدايا التي يقدمها الناس لهذه العروس، فلا تكاد ترى

بين تلك الهدايا، أيَّ كتاب عن الحياة الزوجية، أو خصال الزوجة الناجحة، أو ما يخصُّ الأُسرة، أو أي كتاب أصلاً.

ويتضاعف الاستغراب مؤكداً أنَّ هنالك اتفاقاً على الاهتمام بالمظاهر، في المشتريات التي تحضرها الأم لمولودها، أو الهدايا التي تتكاثر بأنواع مختلفة، دون أن ترى أيَّ شيءٍ يتعلق بتربيته ومعرفة نفسيته؛ بل كل ما هنالك اهتمامٌ أوحدٌ بهيئة المولود، وهندامه، فانكشفت الرؤية، وبان الخطر الكبير في مقاييسنا للإنسان، واختصاره في الشكل وحسب.

المثل الغربي يطبع بصمته مؤيداً خديعة المرأة؛ فهي مخدوعة حيثما كانت، يقول: (تشتري المرأة حذاءً يناسب الحفل، وليس ضرورياً أن يناسب قدميها)، فالمهم هو الناس فقط، وهذا من البلاء العالمي.

النساء لسن مصنوعات في قالب واحد يصلح لكلِّ الرجال، والرجال أيضاً ليسوا سواءً في نظرتهم للنساء فما يعجب زيداً من النساء ربما لا يعجب عمراً، والمرأة تأتي من بيت أهلها - في البيئة الإسلاميَّة- لا تعرف شيئاً عن زوجها، وكيفية التعامل معه إلاَّ ما تعرفه من علاقة أبيها بأمها، أو ما تعرفه عن أخيها، ثم تُصدم بأنَّ الزوج مختلفٌ في كلِّ شيءٍ.

❖ ❖ ❖ ❖

قاموس الأسرة

إنَّ الوارد في طباع البشر أن يقوموا بالتعبير عن بغضهم بالأفعال، دون أن ينطقوا بكلمة (أكرهك، أبغضك، أمقتك)، والحب مثل البغض؛ يتناقضان في الاتجاه، ولكنهما يتشابهان في طريقة التعبير، فلماذا تكون المطالبة بالتعبير عن الحب بصبه وصهره في قوالب (أحبك، حياتي، ملاك روحي، راحة بالي)، ولا نقتنع بأن شعور الكراهية والبغضاء، يحتاج أيضاً لكلمات وألفاظ بالطريقة نفسها؛ بل نقتنع أن العدو عدوٌّ، والمبغض مبغضٌ دون أن ينطقها بفمه، في حين أنَّ العقل يرفض التفريق في نمط التعبير بين مشاعر الحب ومشاعر الكراهية.

١- أحبك

اعتياد اللفظ الأنيق يزيد حجم القرب، ويرفع منسوب الحب، ويفرض تسامح القلوب عن أكبر الحقوق، وما جاءت الرخصة من الرسول ﷺ (بالكذب) في حديث الزوج لزوجته، أو الزوجة لزوجها، أو أن يقول أحدهما للآخر ما ليس فيه، إلاَّ لنعرف أنَّ المدح والثناء بين الزوجين في كثير من الحالات يصلح الكثير من الأقوال والأفعال لدى الطرف الثاني، ويزيد المحبة والترابط بينهما؛ بل إن الزوج قد يمتدح زوجته بما ليس فيها أملاً في أن يصبح ذلك من خلقها وسلوكها، فيصلح حالها، وتستقيم روحها، دون أن تشعر الزوجة بانقيادها للتطبُّع بهذا الطبع أو ذاك.

وإن كان الذوق والعبارات الراقية مطلوبةً في التعامل مع الناس، فإنَّ (الرجل المحيط) يعلم أنَّ من أهمَّ الأماكن الجديرة بالعبارات الرائقة هو البيت والأسرة، أليس خيركم خيركم لأهله.

والحبُّ يظهر في الكلمات، ولكنَّه يكون أصدقُ بالأعمال والسلوك، وفطرة الزوجة تجعل تعبيرها بالفم أسهل من تعبير الزوج بالحروف، فطبيعة الخشونة في الرجل تجعل من الصعب عليه أن يتدفق معجمه بعبارات الغزل، فكلمة (أحبك) يرى بعض الرجال أن فيها جانب ضعفٍ، والرجل لا يحب انكشاف ضعفه، ويداري الغزل بزيادة العمل، ويعبر عنه بغير الحروف، فيحاول تعويض (نقص العبارات الحنونة) بالتصرفات المنطوية على الامتنان، ويحاول تعويض زوجته بالإسراف في الخدمة، والعناية بالمنزل، وإغداق المزيد من الأموال، (والمرأة البحر) تفك شفرته، وتتفهم وشوشة حبه الصامت، وامتنانه لها في تصرفاته وتعامله كما تتفهمه في أقواله وتغزله، (والرجل المحيط) يفهم أنَّ زوجته مفطورةٌ على (جو الدلال) أكثر منه، وهو يقول لها ما يوافق فطرتها.

وهذا الفهم ضروريٌّ تحتاجه الكثير من الزوجات؛ لكي يحلَّ جزءاً من المشكلات.

٢- كلمة آسف

دايل كارنجي: الرجل الأحمق هو من يحاول تبرير أخطائه، والدفاع عن نفسه، ومعظم الحمقى يفعلون ذلك، إلاَّ أنَّ التسليم بأخطائك يجعلك ترتفع درجات بين الناس، ويعطيك شعوراً بالرقيِّ والسمو

٣- شكراً...

الشكر عملةٌ تجلب الراحة والاحترام، ومؤشرٌ دقيقٌ على الذوق السليم، ومن المؤسف أن يندر وجوده بين الكثير من الأزواج، فبقاء

الزوجين المستمر مع بعضهما يجعلهما يتناسيان الشكر على كثير من التصرفات النبيلة، و(المحيط والبحر) يسرعان بشكر بعضهما عندما يقدم أحدهما للآخر أيَّ معروفٍ، حتى لو قام الزوج مثلاً بإحضار مستلزمات البيت، فكيف به لو قدّم لها هدية؟!، أو قامت الزوجة بالطهي الجيد، فكيف لو أحسنت عبادتها، وطاعتها لربها، وتربيتها لأولادها؟!.

ربما يفوتهما الشكر على الجميل، فالنسيان طبيعة الإنسان، ولكنَّ (المحيط والبحر) يستفيدان من الموقف، حتى لو نسيا؛ وذلك بأن ترسل رسالةً تمتلئ بالاعتراف بالجميل بعد فوات الأوان، (وسداد الديون خيرٌ من إهمالها).

من السطحية أن نقصر الشكر على لفظ (شكراً)، فيتبعها الرد بكلمة (عفواً)؛ فليس للشكر صيغةٌ لغويةٌ محددةٌ؛ بل قد يظهر الشكر من خلال التصرفات المعجونة بالعرفان، فاندفاع الزوج للبيت هو مظهرٌ واضحٌ من مظاهر الشكر التي يقدمها لزوجته، لأنَّ العبارات صعبةٌ على بعض الرجال، ولكن الجميع يسهل عليهم إظهار الشكر والامتنان بالأفعال، حتى ولو بالقفز والتنطيط في البيت، ومن بلادة الحسِّ أن لا يعرف الإنسان من معاني الشكر إلا كلمة (شكراً).

(المرأة البحر) دوماً تشكر الله تعالى على نومها في (دفءٍ رجولي)، ودفءٍ أسري أنعم الله تعالى به عليها خصوصاً، فحين تأوي إلى فراشها، تتذكر أن هنالك ملايين النساء الأرامل والمطلقات اللاتي فقدن أزواجهن، أو العوانس اللاتي يطويهن الليل بستره بدون زوجٍ، وهي تنام في نعيم العفاف الدافئ، وبجوارها كنزٌ من

الرجولة، فتصبح شاكرةً لله تعالى، ومحافظةً على زوجها، شاكرة له، مع معرفة مسؤوليتها ورعايتها.

٤- (لو سمحت، ممكن أطلب؟، ممكن أثقل عليك بعشاء يذوقه ضيوفي هذا المساء؟) عند الطلب، أو كلمة (ممنون) عند الامتناع عن الموافقة، فهي تؤدي الغرض، ولكنها كلمات ترتدي الأدب واللطف قميصاً.

٥-السلام في البدء والختام، لقول رسول الأنام ﷺ: (ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحببتم ...) رواه مسلم، فهو من شعائر الإسلام، ومقوٍ للمودة والوئام.

❖ ❖ ❖ ❖

فلسفة ... الجنس

حروفه الثلاثة تخفي اختصاراتٍ مشهورةً؛ فالسين (س) هي اختصارٌ للسؤال، والجيم (ج) هي اختصار للجواب، والنون (ن) هي رمز للنتيجة، وفي تقليبات الحروف يبدو الأمر غير مألوف، فتارة (جنس)، وتأتي (سجن)، وإن شئت فقل (نجس)، أو يكون (نسج)، ولعلَّ الجنس هو النسج الذي يقرب نفوس الزوجين، وهو السجن لمن كان أسيراً لشهواته، وهو (نجس) تستبشعه النفوس لمن جعله في غير مكانه الفطري، فسماه الله تعالى (فاحشة)؛ لفحشه وبشاعته.

الجنس من أهم أهداف الزواج، وأوضح غاياته، وليس أمراً هامشياً، وبالمقابل فمن الخطأ أن يكون الأساس في العشرة الزوجية هو الجنس، أو يكون أساس العطاء وتلبية الطلبات هو

الجنس، أو يكون أساس المزاح والدعابة طلب الجنس، وإيَّاكما أنَّ يكون الجنس عندكما عوضاً عن شيءٍ ما، وإيَّاكما أن تشعرا بعضكما أنَّ أقوى الأسلحة التي تضعفان أمامها هو الجنس، وأنَّ بؤرة تفكيركما تتلخَّص في حروفه الثلاثة (ج ن س)، كلا بل هو (متعة جسدٍ) متشبعة (بلذة روحٍ)، ثم إنَّ مع العلاقة الجنسية وقفات بتلميحات، فأعطياني العنَاية، لتفهما الكناية:

أولاً: لم يكن الجنس وظيفةٍ حكوميةٍ في يومٍ ما؛ بل هو مجموعة متع منها:

أ- متعة المعاشرة الزوجية، وهي غنية عن الإيضاح؛ لاتفاق العقول على فهمها.

٢-الثاني الرغبة في الاستمتاع (دون الجماع) لقول عائشة رضي الله عنها: (كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، كلانا جُنُب، وكان يأمرني فأتزر، فيباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إلي وهو معتكف، فأغسله وأنا حائض) رواه البخاري، فالحديث يدلُّ على أنَّ هناك تعاملاً يسمى (المباشرة) وهناك تعامل آخر يسمى (الجماع)، وأرواحنا تتوق بطبيعتها إلى الاستمتاع بالمداعبة والتقبيل والملاطفة؛ بل إنَّ مذاق البداية يفوق لذة النهاية، ومذاقها يفوق مذاق ما بعدها، و(الرجل المحيط) يعلم أنَّ الزوجة لا تحب أن يربط زوجها محبتها بالمعاشرة؛ بل يفرحها أن يحبها زوجها لذاتها، وأن يشعرها بجاذبيتها، وعنف مفعولها عليه، لا أن يكون حبُّه لها من أجل المتعة بالمعاشرة الزوجية فقط، و(المرأة البحر) أيضاً ترغب في الحصول على الحب أكثر من حرصها على المعاشرة، فالمثل يقول: (المرأة تعطي الجنس لكي تنال الحب،

والرجل يعطي الحب لكي ينال الجنس).

إنَّ على الزوجة العاقلة أن تنظر بعيون زوجها، وليس بعيونها هـي؛ حيث إنها في أوقات الحيض تعيش حالةً من (الفوضى الروحية)، والتوقف عن العبادة، والشعور بانعدام الطهر، فتظنُّ متوهمةً أنَّ زوجها (يرغب) في الابتعاد عنها، وعدم الحرص على نيل لذته منها، أو (تخشى) أن يتقزَّز منها، ويستقذرها، وأن لا تبدو بمظهر لائقٍ، وهو على العكس من ذلك، حيث يستملحها، ويستطيب قربها، فتمتنع منه، وتجفل جفلة الظبي لدى أيِّ خطوة يخطوها نحوها، وكلما ازداد (هو) قرباً، ازدادت (هـي) نفوراً وشروداً، فيقع الزوج في حنقٍ وشعورٍ بالإقصاء والتهميش؛ لأنها ترفضه، وتبتعد عنه في حين أنَّ زوجها يصدق عليه وصف الخيل لامرئ القيس:

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلـ ـمود صخرٍ حطَّه السيل من علِ

ثانياً: لستَ في الميدان وحدك، فالمعاشرة من الحقوق المشتركة بين الزوجين بالتساوي، لما روى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا جامع الرجل أهله فليقصدها، ثم إذا قضى حاجته، فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها) ولأن في ذلك ضرراً عليها في عدم قضاء شهوتها.

ثالثاً: إن استطعت أن لا تفاجئها برغبتك فافعل، فـ(عنصر المفاجأة) نافعٌ في تأليف القصص، والروايات البوليسيَّة، وجلب الهدايا، والتقاطعات المرورية، وإن كنت ولا بدَّ فاعلاً، فالمفاجأة لا تناسب في هذا الموضع إلاَّ بعد أن تمهل الزوجة وقتاً؛ لتصلح بعض حالها وتتهيأ بصورة جيِّدةٍ، فتكون المفاجأة وقتها أمتع وأكثر طمأنينة.

رابعاً: قبيحٌ بالزوج أن يتأخر في مجيئه لمنزله ليلاً في جلسة أو اجتماع تافه يمتدُّ به إلى أنصاف الليالي، ثمّ يأتي إلى زوجته المتعبة المُجهدةً من طول الانتظار؛ لكي يقطف لوزها و تينها، ويقضي منها وطره، فما هكذا يُورد الجنس.

خامساً: احفظا عوراتكما إلاَّ من بعضكما.

سادساً: لابدَّ أن يدرك الزوجان أنَّ هذه العملية بالغة الخطورة، فكما أنَّها في الحرام تصل إلى حدِّ الكبيرة في الدنيا، وبالتّنور المتوقد في جهنم في الآخرة، فإنها أيضاً شديدة الحساسية في العلاقة الزوجية؛ حيث تصل بالمرأة الممتنعة عن فراش زوجها إلى حد غضب الله تعالى، ولعن الملائكة، وخصومة الحور العين، وماذا ترتجي الزوجة بعد ذلك من خير؟!.

وأما امتناع الزوج عن الجنس، فلا يحلُّ له، ولا يجوز تعامله بالامتناع إلاَّ في (جو التأديب وتدرج التربية) والعقاب في المرحلة الثانية بالهجر، بعد استنفاد أسلوب الوعظ والتعليم، فإن لم تستجب الزوجة، فللزوج الحقُّ في استعمال هذا السلاح، وأما ما عداه فلا؛ لأنَّ الجنس من الحقوق المشتركة بين الزوجين.

بعض الموظفات تمتنع عن فراش زوجها، لا لشيء إلاَّ لاستعدادها للوظيفة في اليوم الثاني، فتحرم زوجها من حقه الواجب؛ بسبب وظيفةٍ ليست بواجبة.

وحذارِ حذارِ أن تلعب الزوجة بورقة (الإشعال الجنسي)، حتى يفور التنور، ثم لا تطفئ ذلك الاشتعال؛ ومن ثم يتحوَّل زوجها إلى امرأةٍ غيرها في (الحلال البديل)، أو (الحرام البديل)، ونقع وقتذاك في الهدف المناقض للهدف الحقيقي للزواج؛

وهو (الإعفاف)؛ حيث ينحرف مسار الزواج من (الإعفاف) إلى (الإشعال)، وإضرام النيران في مخازن البارود في شرايين الزوج، ثم يواجه الزوج مأزق التمنع بعد ذلك.

فمن الظلم والجور أن تستغلَّ الزوجة ضبطها لنفسها، وتماسكها عن ترك المعاشرة؛ بأن تستثير (انفلاته الرجولي)، فما توعَّد الله تعالى بهذا الوعيد الشديد، والغضب الرباني منه إلاَّ لخطورة عواقبه، وعظمة توابعه، والمصيبة العظمى عندما لا تفقه الزوجة أبعاده الكارثية بعقلها البشري القاصر، وما نتج ذلك إلاَّ من تعظيمها للمظاهر، ولرؤية الناس لها بمظهرٍ لائقٍ وحسنٍ أمام الموظفات، حتى ولو كانت في سماء ربها من الملعونات.

عن أبي علي طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور) رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني / صحيح الجامع ٥٣٤.

العلمانيون يتقطعون ألماً وحسرةً أمام شريعة الله تعالى في هذا الأمر بالذات؛ لأنَّ فيه إطفاءً للغرائز، وسبيلاً إلى هدوء النفس، فنراهم يذهبون إلى تبشيع صورة الجنس، وتقذيرها في الزواج فقط، وتجميلها في الحرام، واتهام الإسلام بأنَّه يرسم المرأة أداةً للجنس، ويتناسون أنَّ الزوجة تنال نصف اللذة الجنسية بالاقتسام والتساوي، ناهيك أنَّ إنتاجهم؛ ما بين قصيدة، ومؤلَّف، وبرنامجٍ تطفح بالجنس النجس، وترسم المرأة بصورةٍ (الأداة للاستمتاع) فضلاً عن كلامهم، وسيرهم، وأسفارهم؛ التي تختصر المرأة في إطعام اللذة للرجل، فما أصدق المثل القائل: (رمتني بدائها، وانسلَّت).

سابعاً: تتفاوت الرغبة الجنسية بين الرجل والمرأة؛ حيث ينال الرجل النصيب الأعلى، وينال المرأة النصيب الأقل، بخلاف المعلومات السائدة المنتشرة في الأذهان، حيث تتعارض هذه المعلومات مع الشرع من نواحي:

١- أمر الإسلام المسلمين بتعدد الزوجات؛ حيث يحقُّ للزوج أن يتزوج أربع زوجات، فمن حكمة الشرع في التعدد نستنتج أنَّ الرجل هو الأكثر والأقدر، وما جاء في آراء الناس خلاف ذلك، فهو من الجهل.

٢-زمام المبادرة في الزواج بيد الرجل، وأما المرأة فهي ملازمةٌ للانتظار، فما كان شرع الله ليظلمها بأن تكون هي الأكثر شهوةً، ثم لا يكون في يدها الحل وهو الزواج.

٣-كثرة الطوارئ التي تمنع المرأة من الجماع؛ بل يصل المنع لها إلى حدِّ التحريم والتأثيم، فمن عدل الخالق تعالى أن تكون بفطرتها هي الأقل شهوة.

ثامناً: الجنس أمام الأطفال.

(المرأة البحر) تعتني بلباسها بصورة أشدّ حشمةً عند الصغار؛ فمن حكمتها أنها لا تستهين بشأن الأطفال، لأنهم ربما نقلوا ما رأوه بشكلٍ عفوي في أحاديثهم الخاصة أو أمام الناس، فجلبوا الضحكً، وشر البلية ما يضحك. إن من الجهل أن تتساهل المرأة في لباسها العاري والمتكشف أمام عيون أطفالها، أو تغيير ملابسها بحجة أنها في بيتها، تصنع ما تشاء، أو بزعم أنه من حقها أن تصنع ما تُريد، دون أن تشعر باستراق عيون الأطفال لحركاتها ولباسها، حتى في حال إرضاعها

لصغيرها، أو خروجها من غرفتها إلى دورة المياه أحياناً شبه عارية، غير مُبالية بنظرات أطفالها، ونحو ذلك.

وكان من الميسور للمرأة أن تكتفي بالتجمّل لزوجها في (غرفة المخدع) فقط، حفاظاً على الأطفال من خدش تربيتهم بتساهل أمهم في اللباس، وأيضاً أكمل لإرث الاحتشام، الذي سوف ترثه الفتاة عن أمها، فعفاف البنت صورة مصغرة لعفاف أمها. من الحفاظ على فطرة الطفل حتى تظل سليمة ما يتربى عليه من كمال الستر والحشمة، النقاء والصفاء، بخلاف ما يروج له العلمانيون من ضرورة تعليم مادة الجنس للأطفال، طلباً لاستكمال ثقافتهم وتوعيتهم.

تاسعاً: يقول الشاعر:

فلما جئت مقتضياً أجابت   كلام الليل يمحوه النهارُ

وأنا أستعير شطر البيت، ليصبح بعد تعديله: (كلام الجنس) يمحوه النهار، فلا تتحدثا فيما طواه الليل باستهتار، أو بتقمص أدوار، أو بتعليق، أو باستظراف لاذع.

عاشراً: (المرأة البحر) لا تسبقها (الفاجرة) حينما تتفنن في توظيف جمالها في الحرام، فهي بتجملها الرائع في الحلال أولى من تجمل الداعرات في الحرام، وهي تعلم أنّ أهم خصال البغايا والمومسات، تلك الطواعية الجنسية للرجل فيما يرغبه ويتمناه، و(المرأة البحر) أقدر وأجدر في إحصان زوجها، (والرجل المحيط) يغمر زوجته بحبه، وبقلب يتوجه بكليته نحوها؛ يعشقها ويتلذذ بها، ويلذذها بحبه، ولا يتنقل من هوىً لهوى:

كالطفل اللاعب بالخرز الملونِ

وقبل انتهاء هذه النقطة، أودُّ أن أوضح أن الحياة الزوجية تكون مملةً غاية الإملال، حينما يتركز هدفها في الجنس، وقضاء الوطر، واستجلاب الشهوة.

فالحياة مع إنسانٍ تحت سقفٍ واحدٍ لهدفٍ واحدٍ، يقود إلى مصيرٍ واحدٍ؛ وهو الملل، وكم تقع عيني على شابٍ حديث عهدٍ بعرسٍ، فأرثي لحاله إذا تخيلت أنه لا يهدف في مخيلته من وراء زواجه أيَّ قصدٍ إلا إلى لذة الفراش.

وأعجب من ذلك أن لا يفقه أن الجنس لا يوصل إلى ذروته إلا بالتصبر عنه، والشوق إليه، ولا أقول هذا الأمر في الجنس فقط؛ بل في أمور الحياة جميعاً، فالطعام لا يلذُّ إلاَّ بشدة الجوع، والارتواء يصل غايته بعد إفحاش العطش، والنوم لا يخيم قريراً على العيون إلا بعد طول الإجهاد والسهر، والراحة تبلغ منتهى حلاوتها إذا تلت التعب المرهق.

نعناع

رائحة الفم يشمُّها من حولنا دون أن نشعر بها، وهنا نقع في المصيدة، فالناس يجاملون، ويغتابون، ولا يخبرون أحداً أنَّ رائحة فمه سيئةٌ، أو تحتاج إلى الصمت، فترانا نخالط من حولنا دون أن نكتشف هذا الخلل فينا، وربما يكون كلامي هذا غير مهم ولن يبالي به القاريء الكريم لأنّني أنا و(المحيط والبحر) ربما نكون من القلائل الذين يخبرون الناس بهذا الأمر، فلا يلقي له أحدٌ بالاً، فتصبح نقطتي هذه نوع من الدوران في (حلقة مفرغة)، فأنا في هذا الكتاب أحاول أن ألفت نظر الأزواج، وأبين للجميع هذه النقطة الحساسة، التي ربما يندر سماعها؛ لانتشار المجاملات في

المجتمع، والمعلوم أنَّ الإنسان لا يشمُّ رائحته، ولا يعلم بطيبها أو قبحها، وهكذا الزوج قد يستاء، فيتباعد عن زوجته دون أن يوضح لها السبب، وهي ربما تواجه معه الاستياء نفسه؛ لأنَّ رائحة فمها ذكرى جميلة لشهر الصيام، ثم بعد ذلك يقفز على ثغر أحدهما سؤالٌ: أين التقبيل للفم لماذا لا يقبلني؟ سؤال فضيع!.

(المحيط والبحر) يدركان أن فرشاة وخيط الأسنان أقلُّ كلفةً من مستحضرات الزينة، ومن مساحيق التجميل، ويدركان أن السواك لا يشغل حيزاً في جيبه أو حقيبتها، حتى يكون التعاهد لنكهة الفم باستمرارٍ، لوجود مؤشر الحذر متزايداً في حالة الدنو والاقتراب ممن حولهما؛ لعلمهما أنَّ أحد تعريفات (الجمال) هو (النظافة).

من الأزواج من يتعب الذين حوله برائحة أنفاسه، فكيف بالزوجة مع زوجها؟!، أو بالزوج مع حليلته؟!، التي يشافهها، وتهامسه، ويوشوش إليها، وتسرُّ إليه، وعزائي الشديد لزوج يعيش مع زوجةٍ تخاصم فرشاة الأسنان، أو زوجةٍ يهجر زوجها السواك هجراً قبيحاً، وفمه خير مثالٍ على رسم الابتسامة الصفراء؛ لاصفرار أسنانه، واصفرار زوجته من شدة الاختناق.

❖ ❖ ❖ ❖

الصورة المائلة

ميك أب

إنَّ خير ما يصور به التجمل، والبحث عنه، ووقوع النساء في فخاخه، أنه أشبه بالطوفان الجامح الذي نتج عن فساد القناعات والمفاهيم، وحكم بالإعدام على الأذواق، وأصاب الناس بداء (الهوس بتجميل المظاهر)، والهالك في هذا الطوفان هم الناس، نساؤهم قبل الرجال، حيث صارت غاية أماني المسكينة أن يقال عنها جميلةٌ، حتى لو تيقنت من نفسها يقيناً كاملاً خلاف ذلك، مما ساعد على رواج (النفاق الاجتماعي)، والكذب تحت مظلة الأدب والإتكيت؛ بل حتى لو صار وصولها للجمال عن طريق التجمُّل الملعون؛ فلا مانع لديها، حتى ولو بالعبث بخلق الله؛ سواءً بالنمص، أو بالوشم، أو أن تكون كاسية عارية، أو بالتشبه بالرجال في تسريحات الشعر، أو في الملابس، فلو لعنها الله تعالى فلن يزعجها ذلك، لأن اللعن الإلهي العظيم يهون لديها، في سبيل ثناء الناس على جمالها.

ويقتلنا الأسى عندما نسمع أن كثيراتٍ من النساء سقطن في الفاحشة تحت وطأة الثناء على جمالها، عندما يقال: (أنتِ جميلةٌ)، أو تلك التي نراها زلت بها القدم، حين أطربها أحدهم بقوله: (هذه ليست امرأةً؛ بل هذه ملاكٌ، حقاً ذوقك رفيع، ارحمي القلوب من جمالك الفتان)، وما ذلك إلاَّ دليلٌ على تفاهةِ الاهتمام، وسذاجة الأهداف.

إنَّ الرضا بالله رباً، يجعل المرأة ترضى بوجهها الذي قسمه الله تعالى لها، لا أن ترى أنَّ غاية الإحراج، وقمة البلاء أن تخرج

المرأة للنساء في وليمة أو مناسبةٍ بدون مكياج وزينة، لأنَّها تعطي دليلاً على أن لا قيمةً لها عند نفسها إلاَّ بما تصبغ به ملامحها، ومتى كانت (همة الزوجة) عاليةً، فإنَّ اهتمامها بالروح التي بين جنبيها، وعنايتها بعقلها، وأسرتها، وأولادها، سيلهيها عن الهوس بتجميل الجسد، وسيتناقص الإسراف في تلطيخ وجهها إلى حدٍّ الاعتدال، ولا أدلَّ على ذلك من اعتدال أناقة النساء المنشغلات بالدراسات العليا، وتحضير الدكتوراه عن أناقة الفارغات روحاً وتفكيراً، أو المنشغلات بالموضة، وما ذلك إلا لعلو الهمة لدى المنشغلات بالعلم، فأناقة الروح لديهنَّ لم تدع مساحة لأناقة المظهر.

طوفانٌ هادرٌ أغرق جيلين معاً حتى الآن، فهل يستطيع الجيل الثالث النجاة والفكاك منه، أم سيكون الغرق هو المصير المنتظر؟!.

إنَّ الهوس (بتجميل الوجوه) كارثةٌ لدى النساء في الجيلين السابقين؛ نتجت من تلفازٍ باللونين (الأسود والأبيض) جرفهنَّ فلم يتمكنَّ من السيطرة والتعقل، ثم جاء الجيل الحالي، ليقع في فخ التلفاز ذي الألوان الساحرة بالنكاية والأحزان، ثم تبعه (الفيديو كليب)؛ بل لقد امتدَّ العبث إلى مذيعات الأخبار، حينما تهلك الساعتين وأكثر في طلاء وجهها بالأصباغ، حتى كأنها عروسٌ في ليلة زفافها، ثم تخرج أمام الناس؛ لتلقي أنباء قتل النساء والأطفال، والتشريد، والحروب، وتدمير المباني، والكثير من النساء المشاهدات لا يدرين عن الأخبار شيئاً، فقد سحرهنَّ السرحان والتأمل في تسريحة شعرها، ووجهها، ومدى تناسق لباسها مع

المكياج، دون أن يدركوا ما تقوله من أخبار القتل والدمار.

وليس الأمر إلى هنا فقط؛ بل أطلق بصرك في كلِّ صوب وحدب، تجد أنَّ الإفراط في الزينة صبغةٌ نسائيةٌ عالميّةٌ، تمرُّ بك الشهور والسنوات، فلا تكاد ترى امرأةً لم تستهلك الساعات الطوال إسرافاً في زينتها؛ لأنَّ الموج العاتي يغرق الأرض، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

ولا أدري من قال ذات يوم: (إذا أردت أن تعرف حقيقة امرأة، فانظر إلى محتويات حقيبتها)، لقد كان المكياج خدعةً للنساء جاءت بإحكام، والخادعون لهنَّ حطموا قانون (اختلاف الأذواق)، وزعموا لهنَّ: بأن لا فوارق بينهنَّ، فالجمال واحدٌ لا يختلف إلاَّ إذا عبث اليهود (بالموضة)، فإنَّ الجمال القديم تمحوه (الموضة) من القديم، فتجعله في (آخر صرخات الجديد)، فحين تكون الموضة هي (بياض البشرة)، فإنَّ على النساء أن يتبرأن من ألوان بشرتهنَّ براءة الذئب من دم يوسف، ويخفين جميع ما خلقه الله تعالى، لأجل ما يرغب اليهود في إظهاره، ويتجهنَّ بكلِّ وسيلةٍ لتبييض وجوههنَّ ورقابهنَّ، أما إن كانت الموضة الحديثة أن تكون الأحذية مدببة الكعب، فعلى النساء المبادرة إلى شرائه، ولبسه، واعتقاد أنَّه أجمل ما أبدعته العقول، حتى وإن كان الطبُّ يحذر منه، أو يصرخ فينا بأضراره، وأما إن كان وحي (الموضة) الإعلامي يوصي بتجعيد الشعر، فستكون أدواته في المحلات أندر من الكبريت الأحمر، لأن النساء سيقمن بإبادته والقضاء عليه شراءً من الأسواق، والويل كل الويل لمن أسدلت شعرها دون تجعيدٍ، حيث ستشرب كأس الغمز واللمز والازدراء من نظرات النساء،

لأنَّها قامت بالبذاذة المحرجة، والتخلف المستطيل والمربع، وكم من أنثى تأذت من موضةٍ، ومع ذلك تفعلها، (فإن قيل لها: وعلام العذاب؟، قالت: ماذا نصنع بالموضة؟!)، إنَّها أسيرةٌ، كما اعترفت بملء فمها.

أصبحت النساء يقلدن، وليس لديهن (ملكة الذوق) في تجميل وجوههنَّ، فالجمال ليس صبغةً كصبغة الحائط، كما يقوله شاعر الحب:

حاجبٌ بولغ في تخطيطهِ   وطــلاءٌ كجدار المقبرهْ

ونحن معاشر الرجال، لسنا جميعا متفقين على حب نمطٍ معين من الجمال، فما يهواه زيدٌ، لا يلفت نظر عمرو، وما يسلبُ عقلَ عمرو، يثير الغثيان لدى زيد، وفي كلِّ الحالاتِ، لابد أن تعطي المرأةُ وجهها قدراً من التعبير عن جمالها، لا أن تطلي وجهها طلاءً كاملاً دون أي مساحةٍ تبقى لتتنفس بشرتها الهواء.

والمرأة التي تستهلك وقتها، ومالها، وجهدها في التجمل، ينعكس ذلك على تمطيط وجهها حين تتحدث مع جلسائها، فتستشعر ذلك التجمل في ابتساماتها، وفي تصنع حركاتها وسكناتها، وهنا لا يبقى جمالٌ أنثويٌ؛ بل احتقار أنثويٌّ لذاتها؛ حيث اختصرت شخصيتها، وروحها، في جاذبيتها الجنسية الجسدية.

وحتى لو تنازلنا جدلاً بأنَّ الغرب هو المقياس في تحديد الذوق الراقي، فإنَّ الغرب نفسه يرى أنَّ الانغماس في المكياج علامة تخلف ورجعية، فالمرأة عند الغرب أقلُّ استعمالاً من المرأة في شرقنا الأوسط، فالتصوير العفوي لشوارعهم، وللقاءات العابرة في الطرقات عندهم، ولمذيعاتهم، وفي الدعايات التجارية الآتية

منهم، ولإنتاجهم الإعلامي، لا يجد نساءهم يسكبن طلاء المكياج على وجوههنَّ مثلما يوجد لدينا.

وعندنا ترى المرأة قد تراكمت قطع المكياج على وجهها، وبجوارها تسير خادمتها، وكلتاهما من بنات حواء، وشعورهما متشابه، ورغبتهما في التجمل واحدةٌ، ولكنَّ الخادمة لم تهتم بالمكياج كاهتمام سيدتها، وليست الخادمة فقط؛ بل كلٌّ من على جنسيتها من العاملات، والممرضات، والطبيبات، بسبب أنَّ البيئة التي عشن فيها أكثر قرباً ومشابهةً للغرب، بسبب دخول الاحتلال لبلادهنّ، وتقليد بيئتهن للغرب المحتل، فانعكس ذلك على فهمهنَّ للمكياج (بالمقياس الغربي)؛ بل وانعكس حتى على قلة اهتمامهنَّ بأشكالهن عند الخروج للتسوق، أو لغير ما سوى العمل.

ويستعصي على النفس قبول السؤال عن الجديد من الماركات، حينما يصدر ذلك السؤال من المرأة المفرطة في السمن، فلو كانت مهتمةً بالكمال، فإنَّ الاهتمام (بالبدن) أولى من الانشغال (باللباس)؛ بل أين الاهتمام بأنوثتها، وتنمية عقلها، وحسن كسب الزوج، وإتقان مهارة اصطياده.

والله إنَّ الجمال يزول، والفتنة تنطفئ، وكلُّ ذلك مثل اشتعال السعفة، ولا يبقى للمرأة، أو لزوجها إلاَّ الروح، فهي الأهم والأبقى، ولن تكتمل الروح إلاَّ بالدين، تلك الروح التي أهملتها المرأة، وصدَّت عنها صدوداً، وأقسم بالله لن يصون البيوت والأسر إلاَّ الدين، ولن يخرج نتاج الأسرة الطيب إلا بالدين والأخلاق، وليس بالجمال، لأن الجمال لا يربي.

إنَّ مما يفضح (وهم الجمال)؛ أن نرى أعزَّ أصدقائنا، وأغلى الناس إلى قلوبنا، ليسوا من ذوي الجمال في وجوههم، وإنما

أحببناهم لأسبابٍ أخرى، هي السبب الحقيقي لقيمتهم ومكانتهم في قلوبنا، واصطياد محبتنا، وأما الجمال فلا علاقة له بالمكانة، والوجاهة، أو المحبة والصداقة.

المرأة إنسانٌ يستحق الإكرام؛ لأنها بشرٌ، وليست لوحةً فنيةً حتى نختصرها في الجمال، ومن المهانة لها أن لا نتزوجها إلا للجمال، ولا نحترمها إلا للجمال، ولا يحقُّ لها أن تخرج في وسائل الإعلام إلا بالجمال، ولا نتعامل معها بطيب الأخلاق إلا بالجمال، ولا ننحت صورتها إلا للجمال، فلعن الله حضارةً دُهنت بالقذارة، جاءتنا فلعبت في عقول النساء، وسحرت أعين الناس، واسترهبتهم، وجاءت بسحرٍ عظيم، فراح النساء يجرين خلفها، ويمضغن خديعتها، واختصرن شخصيتهنَّ في الجمال، فمن كانت جميلةً نجت من الطوفان، ومن كانت قبيحةً، فلا محلَّ لها على خارطة الحضارة، ومن كانت قبيحةً، وتداركت قبحها، بأن تدفنه (بمساحيق التزوير)، كانت كالمتعلق بقشَّة، وإلاَّ فالويل لها.

إنَّ الحضارة الغربية قاسيةٌ، فاجرةٌ، باطشةٌ، مستبدَّةٌ، لا رحمة في قلبها، تحمل كلَّ صفات اليهود الذين يحزمون زمامها في ثقب أنفها، ليقودوا البشرية إلى تعاسة الدنيا قبل تعاسة الآخرة.

ومن حكمة الإسلام أن فرض الحجاب لإيقاف مهزلة المكياج؛ لأنَّه يكبت ضراوة الهوى، ويهدئ التأجج القابع في النفوس، ويطفئ نيران التنافس أمام الرجال، ويبطل سباق المارثون المشتعل في إظهار الجمال والفتنة.

التغريب

إن المتأمل لمدى النجاح الذي حققه التغريب، يجد خير أمثلته ما غزا ملابس النساء المسلمات، فصارت رجاليةً بسبب ما نادى به الغرب من المساواة، وما لعنه الله تعالى من تشبُّه الرجال بالنساء، أو العكس، فتبين تقليد النساء لملابس الرجال، فيما انتشر ما بين قصيرٍ، وضيقٍ، ومفتوحٍ مثيرٍ، ثم تطوَّر اللباس إلى البنطال، والتنوره، أو التغريب في الملابس الداخلية كقمصان النوم (لانجري)، وقصة الشعر التي يغلب عليها نمط الاسترجال، أما الغزو الغربي للملابس الرجالية فواضحٌ في لبس البنطال، والكرافتة مع البدل والقبعة، والبرمودا، ثم العبارات المكتوبة على تلك الألبسة، و(صبغات الشعور) (أدوات التجميل) المصنوعة والمستقاة من وحيهم، ولعل من أوضح الأدلة على التقليد المرير للغرب حلق اللحية والشارب، وقصة الشعر المستغربة، وكلما ابتعدت البيئة عن التأثر بالغرب، رأيت أنَّ المظهر الإسلامي هو السائد من الحفاظ على السنن، فكبار السن تعلو وجوههم اللحى، وتبدو عليهم الروح الإسلامية، وكلما تدرجنا في الأعمار هبوطاً، بان ازدياد التأثر بالغرب، فالشيخ الكبير بلحيةٍ، ومتوسط العمر بنصف لحيةٍ، والشاب الناضج اختفت لحيته تماماً وبقي بشاربٍ فقط، وأما الفتيان البالغين فوصلوا إلى التنميط الغربيِ التام، فحلقوا لحاهم وشواربهم كما نراه في أيٍّ غربيٍّ، وهذا هو الخطر الذي يجعلني أحذر وأنذر مما هو آتٍ من الغرب فيما يخصُّ ديننا وتراثنا وأخلاقنا، فإن كان التأثير

الغربي قد بلغ من أشكالنا ومظاهرنا هذا الحدَّ المخيف، فما بالنا بأثره في المفاهيم والتصورات والأرواح؟!.

ثم تلفت حيثما شئت أن تتلفت، لتجد أنَّ أموراً كثيرةً ألفناها واعتدناها، ليست من ديننا ولا تراثنا.

لا يقف الأمر عند (التنميط) الغربي في الشكل الخارجي على خطورته وعواقبه الوخيمة في إفساد الدين ..كلا بل يتجاوز ذلك إلى الإخلال بمقياس (القدوة الحقيقية) وهو صورة المصطفى ﷺ ويجعل أمامنا قدوةً تزاحمها في طموح النفس، فلم يعد الشكل النبوي هو(القدوة والمثال الأعلى والأكمل)؛ بل لو ظهر لنا (في الشكل) من يحتذي حذوه قدر المستطاع، لكان مستبشعاً منبوذًا منتقصًا ولو خرج (أبو بكر رضي الله عنه) وطلب محاربة مانعي الزكاة بالسيف، لرفضناه، وكرهنا صنيعه؛ لأنَّ عقولنا المتأثرة بالغرب، ترى أنَّه تصرفٌ أهوج غير حضاريٍّ؛ بل لو خرج عمر رضي الله عنه وهو الخليفة الراشد المهدي بثوبٍ بين كتفيه (١٢ رقعةً) زهداً في الدنيا، لخجلنا من لباسه، وزهده في الدنيا، ومن قناعاته التي لا تناسب (روح العصر) لأنه غير مرغوبٍ فيه في زمننا الذي ساد فيه قانون الغرب، وعند الحضارة التي جاءتنا من هناك؛ بل إني أشك أن القنوات الإسلامية ستتردد في إخراجه مستضافاً بثيابه المرقعة، لأنَّ مظهره الخارجي، غير ناجح في الحضور الإعلامي، فضلاً عن يقيني بأنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو رأى تلك القنوات لقمعها بدرته المشهورة، أو لرماها بالحجارة، كما صنع ذلك مع أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي

الله عنهم، عندما رآهم يلبسون ثياب الأعاجم عند استقباله في الشام، لتسليمه مفاتيح بيت المقدس، فرماهم بالحجارة، وهم المجاهدون الصالحون؛ بل وأحدهم من العشرة المبشرين بالجنة، ومع ذلك حينما لبسوا لباس الكفار، رأى عمر رضي الله عنه أنهم يستحقون التعزير، فكيف لو خرجٍ لنا ورآنا، فهل سيكتفي بأن يعيد كلمته التي نحفظها جميعاً حين قال: (نحن قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره (أذلنا) الله)، أم سيتقرب إلى الله تعالى بتعزيرنا؟!.

ويساند ما سبق فرحنا بتأييد أيِّ باحثٍ غربيٍّ لحديثٍ نبويٍّ، أو آيةٍ كريمةٍ، وكأننا متعطشون، متلهفون، مستضعفون لتأييد الغربٍ، لأننا نراه مصدر القوة، فنحن نفرح بدخول الغربي للإسلام، أكثر من فرحنا بدخول غيره من الشعوب، والأمم، والعروق البشرية، والرأي الآتي من الغرب بالذات يكون لدينا صلباً صلداً، مع وإسلامنا كامل ليس في حاجةٍ إلى شهادة إنسانٍ ناقصٍ في دينه، وفي تركيبته، وعقليته، ومفاهيمه.

وزد على الأمثلة السابقة التسابق على تسمية المحلات التجارية بأسماء غربيةٍ، لأننا نرى فيه التوافق مع التقدُّم والرقيَّ؛ بل (تسمية المواليد) وهي أجلى وأبين في مجال التغريب، فقد صرنا نستبشع أسماء السلف من الصحابة رضي الله عنهم، فمن سمى ابنته تالا، أو يارا، أو باسكال، أو سوزان، يوحي لنا بأنه حضاريٌّ متحضرٌ، ومن سمى ابنته خديجة، أو حفصة، أو الرميصاء، وجدنا من إيحاءات الأسماء

أن لها إيقاعات القدم، وملامح شخصيات ما قبل (الحضارة) و(التحضُّر)، وإن شئت الحقيقة فقل (الاحتضار).

والفرح بتأييد أي إنسانٍ غربي لديننا الإسلامي، حتى غدا العالم الشرعي ينال إعجاب الناس إذا لمسوا في كلامه عبارات غربية مترجمة، أو أسماء علماء غربيين، أو مدلولات علمية غربية، أو نقولات عن الغرب، مما جعل بعضهم يخضع لسلطة الجماهير، ومحاولة كسبهم، حتى وصل بعضهم إلى تغليب نصحه وأطروحاته لهذا الزخم الغربي، وربما صار في أعماقه يأنف من ذكر مسميات السلف كالقعقاع بن عمرو، وسعيد بن جبير، أو الفضيل بن عياض، أو بشر الحافي، لأنَّ هذا الأسماء لا تناسب مدنية العصر، كما لو ذكر أحد مشاهير الغرب، وكان الأولى بالقدوات في المجتمع أن يربوا الناس على التربية الحميدة، دون أن ينساقوا لأذواق الجمهور.

ناهيك عن تسلل التغريب للمشاريع الإسلامية؛ كبعض المساجد في بنيانها، وألوانها، أو القنوات الفضائية الإسلامية، أو النشيد حيث دخلته لوثة التغريب، فصرنا نجد أثر ذلك في شكل المنشد، وهيئته، فلو خفضت صوت الشاشة، وتأملت وجه المنشد، لوجدته أحياناً خالياً من سمات الصالحين، وربما وجدته بلا لحية أو شاربٍ ليعطيك آخر مراحل التقليد للنمط الغربي في المظهر، ولا أبالغ إذا قلت: حتى في إمساكه للاقطة (المايكروفون)، تكون مستوحاةً من طريقة المغنين الغربيين، وأما النشيد فقد تسربت أنفاس التغريب إلى اللحن بالنمط الغربي، وإلى المعاني أحياناً، وإن كان للنشيد مسرحٌ،

إن اليدين التي في طرفها حورُ

• يأسر نظرك حينما ترى مظهره الخارجي، ويعجبك أكثر حينما ترى زوجته بلباسٍ محتشم وجورب يدين (قفَّازات)، فكيف رضي أن تكون عيون زوجته ظاهرةً لكلّ الناس؟، فهل الجمال والفتنة يسكن في العينين أم في اليدين؟، فقلت لعل زوجها حفظ بيت الشعر خطأً:

إن (اليدين) التي في طرفها حورُ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فحاولت استرجاع البيت الذي قاله جرير بن عطية، فإذا بي أجد البيت بخلاف ما يحفظه صاحبنا:

إنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَـوَرٌ
قَتَلنـــَنا ثُمَّ لَم يُحيـِينَ قَتـــلانا
يَصرَعنَ ذا اللُبِّ حَتّى لا حَــراكَ
بِهِ وَهُنَّ أَضعَفُ خَلقِ اللَهِ أَركَــانا

أو قصيدة نزار التي مطلعها:

أتراهــا تحبـني ميـسونُ أم توهمتُ والنـساء ظـنونُ
كم رسولٍ أرسـلته لأبيها ذبحته تحت النقاب العيونُ

ولعل الدواوين الشعرية التي ترسم على أغلفتها عيوناً كحيلةً، تجعل أهـل الغـيرة يـراجعـون غيرتهم، ونـخـوتهـم، ورجولتهم، وسماحهم لمحارمهم بلبس النقاب، وإخـراج العيون؛ التي قتلت جماعة جرير، وذبحت عنق نزار.

في حين أننا لم نسمع أنَّ يـداً من الأيـدي، أو رجـلاً من الأرجل قتلت أحداً، رغم انعدام جاذبيتها، إلاَّ أن الإجماع التام على تحريم كشفها، فكيف بالعيون التي بها يتغزلون، ويكتبون، ويرسمون، ومنها يتألمون، وبها يتفاهمون؟!

سفرُنا

تتبنى بعض النساء معيار الترفيه، والتنزُّه، والسفر مقياساً للسعادة الزوجية مع الزوج خصوصاً في مواسم الإجازات، وتضرب المثل تلو المثل بفلانةٍ وفلانةٍ زوجها يذهب بها إلى المتنزهات، ويقضي معها الإجازة في رحلات الاستجمام والسفريات، مع أنَّ الواقع يشهد بأمثلة وافرةٍ وكثيرةٍ لنساءٍ طاف بهن أزواجهن أنحاء العالم، وكانت الرحلة الأخيرة إلى بيت أهلها بحقيبة الطلاق، يا سادتي هل الحياة الزوجيَّة رحلات وسفريات وتنقُّل، أم أنَّه استقرارٌ وسكينةٌ وراحة بالٍ؟!.

أصبحت مصيبةٌ نجدها في موضوعات (مادة الإنشاء) تحت عنوان: أين قضيت إجازتك؟.

لقد صار السفر في الإجازات حتماً وقدراً مقدوراً، ومن المستنكر أن تأتي الإجازة، وتنصرم دون سفرٍ، فصار السفر من مسلمات الحياة، ومن لم يستطع أن يسافر، فليدارِ سوأته (بالكذب)، تلافياً للإحراج!، لأن ارتكاب كبيرة الكذب أخف، وأهون من أن تنتهي إجازتك بدون سياحة، لأنَّ السفر هو العمود الفقري، وهو التنفس، وبإمكانك أن تعيش إجازةً تخلو من (حفظ القرآن) لا بأس، و(قراء الكتب) لا مانع، و(صلة الأرحام) لا حرج، وكلّ أمر نافع، فلا تثريب عليك، ولكن أم المصائب، وأساس الغرابة: أن لا تسافر!.

انسياقٌ وانجرافٌ مخيفٌ بأعينٍ معصوبةٍ، بدون دافع مقنع، حتى أصبح بعض الصالحين يترخص بالسفر إلى بلاد الكفر والانحلال بأسرته، وينفقون أموالاً مرهقةً لكاهل الأسرة، ويقعون

في المخالفات العظيمة، وحين تسأل أحدهم: لماذا كل هذه التضحيات؟!، ستجد أنه لا يملك إلاَّ جواباً واحداً: (في الإجازات ضروري نسافر).

ولا يبدو أنَّ الأمور تسير لصالح الأسرة من وراء السفر، وخصوصاً أن الاهتمام محصورٌ في أمور الترفيه، والكماليات، في حين أن الاهتمام يتناقص حينما تسأل هذه الأسرة عن الصلاة، وقيام الليل، وعن عفاف بناتهم، أو عن أدائهم فريضة الحج، وهو ركن من أركان الإسلام.

ثم هل الفقراء بإمكانهم توفير المال للسفر، حتى يواجهوا هذا السؤال في المجتمع، وفي المدارس، وفي المجالس؟!.

وهل من العيب أن يمتنع الجميع عن السفر في الإجازات، وخصوصاً الأغنياء؟!، ثم هل الاستجمام والمتعة لا تحصل عليهما إلاَّ بالسفر والسياحة؟!.

دورات في التفاهة

• المشكلات اليسيرة في أول زواجه جعلته يشعر بالدوار، وبدأ بالتأفف، فليس لديه استعداد للتضحية، ثم إن مشوار الإصلاح طويلٌ، يحتاج فترة من الزمن، والمشوار الثاني للمحكمة قصير جداً؛ لكي يطلق زوجته، وهذا أسرع وأكثر راحة، فطلَّقها هناك.

• حاولت الزوجة إصلاح زوجها، وإبعاده عن السفريات، وطالت محاولاتها وتنوعت، فقررت أن تمارس الفساد هي أيضاً، فارتبطت مع رجل في الحرام (بعلاقات صداقة) تستحق بها الرجم، وكان كافياً أن يوجد لدينا واحدٌ فقط يستحق الرجم؟، رضي الله عنك يا آسية زوجة فرعون؛ حيث صارت من أكمل النساء لإيمانها،

وصبرها حين فساد زوجها، واستمسكت بالدين في بيت الكفر والفجور، والخنا، والجبروت، والدماء، حتى نجحت مع الزوج صاحب المزاج العسير، ورأت بعينيها ما صنعه بالماشطة المسلمة؛ حيث ألقاها في الزيت المغلي، بعد أن ألقى أولادها جميعاً أمامها، وبقيت صامدةً أمام ابتزاز فرعون، وصمدت آسية بالرغم من هول الأمر، وقدمت التضحيات بالبريق، وبلقب «السيدة الأولى في المجتمع»، بالقصور، وبالملابس الفارهة، ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن...﴾فصلت (٣٥)

• للمرة الرابعة سألها عن تاريخها الماضي أسئلة المتلهف؛ هل كانت لك (علاقاتٌ غراميَّةٌ) مع أيِّ شابٍ في تاريخك السابق؟، وكانت تقفز على ملامحها علامات الاندهاش والحيرة، ومن شدَّة إلحاحه السخيف لم ينتبه لاستغرابها، فمضى يسألها للمرة الخامسة.

• ذات موهبة جبَّارة في (جمع الأدلة) و(القبض على طرف الحبل) والاستقصاء، في يوم من الأيام وأثناء حديث زوجها معها تلعثمت حروف في فمه (بطريقة عفوية)، فنطق اسم (امرأة)، فاتسعت حدقة عينيها، ودقَّ ناقوس الخطر، وتأخر زوجها في مجيئه ليلاً، فأضافت دليلاً ثانياً، واستضاف زوجها رجلاً دون أن يخبرها بالموضوع الذي دار بينهما، ومرَّة جاء ورائحة العطر تفوح من ملابسه، فاهتزت كلُّ شعرةٍ من جسمها، ومرَّة ومرَّة ومرَّة، فصارت تتابع بطريقةٍ هستيريةٍ كلَّ التفاصيل الناعمة لحركات زوجها، وأصبحت تلهث خلف أيِّ غريبٍ في حركاته، فأتعبت نفسها (بوظيفة استخبارات) ليست لها، فليتها أراحت

واستراحت، فراحة البال لا تقدَّر بثمن، والشك (سرطان العلاقات الزوجيَّة).

• ذهبت زوجته لقضاء الإجازة مصطحبةً الخادمة والسائق، لقد كان الصيف ممتعاً، أما (ولي الأمر) الراعي، فقد قضى إجازته في منزله، فهو لا يستطيع مرافقة زوجته، لأنَّ ظروف عمله لا تسمح له بالإجازة.

• صوت رنين الهاتف ينبعث من حقيبتها اليدوية، يعلو صوته شيئاً فشيئاً حتى صارت النساء في تلك الوليمة ينبِّهن صاحبة الجوال عن المكالمة، ولكنَّها تحاول أن تبدو غير مكترثةٍ، قالت إحداهن: (ردّي على الهاتف، فربَّما يكون المتصل هو زوجك)، فزادها غرورها (كميَّة من التفاهة) لتتمادى في إهمالها للمكالمة، وبعد اتصالاتٍ متكررةٍ، تخلَّت عن استعلائها وأخرجت الهاتف المختنق في حقيبتها؛ لتردَّ على زوجها الذي طال وقوفه وانتظاره بالباب، فردت عليه وهي تشعر بنظراتهن واستماعهن للحديث مع زوجها، وقالت بجفاء: (دقائق وآتيك)، لقد شعرت بالانتصار في (معركة سخيفة)؛ حيث ظهرت أمام الجميع بصورة (الزوجة البطلة)، فمن (مظاهر البطولة) المتفشّية في عقول النسوة اللاتي على شاكلتها (قلَّة الابتهاج) بالزوج والتحفي به؛ بل إظهار لهفه وموته حبّاً لها وصبره على دلالها، وأنَّها تأمر وهو لا يجرؤ أن يردَّ لها طلباً، والحقيقة خلاف ذلك تماماً، ولكنَّها من (ضحايا المظاهر)، ومن مساوئ المصادفات أنَّها نسيت إغلاق الجوال ليكمل زوجها الاستماع لآخر اللحظات وهي تقول لهم: (استأذنكنّ فقد وصل زوجي الأهبل)، فتنفجر القهقهات من (الجمهور التافه)،

فتخرج لترى الشارع خالياً، وزوجها قد مضى إلى بيته بمفرده، فتخرج الجوال وتكرر الاتصال، غير أن زوجها لم يعد يردُّ، فعادت لتدخل مرة أخرى إلى الوليمة، وجوالها ترتفع حرارته بسبب معاودة الاتصال، وبسبب حرارة يدها المضطربة، وأخيراً يردُّ عليها لتصرخ في وجهه: أين ذهبت؟ فيقول لها بحروفٍ صافعةٍ: دعي أحد إخوانك يوصلك لبيت أهلك، ولا حاجة لك أن تحتفظي (بزوج أهبل).

• كان الزوج عفيف الفرج، لم يقع في الفاحشة طوال حياته، لكنه كان فاجر النظر، ناهيك عن حبه لقراءة الكتب الأدبية التي توضح، وتسفر عن كيفية الزنا؛ فهو زان العين، لا يعفُّ عن رؤية الحرام، ومطالعاته للقصص والصور الجنسية أمرٌ مألوفٌ، وهو فاجر السماع، زان الأذن، فسماعه للخنا محبوبٌ، حيث لا يتنزه عن أحاديث الزنا، وهو فاجر اللسان، لا يعفُّ عن رواية القصص المنتنة في مجالسه، وبين أصحابه، ورغم كل ما سبق إلاَّ أنه يرى من نفسه أنَّه منغمسٌ في العفاف حتى أذنيه، وأنه جرابٌ ملء عفافاً، فصار في بحبوحة من الرضا عن النفس.

الأنانية

(أنا) ضمير رفع منفصل، حقاً هو ضمير يجعل صاحبه ينفصل عن الضمير، وهو ضمير رفع كذلك، يرفع (الايثار) على أعواد المشنقة في الأخير، و(المحيط والبحر) يتذكران دوماً أنهما يعيشان معاً، ولا طعم للحياة إلا إذا إشتركا في لذائذها، وأما من أراد أن يعيش لنفسه، ولم يفكر في غيره، فليتذكر أنه لم يكن إلا قطعة لحم سقطت من رحم، ولا بد للرحم من صلة رحم، ومن

كلمة (أنا) خرجت (الأنانية)، وهي تبدو في الزوج حين يفكر في مصلحته بالبحث عن الجميلة للاستمتاع واللذة الذاتية فقط، دون أن يفكر في أولاده بالبحث عن أم صالحةٍ لهم.

• لقد كرَّرها مراراً: أريدها بيضاء شَقراء، ذاتَ عينين كحيلتين، وذات خدٍّ وقدٍّ، وشعر كالحرير، لكن لم يرد أيَّ ذكر على لسانه لدينها، أو لأخلاقها، فهل نسي أنَّ لأولاده حقَّاً في اختيار أمهم ذات دينٍ وخُلُقٍ؟!.

ومن ذلكٍ الزوجة التي تطلب وتطالب دون أن تقدم شيئاً، وإذا قدمت شيئاً قليلاً تراءى لها أنها لم تبق من المكارم شيئاً.

الزوج المقيم على الإنترنت دون أن يشعر بأنَّ هنالك إنساناً يعيش معه في البيت، وقد أمره الله تعالى بأن يحسن إلى الجار ذي القربى والجار الجنب، فتأتي زوجته لتقديم صحن من الفواكه مع ابتسامة تحيي ضميره المخدر.

والزوجة التي كبرت وهي تحارب التعدد، وتخاصم أولادها حينما عددوا زوجاتهم وكانت تخاصمهم وتلومهم ولكن حين كبرت ابنتها، وصارت عانساً، اختلف الأمر، وصارت تتعامل مع التعدُّد بطريقةٍ أهدأ بعدما كانت تهاجمه طوال عمرها، لوجود الهوى.

وبعضٍ الزوجات يحلو لها أن تُضحك النسوة في أيِّ اجتماعٍ أسريٍّ بتعليقاتٍ جنسيةٍ مكشوفةٍ، وتستطيع بمهارةٍ أن تجعل الجمهورٍ يستلقي على قفاه من الضحك، و هذه طريقتها منذ أن عرفها الناس.

كبرت ابنتها وقاربت ليلة زفافها، وصارت المرأة في غاية الخجل من نصيحة ابنتها في الأحكام المتعلقة بخفايا الزواج، والمسائل الحساسة، وكانت حجّتها التي ترددها دائماً: (إنني أستحيي

من ابنتي)، لم أستطع أن أفهم؛ أجبَّارةٌ في الجاهلية خوَّارةٌ في الإسلام؟!.

بعض الرجال يحاول أن يظهر مهارته في معرفة التفاصيل، والفروق بين أنواع النساء فيما تحت اللحاف -فقط-، مع العلم أنَّه لم يتزوج سوى امرأةٍ واحدةٍ.

فلا أدري هل هو فاسقٌ يعاشر أصنافَ النساء، فاكتسب كل هذه الخبرة، أم هو يتحدَّث عن أمورٍ تجري بينه وبين زوجته؟!،أم أنه يستحقُّ بجدارةٍ أن يقال له في وجهه: (ما أقبح الوقاحة)؟!.

لا ينتهي الاستغراب عند رؤية كثيرٍ من المجالس؛ تكون فاكهتها الأحاديث الجنسية التي تغيب فيها الكناية والتلميح، ويكون التنافس في الإفصاح والتصريح، والتصوير الدقيق، وترى الفضلاء وغير الفضلاء، يتسابقون للمشاركة بقصص لا نقاب على وجهها، ولا برقع.

فيا معشر العقلاء، أليست هذه الأحاديث من العيب والفحش والتفحش، ألم يأتنا وصف لرسول الله ﷺ كما يروي البخاري في صحيحه عن مسروق قال: دخلنا على عبدالله بن عمر حين قدم مع معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله ﷺ فقال: (لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً)، وقال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أخيركم أحسنكم خلقاً).

• لم تكن الفتاة المخطوبة جميلةً بالقدر المطلوب، ولحظات الخطبة لحظاتٌ حرجةٌ لا تسمح لها بأيِّ تجملٍ، فهي الآن تقابل عيون الخاطب بحيائها، وهو يتفحصها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، الحمد لله على كلِّ حال، فلم يحصل نصيبٌ،

ولكنَّ هذا الخاطب الخائن خرج ليقول لأصحابه: (خطبت فلانة بنت فلان، فرحمت ابنتهم، لأنَّها غير جميلةٍ)، و(آية المنافق ثلاث ... و إذا اؤتمن خان) متفق عليه.

• في هذه اللحظات تمتلئ الزوجة سعادةً، وتشعر بنشوة الانتصار، فقد تحقَّق حلمها، وأنجزت بعض ما تريده، فزوجها غائبٌ لعدَّة أيام، وقد كان يمنعها من ذلك، ولا زال في الوقت متسعٌ لكي تلبسَ المشقوق والعاري خلال ما تبقى من أيام سفره، فهل نسيت تلك الزوجة أن الله تعالى لم يغب، فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (ثلاثةٌ لا يُسأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعة، وعصى إمامه، فمات عاصياً، فلا يُسأل عنه، وأمةٌ أو عبدٌ أبق من سيده، وامرأةٌ غاب زوجها، وكفاها مُؤْنَة الدنيا، فتبرَّجت، وتمرَّجت بعده) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وهو حديث صحيح / صحيح الجامع ٣٠٥٨ ..

• لقد أصبحت رائعةً في نظرتها لنفسها؛ بل أجمل الجميلات عندما خالفت ربها ، وقلَّدت الكافرات، وأكملت القبح بأن نمصت حواجبها.

الكثيرات انقلبت أمزجتهنَّ، وأصبحن يلغين أذواقهنَّ، ويرغمن أنفسهنَّ على الاقتناع أن القبح هو الجمال ما دام هو (الموضة)، ويرين أنَّ الجمال في الوجه لا يكون إلاَّ بنتف حواجبهنَّ، وينسين اللعنة التي تلحق بهنَّ عند فعل ذلك؛ بل أصبحت هنالك أماكن مخصَّصةٌ للتجميل بما يجلب اللعنة من نمص الحواجب، والوشم، والحلق.

هل انتكست الفطرة؟!، أم اختلفت المفاهيم؟!، أم أنَّ النساء

مهزوزاتٍ في شخصيتهنّ، فاقدات للثقة بأنفسهنَّ ودينهنَّ؟!، فرحن يجرين وراء الموضات، وآخر التقليعات، فلبسن الضيق، والقصير، والمشقوق، والشفاف.

• يسودُّ وجهه، ويضيق صدره إذا بُشِّر بأنثى، ويراوده هاجس الرجوع إلى زمن الجاهليَّة؛ لكي يدسَّها في التراب، أليست الخيرة فيما اختاره الله تعالى؟!، أليس الأنبياء آباء بناتٍ، وأنَّ البنات سترٌ وحجابٌ من النار؟!.

• يتحلَّى بالعبارات اللبقة المتحضرة، والردود القطنية ذات الفرو الراقي، ومن طبيعته حين يكون في المجالس أن يعطرها (بامتداح المرأة)، والثناء عليها، وبيان أنَّها مضطهدةٌ مظلومةٌ، وأنكم معاشر الأزواج باطشون سيئون، وغالباً ما يكون ختام المجلس حواراً محتدماً مشدوداً، لخشية بعض الرجال أن يتسلَّل كلامه المسموم إلى نسائهم، فيفسدهنَّ بهذه الكتلة الضخمة من الانتصار للمرأة.

الاجتماع يلفظ آخر أنفاسه؛ ليعود الجميع إلى بيوتهم، ويعود (نصير المرأة) أيضاً إلى بيته، وما هي إلاَّ خطوات يخطوها بالداخل، حتى يجد جريدةً مبعثرةً ملقاةً على الأرض، بجوارها... في غرفةٍ بقي التكييف بها منسياً، فيطيش غيظه، ويصرخ مناديا زوجته بأعلى صوته، وأقبح عباراته، حتى كادت حرارة الغضب تتسرب من منابت شعره، ونبضات قلبه المتسارعة يبدو خفقانها من اهتزاز عينيه.

مقارنات

١

قالت لي: كيف تنتقد النساء في كتابك، وأمُّك امرأة؟!.

قلت لها: أمي أحبها، ولكنَّها امرأة، وفرق بين الحبِّ والتقييم، فهي بالنسبة لي أمٌّ، و جنةٌ؛ بل جنانٌ، ولكنَّها تظل امرأةً، وهي بالنسبة لأبي زوجةٌ، وكلامه عنها؛ هو كلام الزوج عن زوجته، فيكون حكمه عليها غير حكمي.

٢

يستمع الزوج باندهاش، فلقد استطاع اكتشاف اللغز، فقد كانت زوجته تقول له عباراتٍ الغزل والدلال، وانقطع التغزل منذ فترةٍ ليست بالقصيرة، ولكنه اكتشف أين ذهبت تلك العبارات حينما سمع زوجته تدلل الرضيع بالعبارات التي كانت تقال له.

فتساءل الزوج: لماذا سرقت الزوجة عبارات الدلال مني، لتمنحها لرضيعها؟!، قلت للزوج: الحقيقة أنه لم يكن هنالك سرقةٌ، بل كما يقال: (كثافةٌ في الإنتاج، وسوءٌ في التوزيع).

٣

ربما يقابلها أبناؤها بنقص البر، فتقابل عقوقهم بالغفران، بالرغم من أن البر حقٌّ من حقوقها الواجبة لها على أبنائها، فالحب في قاموسها معناه: الغفران، والمحب يتسامح، وتحت سقف المنزل نراها تتشدد، وتطالب زوجها بطلباتٍ ليست بواجبة عليه، فتفني سعادتها، وتحرق عمرها، ولا يوجد في قاموسها معنى للغفران لزوجها.

٤

باتت كليلة العينين، باردة الشكر، لا ترى أن حياتها تساوي كوم بصل، لأنها ترى أنَّ الأزواج يتغزلون بزوجاتهم، وينثرون فوق هاماتهنَّ أوصافاً من قواميس العشاق، فمضغت الحسرة حين

سمحت لنفسها أن تقارن بين زوجها وبين غيره.

وحينما أكثرت المقارنة، وأزعجت زوجها بلائحة المثاليات المفقودة من شخصيته، بدأ زوجها يقارن أيضاً بينها وبين قريبته (الجميلة)، وفلانة (البارعة في الطبخ)، وفلانة (الباذلة مالها لزوجها بلا حدود)، وفلانة النحيفة الرشيقة ذات الخصر النحيف، وفلانة فرعاء الطول، هيفاء القوام، وفلانة الجامعية، وفلانة خمرية البشرة، ووو.

فانقلبت الزوجة تتغنى بما امتلأت به قريحتها من الحكم والتذكير بالزهد في الدنيا، وتمارس دور الحكيم، لتحدثه بالقناعة، وأهمية الأخلاق، وعدم الاغترار بالمظاهر، وتتلو عليه قول أبي العتاهية:

إن كان لا يُغنيك ما يكفيكا فكلُّ ما في الأرض لا يغنيكا

فهل هو حلالٌ أن تهمل القناعة، والأخلاق، وتسبح في (مستنقع المقارنات)، ثم تجعل المقارنات حراماً على زوجها؟!.

٥

عمر المشكلات بينهما يدوم شهراً وأكثر، خصوماتٌ، وصمتٌ وكآبةٌ، ومضت حياتهم على ذلك النمط عشر سنين، ولم تكن الزوجة لتذهب لإرضاء زوجها يوماً من الدهر، ولم تأخذ بيده، لتقول: (لا أذوق غمضاً حتى ترضى)، بل هي تتحلى بطول النفس من أجل إذلال الزوج، ولا تختلُّ هذه القاعدة، وتذهب بنفسها لإرضاء الزوج إلاَّ:

١-إذا دعت الزوجة أهلها لوليمة، ٢-قرب موعد السفر المنتظر في الإجازة، ٣-إذا أرادت الذهاب للسوق، ٤-احتاجت مبلغاً من

النقود، ٥-بعد قيام زوجها بالتعدُّد، في هذه الحالات فقط، تبذل ما في وسعها لإرضائه، وإنهاء المشكلة، والتخلق بالأخلاق العالية المتسامحة.

٦

بين العشيقة والعشيق في الحرام، والزوجة والزوج في الحلال، أوديةٌ وجبالٌ، ومقارنةٌ ومقالٌ:

١- ففي الزواج لابدَّ من مهر، وسكنى، ونفقة، ومبيت.

أما في شريعة الحرام، فإنها تأتي رخيصةً بلا شروطٍ مطلقاً، يكفي أن يقدم لها (الحب)، وأن يقدم لها رقم الهاتف الذي يوصلها به، يدوياً، أو عبر شريط القنوات، أو بالبلوتوث، أو غيرها.

٢- في الزواج تبالغ المرأة في مواصفات الزوج، والزوج في مواصفات الزوجة، وتكثر الطلبات، والحرص على المؤهلات.

أما في شريعة الحرام فلا يوجد تدقيقٌ، ولا تمحيصٌ.

٣- في الزواج بالحلال تطلب مهراً بعشرات الألوف.

وأما في شريعة الحرام، فإنها تكتفي بالقليل من الهدايا؛ بل وترضى بأقل من القليل؛ لأجل الحب، والرجل ينفق الهدايا والاهتمام، بما لا يبذله للزوجة في الحلال.

٤- في الزواج ينفق عليها زوجها جميع احتياجاتها، ولا تشعر أنه يحبها.

وفي شريعة الحرام يعطيها العشيق مبلغاً تافهاً، أو ربما هي التي تنفق عليه، تحت مسمى الحب الحقيقي، والرجل يشعر أنَّ المعشوقة تحبه أكثر من زوجته، بسبب عباراتٍ يسمعها مكررة هنا وهنا.

٥- في الزواج آخر من تتزين لزوجها، وهو لا يهتم كثيراً بالتزين

لزوجته.

وفي شريعة الحرام تبالغ في التزين للعشيق، وهو يتأنق بإفراط.

٦- في الزواج أكرمهما الله تعالى بالأولاد، فهم مصدر كرامةٍ وإعزازٍ.

وفي شريعة الحرام الأولاد ليسوا إلاَّ مصدر فضيحة، وورطةٍ.

٧- في الزواج تطالب الزوجة بالتفاهم والمساواة، ولا تبين لزوجها الخضوع والتذلل.

وفي شريعة الحرام تقدم الأنوثة الصافية الممزوجة بالتفاني في الطاعة، والمؤاتاة، وعدم العصيان. وتستميت في التذلل، فلذة الخضوع لا يستطعمها إلا من ذاقها.

٨- في الزواج ربما تمتنع عن فراش زوجها.

في شريعة الحرام تطلب فراش العشيق.

٩- في الزواج لا تبالي بغضب الزوج، والعاشق لا يبالي بزوجته.

وفي شريعة الحرام تخشى غضبه وهجرانه، وهو يشفق على مشاعرها.

١٠- في الزواج لا يسمعان إلا الطلبات.

وفي شريعة الحرام يبحثان عن أطيب الأحاديث.

١١- في الزواج يقدم لها زوجها طريقاً أكيداً للجنة، وتقدم الزوجة له الإعفاف.

وفي شريعة الحرام يقدم لها العشيق طريقاً أكيداً للنار.، وهي تفرش له الدرب إلى جهنم.

١٢- نتجت هذه المصائب في الزواج بسبب المسلسلات، وإيحاءات الأغاني.

و نتجت شريعة الحرام بجميع تفاصيلها من المسلسلات، وتربية الأغاني.

١٣- يوجد عنصرٌ ثالثٌ يفسد الحلال، وهو الشيطان، حيث تعلمت الشياطين السحر والإيذاء، من أجل أن يفرقوا بين المرء وزوجه.

ويوجد في الحرام عنصرٌ ثالثٌ، يجمِّل ويزخرف لهما الحرام والفاحشة، وهو الشيطان، حيث يقول الشيطان: ما تركته حتى جعلته يزني.

٧

إذا أراد رجلٌ أن يعدد، رحنا نقيم أمامه السدود، ونطرح على مسمعه تلك الأسئلة: هل لديك القدرة على التعدد؟!، وهل تلمس في نفسك العدل لو قمت بالزواج من أخرى؟!، وهل .. وهل ...، فإن كنت لا ترى في نفسك ذلك، فلا تعدد، والزم زوجتك فقط.

مع أن هذا الرجل لو أراد الزواج لأول مرة، فلن يسأله أحدٌ: هل ستعدل مع زوجتك؟، وهل ستتعامل معها بالمعاملة الحسنة؟، وهل ستوفيها حقوقها؟، وهل .. وهل ...، فإن كنت لا ترى في نفسك ذلك، فلا تتزوج، والزم بيتاً بلا زوجةٍ.

مع أنَّ الزوج الذي يعدد سيكون أفضل حالاً من الأعزب؛ حيث إن الزوج المعدد في أسوأ حالاته سيكون ظالماً لزوجة واحدة، ومحسناً لزوجةٍ واحدةٍ، والزوج الظالم الذي تزوج واحدةً وحسب، سيكون في أسوأ حالاته ظالماً لزوجةٍ واحدةٍ، وغير محسنٍ لأحدٍ،

فهو في الإضرار أكبر وأظلم، ولم ينل من الهجوم والمطالبات مثل المعدد الذي لا يساويه في السوء.

٨

من طبعهن (الإسراف في الكلام) يقول أحدهم: (متى جلست امرأتان في هذه الدنيا صامتتين؟!، إني لأشهد مجالس النساء، فأعجب لهنَّ، من أين يأتين بمادة الحديث؟!، لقد كنت أعد نفسي في الرجال مهذاراً كثير الثرثرة، فإذا بإحدى النساء الفضليات، تزعمني صموتاً).

فلو تكررت المجالس عليهنَّ مراراً، لما انقطع فيض الهذر، والهذرمة، ولك أن تعجب، أو لا تعجب من المعين الذي لا ينقضي من (آبار الوشوشات) النسائية، وهذه المهارات، واللياقة في عضلات الفك.

وبالمقابل .. ربما لا تظهر لياقة هذه العضلات حين الحديث مع الزوج؛ بل تجد أن الزوجة تطالب الزوج بالحديث، والكلام معها، والتخلي عن الصمت، ثم تبدأ بإجراء المقارنات بين حديثه معها، وبين حديثه مع رفاقه.

٩

بعد حوارٍ بيزنطيٍّ لا طائل وراءه بين الزوج وزوجته، قالت الزوجة: ولماذا تتزوجٍ بثانية، ألا تكفيك زوجةٌ واحدةٌ؟!، أنت رجلٌ شهوانيٌّ، فقال الزوج: ربما أكون كذلك ... ولكن الأكيد أني قبل زواجي بك كنت أكثر شهوةً من الآن، وقبلتِ الزواج مني، ولم يكن ذلك عيباً من وجهة نظرك، فلماذا يكون زواجي من غيرك لأجل الشهوة عيباً؟!.

التفريق مهم

ينبغي أن تفرِّق الزوجة في هدوء متأملٍ لشخصية الزوج:

١- في سلوك زوجها؛ إن كان في حال خطئه يتراجع، ويعتذر، ويحاول الإصلاح، وبين غيره من الأزواج الذي يتلذَّذون بالإساءة والاستهتار، ولسان حاله يقول:

هبيـــني يا مُعـذبتي أســأتُ ... وبالهـجران قبـلكمُ بـدأتُ

فأيـن الفضل منكِ فدتك نفسي ... علـيَّ إذا أسأتِ كما أســأتُ

٢-تعامل الزوج إن كان رائعاً في أول عهد الزواج، ثم تغيَّرت طباعه قليلاً قليلاً، فمن المناسب أن تسأل نفسها؛ ماذا صنعت معه حتى تبدَّلت حاله؟!.

وأن تقارن كذلك بين زوجها الطيب، وبين زوج كان سيئاً منذ فجر الزواج، يتعامل بقبيح الطباع، وروحٍ كريهةٍ، ثم تحمد الله تعالى على نعمته.

٣- لابدَّ أن تتبين الزوجة في خطأ الزوج؛ هل هو ردَّة فعلٍ من تعاملها معه، أم أن الخطأ لا علاقة لها به.

الكرامة والحب

لا لذة في الذل، ولا لذة في الإذلال، وليس المقصود أن يتلذذ كل واحد منهما بإذلال محبوبه؛ كلا بل هو تذلل الحبيب لحبيبه؛ وفي جميع اللحظات يخامر الأفئدة أنَّ هذا الذلَّ يستظلُّ تحت أغصان قوله تعالى: ﴿... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ المائدة ٥٤، ومادام الحبُّ موجوداً، وحقيقياً، وظاهراً، فالكرامة تتلاشى حتى تكون شبيهة بالعدم، وأما الرجل اللئيم والمتقلب فهو يذل إذا مُنع، ويظلم، ويتفرعن إذا وصل إلى مراده، يقول شوقي:

وفي الرجال كرم الضعف ولؤم المقدرة

كان الحجاج على جفائه، وسوء طباعه، وغلظته، يصف حاله مع زوجته فيقول: (إني لأقبل أخمص قدميها)، فلا تكونا غليظين جافين؛ بل كونا طريَّين، و(بحرٌ ومحيطٌ) كلاهما مملوءٌ (بمياه التواضع).

الهدايا القيمة

مفعولٌ أكيدٌ وسحرٌ حلالٌ؛ بل أشدُّ من السحر، ولم تكن الهدية يوماً بقيمتها الشرائية؛ بل بأثرها، ومعناها، فكن (رجلاً محيطاً)، و غلِّف لها الشمس، أو أهدها القمر، أو وردةً حمراء، وعليك أن تراعي المناسبات التي ستحضرها زوجتك بأن تجعلها في أناقة تليق بها، وبمكانتها عندك، وكن مهتماً بأوقاتك معها، أو بما يَخصُّها من مناسبات، أو مواعيد، وفي المثل: (إذا قدمت من سفرٍ، فأهدِ لأهلك ولو قطعة من الحجر).

نماذج من الرجال ينفقون بلا حسابٍ على أشياء كمالية، فأحدهم يغدق على رغباته الشخصية، في حين أنَّه يبخل على زوجته بالأمور المهمَّة، وقد اشتهر في المجالس أنَّه صاحب المكارم، وحاتم الميدان، وفارس المناسبات في الولائم، والحائز على المركز الأول في تقديم الهدايا، ولكنَّ يده مغلولة إلى عنقه في بيته ومع أولاده، دقيق المحاسبة معهم، لدرجة المنَّة عليهم في حقوقهم التي أوجبها الله تعالى عليه، وهنا أجد المقام يدفعني لتذكيره؛ بأنَّ خير المال: هو ما ينفقه الرجل على أهله، كما جاء في البخاري أن النبي ﷺ قال: (إذا أنفق المسلم نفقة على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة).

فإن لم يكن لدى الزوجة ما تهديه، فليس لها عذرٌ في أن تحيك له بيديها لباساً، أو تهدي له كلمة طيبة، أو تهدي له زوجة أخرى كما ساره حينما أهدت لأبينا إبراهيم أمنا هاجر عليهم السلام.

مستحيلات

• في الحياة الزوجية يستحيل أن نعيش بغير مشكلات.

• فليطع الأعزب أمرالحكيم الخبير سبحانه وتعالى، وليتزوج، وليدع التهرب بالحجة البالية: (لن أتزوج، حتى لا أجلب لنفسي المشكلات والمتاعب).

• ولو هرب شاب من الزواج، فيستحيل أيضاً أن يعيش بدون المشكلات.

• يستحيل أن يجد الرجل زوجةً مثل خديجة رضي الله عنها، ويستحيل للمرأة أن يتزوجها مثل محمد ﷺ، فيا أيها الناس القناعة القناعة.

• يستحيل أن يمتنع شابٌ عن الزواج، وهو قادرٌ عليه إلاّ أن يكون مريضاً عاجزاً، أو مبتلى بالفسق.

• يستحيل أن يحصل الزوج على زوجةٍ، مطيعةٍ، صالحةٍ، بغير الدين، فإن اكتشف بعد الزواج أنها ليست كذلك، فعليه أن يتعب، ويجتهد، ويبذل في إصلاحها، من أجل أن يرتاح، وينجح، ويكسب.

• يستحيل أن يدخل أحدٌ الجنة دون تعبٍ، ومشقةٍ، وصبر الزوجين على بعضهما من العبادات.

• يستحيل أن يتعاون الزوجان على الحرام، ويعيشان في ظل المعاصي، ويشابهان البهائم في حياتهما، ثم يجدان الحياة الطيبة السعيدة.

تعديل صور مائلة

١

يقول الله تعالى على لسان الرجل الصالح: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾سورة القصص آية ٢٧

إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب أتيت عثمان، فعرضت عليه حفصة، فقال سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني، فقال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت له: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر؟، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إليّ شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت عليّ حفصة، فلم أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فلم أكن أفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ لقبلتها) رواه البخاري .

يصحح ما سبق بعضاً من المفاهيم المنتشرة المجافية للصواب، من أهمها:

١-الخجل من عرض البنت أو الأخت أو القريبة على الرجل الصالح لتزويجها إياه، فهذا شعيب يعرض إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرض حفصة على

أصحابه .

٢-استهجان زواج الفتاة الصغيرة من الرجل الكبير، أو استهجان زواج المرأة من رجلٍ يكون أصغر منها في السنِّ، وتنطلق كلماتٌ من الأفواه، لا علاقة لها بشرع الله؛ كأن يقال لفتاة في سنِّ السادسة عشرة: (مسكينةٌ، فقد قام أهلها بتزويجها، وهي لا تزال صغيرةً، حرامٌ أن يظلموها).

وقد تزوج ﷺ من امرأة تكبره بخمسة عشر عاماً، ثم تزوج كذلك من فتاة تصغره سناً بأكثر من خمسين سنةٍ، وزوج ﷺ ابنتيه من عثمانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من سن أبيهما ﷺ، وقد عرض عمر ابنته حفصة على أبي بكر ليزوجه إياها رضي الله عنهم، وقد كان أكبر سناً منها ومن أبيها، ثم عرضها على عثمان، وهو أكبر منها ومن أبيها، وتزوج عمر أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب وهو في آخر عمره رضي الله عنهم، وهو أكبر من أبيها، ولا يستهجن ذلك من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ.

٣-عرض عمر حفصة على أزواجٍ معددين ، ولم يأنف من ذلك، وبإمكانه أن يجد من بين الصحابةِ رضي الله عنهم زوجاً أعزب، ولكن مقياس التعدد أو العزوبة ليس له قيمةٌ في مقياس النبي ﷺ، ولا صحابته ، وإنما بحث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنته عن الزوج الصالح الذي يرتضي دينه وأمانته، ولا شيء يعدل ذلك.

٢

عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبي ﷺ جاءته امرأةٌ فقالت: يا رسول الله، إني قد وهبت نفسي لك، فقامت قياماً طويلاً، فقام رجل فقال: يا رسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك بها

حاجة؟، فقال ﷺ: (هل عندك من شيء تصدقها إياه؟، فقال: ما عندي إلا إزاري، فقال النَّبي ﷺ: (إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك)، فالتمس شيئاً، فقال: ما أجد شيئاً، فقال: (التمس ولو خاتماً من حديد، فالتمس، فلم يجد شيئاً، فقال له النَّبي ﷺ: (هل معك من القرآن شيء؟)، قال: نعم، سورة كذا وكذا يسميها، فقال النَّبي ﷺ: (قد زوجتكها بما معك من القرآن)، وفي رواية (قد ملكتكها بما معك من القرآن) رواه البخاري.

يصوب هذا الحديث بعضاً من المفاهيم الخاطئة المنتشرة، منها:

١-الزواج بالغ الأهمية، يفوق أهمية اللباس الذي نرتديه، ومما عمَّ به البلاء وطمَّ؛ أن نستنزف الأموال في الكماليات التوافه؛ كالسيارة، والسفر للسياحة، والأثاث الفاخر، ولا يبقى مساحة للاهتمام بالزواج والإعفاف، في حين أنَّ السيارة تبلغ قيمتها المالية مثل تكاليف الزواج أو أكثر.

٢-لم يسأل النبي ﷺ عن مال الرجل، وهل هو قادر على الإنفاق؟!، بالرغم من أنَّ جميع الملابسات تدل على أنَّه غير قادرٍ على الحصول على (خاتم من حديد)، فكيف بقدرته على شراءٍ المنزل، أو استطاعته على أن يهيأ لها معيشة على قدر من الرفاهية، إنَّ الزواج في ظروفٍ ماليةٍ صعبةٍ، أولى من الانتظار حتى تتحسن الظروف.

٣-تسهيل الزواج بكلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، هو عبادةٌ عظيمةٌ من العبادات، فكلُّ من سهل الزواج، فقد سعى إلى تطبيق السنة، وكلُّ من أشقى الناس بالصعوبات، فقد خالف سنة النبي ﷺ، وفتح

باب الفتنة في الأرض، والفساد الكبير.

٣

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها). متفق عليه.

عجب من شأن هذه المرأة رجلان من عظماء التاريخ، وحقٌّ لنا أن نعجب مثلهم:

١- إنَّ امرأة جاءتها البشرى بالجنة تحتسب لوجه الله تعالى كلَّ مرضٍ، حتى ولو كان مرضاً يحرجها في المواقف الاجتماعية، فتوجهتْ إلى دعاء الله تعالى لطلب العلاج، فليس للناس قيمةٌ في حسابها إذا كان هذا الأمر يرضي خالقها تعالى:

وكلُّ مصيبة عظمت وجلَّت تخفُّ إذا رجوت لها ثوابا

٢- الصرع أمرٌ لا يطاق، ولكن نفوس العظيمات من النساء تطيقه حينما يكون ثمنه الجنة، ولكن ما لا تطيقه أفئدتهنَّ؛ أن تتكشف أجسادهنَّ، وهذه المرأة العملاقة استهانت بفظاعة المرض الذي ليس لختامه مدىً إلا الموت، ولكنها لم تطق قطُّ الصبر على تكشفها الذي حصل بغير إرادتها، وسوف لن يحاسبها الله تعالى عليه، فهي بذلك تفضح المفاهيم الخاطئة لدى نساءٍ، يستسهلن انكشاف عوراتهنّ في غير ما صرع، وإنما لأجل أمراضٍ أقل شأناً من ذلك؛ والأدهى أن تكشف لأطباَّء رجالٍ مع توافر طَبيباتٍ، ولا

أدري لعمر الله ما نقول في نساءٍ يتكشفن في ألبستهنَّ جرياً وراء الموضة، وتقليد نساءٍ كافراتٍ يرقصن على شاشة التلفاز المربعة، أو نساءٍ يتكشفن عندَ الكوافير؛ من أجل التجمل، أو حمام البخار، أو ممارسة الرياضة، فلمثل هذه الحال يحسن البكاء!.

٣- جاء وصف المرأة في الحديث؛ بأنَّها امرأةٌ سوداء، واجتمع مع سواد لونها مرضٌ له رهبته وهو الصرع، فلم يعد للفتنة بهذه المرأة أيُّ مجالٍ، ولن تستهوي شاباً يتدفق حيويةً، ومع ذلك لم تجد لنفسها العذر في انكشافها، فطلبت أن يدعو لها النبي ﷺ أن لا تتكشف حال صرعها، فلا يستوي حالها وحال نساءٍ مسلماتٍ يتفجرن جمالاً، وبهاءً، وفتنةً، تتكشف إحداهنَّ بإرادتها، وتَجرُّ البلاء لقلوب الرجال، وتقطع قلوبهم بالحسرات، وفي الوقت ذاته تجد لنفسها عشرات الأعذار، وسيلاً من المبررات، ولعل في عجائزنا خير مثالٍ معاصرٍ لحفظ الجسد من التكشف، فلديهنَّ من الحرص ما يفوق ما لدى الشابات اللاتي يمتلكن أجساداً أحرى بالفتنة.

٤-حسن الأدب مع الله تعالى خصلة من خصال أهلِ الجنة، ففي القصة، تحدثت المرأة عن مرضها فقالت: (إني أُصْـرَع)، فلم تنسب مرض الصرع لله تعالى، ولا نسبته للقضاء والقدر، ولم تبين أنها في بلوى لا تطاق، أو ألمحت إلماحاً إلى شكواها من المصيبة، وإنما جاءت بالفعل مبنياً للمجهول، وأما حين تحدثت عن تكشفها قالت: (إني أتكشف)، فنسبت التكشف إلى نفسها في حين أنها في الحقيقة لم تكن متكشفةً بإرادتها، ولكنَّ في هذا دليلٌ على دقة تعبيرها المؤدب، وهذا الأدب متوافرٌ سابقٌ في

القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام، حين قال: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ الشعراء

٥-حين أصيبت بالمصيبة لم تفلت زمام لسانها بالشكوى للناس لما وقع لها من بلاء الصرع، والسقوط على الأرض، والتكشف؛ بل جاءت للنبي ﷺ تطلبه أن يدعو لها الله تعالى، وقالت في نهاية كلامها: (أصبر)، فالصبر طريق الجنة.

الخاتمة

وإني لأعجب لأهل الباطل ينطقون بصفاقة وجه، ويطرحون ضلالهم دون أقنعة ، وهم يوقنون أن أقوالهم تخالف ما يعتقده المجتمع بأكمله، فلم يرهبوا أحداً، ولم يخفوا مقاصدهم، ولم يبالوا بقلة الناصر والمعين، إلا من يعاونهم من الشياطين .

تخرج راقصة عاهرة، فتتعرى، وتتلوى بفخر أمام الملايين من المسلمين ، دون أن تحس بخجلٍ، أو نزعة حياء من قبيح فعلها، فتملأ جوانحك عجباً؛ كيف امتلكت هذه الروح؟!.

مع يقينها التام أن هؤلاء الملايين الذين يشاهدونها، يؤمنون جميعاً أنها ساقطة دنيئة القدر، غارقة في العهر، وإنها على يقين أوثق وأشد من يقينهم بذلك.

فوا عجباً لعاهرة تملك هذه القدرة، ثم أجدها تُنزع من حرةٍ، تحمل الاحترام لنفسها، ويحترمها من حولها، تتقهقر عن قول كلمة الحق، ربما في مجلس يضم بعض النساء، فهذه الصالحة على الحق، وتلك العاهرة على الباطل، فلماذا تخاف هذه من نصيحة في مجلس يسير؟!، يفرح بأي نور توقده فيه، وتخجل من إنكار لباطل، وليس أمامها إلا عدد يقارب عدد أصابع الكف، فما بالها تحزننا بخوفها، وتقهقرها، حتى تعطي الدنية في دينها؟!.

بل وأنكى من ذلك أهل البصيرة من الرجال حين يجبنون عن طرح ما في أيديهم من النور، رغم يقينهم أنهم على الحق، وأنهم هم المنصورون، وأن جند الله هم الغالبون، فهل تسبقهم راقصة؟!.

طرحت ما طرحت، وهاجمت من هاجمت، وفضحت من فضحت من شياطين الجن، وشياطين الإنس، وأعلم يقيناً، أنَّ من فضح أحداً نال عداوته؛ فمن فضح شياطين الجن، فلينتظر عداوتهم.

ومن فضح شياطين الإنس، فلينتظر عداوتهم.

وهكذا قضت سنة الحياة، بأن من هاجم المقدسات، طالته العداوات، والإساءات، والإهانات.

وأعلم أن بعض الآراء المطروحة في الكتاب، ربما لا ترضى نخبة من الفضلاء، ولا أنكر أن رضاهم عندي مهم، ولكن رضا الله عز وجل عندي أوجب وأهم في الخنوع والمراعاة ، ودعواتي دوما : (اللهم أعني على قول ما يرضيك عني) .

وأما الخلق فشأنهم أهون، وربما أختلف مع بعضهم في بعض الآراء، وأجد الرغبة في متابعة آرائهم، غير أن اقتفاء الصالحين الأولين يبعث الطمأنينة في قلبي، وعلى رأسهم سيدي أبو القاسم ﷺ.

والأنبياء عليهم السلام جابهتهم الأمم بمستبشع الألم، ومضوا دون أن يستجاب لهم، وكان قولهم ودينهم هو الحق، فما خسروا ديناً، ولم يفقدوا ثميناً، وأما المكذبون الخاسرون المفرطون، فقد خسروا خسراناً مبيناً.

والغلام الصالح صاحب الأخدود، يقدم صدق القول، بعيداً عن النظر للنتائج، ودون أن يخشى العواقب، فانتزع من قلبه تخويف الشيطان، وأخبر الملك بكيفية قتله (بأمانة) وفعلاً قتله الملك بسهمه، ومات الغلام دون أن يرى نتائج عمله، لأن المهم هو قول الحق بتجرد، وليس المهم النتائج، والله هو الحق عز وجل وهو يتولى النتائج.

المراجع

القرآن الكريم

صحيح الجامع الصغير - الألباني / المكتب الاسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦

سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني / المكتب الاسلامي الطبعة الأولى ١٣٩٩

مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام

المعجم الكبير

سلسلة الأحاديث الضعيفة - الألباني / المكتب الاسلامي ١٣٩٩

مشكاة المصابيح - التبريزي / المكتب الاسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٥

إرواء الغليل - الألباني / المكتب الاسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٥

غاية المرام الألباني.. المكتب الاسلامي

الأدب المفرد .. المكتبة السلفية

صفة الصفوة - ابن الجوزي / دار الصفا الطبعة الأولى ١٤١١

تفسير ابن كثير / المكتبة التجارية

تيسير الكريم الرحمن ابن سعدي / مؤسسة الرسالة ط١ ١٤١٩

أضواء البيان - الشنقيطي / مكتبة ابن تيمية

زاد المسير - ابن الجوزي / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٤

مختصر تفسير البغوي ... دار المعارف ط ١ / ١٤١٦

صحيح البخاري ..دار الريان ط٢ / ١٤٠٩

صحيح مسلم .. دار الريان ط١ / ١٤٠٧

صحيح أبي داود ..مطبعة الرياض

سنن الترمذي .. المكتبة الاسلامية

سنن النسائي .. دار المعرفة

سنن ابن ماجة ... الطباعة العربية ط١/ ١٤٠٣

صحيح الترغيب والترهيب / الألباني .. المكتب الاسلامي ط٢ ١٤٠٦ ..

البداية والنهاية دار الكتب العلمية /ابن تيمية .. دار الكتب العلمية

الجامع لأحكام القرآن / القرطبي .. دار الكتاب العربي

كتاب التذكرة في أحكام الموتى وأمور الآخرة للقرطبي . دار الفكر

ذكريات علي الطنطاوي داز المنارة للنشر ١٤٠٩ هـ

هل يكذب التاريخ.؟! عبدالله الداوود

آداب الزفاف للألباني الكتبة الإسلامية

شرح رياض الصالحين محمد بن عثيمين مدار الوطن للنشر

المرأة المثالية في أعين الرجال محمد عثمان الخشت مكتبة ابن سيناء

أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة إحسان العتيبي

وجهة نظر في حياة زوجية سعيدة أشرف هميسة دار عالم الكتب

بحوث في النفس الإنسانية وعوارضها د/ عبد الله السدحان

صفة الزوجة الصالحة في الكتاب والسنة عبدالله الجديع دار الهجرة

موقع الشيخ ابن عثيمين

موقع صيد الفوائد

الأساليب النبوية في معالجة المشاكلات الزوجية عبد السميع الانيس دار ابن الجوزي

تحفة العروس محمد الاستانبولي دار عمر بن الخطاب

الفهرس